مواقف ومواعظ

من حيـاة التابعيـن

الجزء الثاني

عبد العزيز الشناوي

بطاقة الفهرسة

اسم الكتـــاب :	مواقف ومواعظ من حياة التابعين (الجزء ٢)
المؤلـــــــف :	عبد العزيز الشناوي
الطبعـــــــة :	طبعة أولى / ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م
الناشـــــــر :	مكتبة جزيرة الورد
رقم الإيــداع :	

مكتبــة جزيرة الورد - القاهــرة / ميدان حليــم

خلف بنك فيصل شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا

٠٢/٢٧٨٧٧٥٧٤ - ٠١٢/٩٩٦١٦٣٥

٠١٠/٠١٠٤١١٥ - ٠١٠/٠٠٠٤٠٤٦

عبد الله بن المبارك

مواقف ومواعظ
مـن حيـاة التابعيـن

[١]

عبد الله بن المبارك

عبد الله بن المبارك

عالم من أهل خراسان

ولد لثمان عشرة ومائة من الهجرة.

وقيل: تسع عشرة.

كان أبوه تركيًا عند رجل - مولى لرجل - من التجار من بنى حنظلة.

كانت أمه تركية خوارزمية.

يكنى أبا عبد الرحمن.

صنف ابن المبارك كتابًا سماه: كتاب البر والصلة.

كانت دار عبد الله بن المبارك بمرو كبيرة صحن الدار نحو خمسين ذراعًا في خمسين ذراعًا.

بدء زهده:

سئل عبد الله بن المبارك عن بدء زهده فقال:

- كنت يومًا مع إخواني في بستان لنا، وذلك حين حملت الثمار من ألوان الفواكه، فأكلنا، وشربنا حتى الليل فنمنا، وكنت مولعًا بضرب العود والطنبور - آلة من آلات العزف والطرب -، فقمت فى بعض الليل فضربت بصوت يقال له نراشين السحر، وأراد سنان يغنى، وطائر يصيح فوق رأسي على شجرة، والعود بيدي لا يجيبني إلى ما أريد، وإذا به ينطق كما ينطق الإنسان - يعنى العود الذي بيده - ويقول:

{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ} [سورة الحديد الآية: ١٦].

قلت:

- بلى والله.

وكسرت العود، وصرفت من كان عندي، فكان هذا أول زهدي وتشميري.

أراد عبد الله بن المبارك أن يضرب هذا الشعر بالعود:

ألم يـــأن لي منـــك ترحمـــا ::: وتعـــص العـــواذل واللومـــا
وترثـــى لصـــب بكـــم مغـــرم ::: أقـــام علـــى هجـــركم مأتمـــا
ومـــاذا علـــى الظـــبي لـــو أنـــه ::: أحل من الوصـــول مـــا حرمـــا
ببيـــــت إذا جنَّـــــه ليلـــــهُ ::: يُراعـــى الكواكـــب والأنجمـــا

ولكل العود أبى إلا أن يقول:

{أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ} [سورة الحديد الآية: ١٦]، ففعلت الآية بعبد الله بن المبارك الأفاعيل جعلت روحه ترفرف كالطائر الذي ينفض عن جسده ندى الصباح وتسلل إلى قلبه نور ملأ صدره وخيل إليه أنه يحلق في ملكوت السماوات وشعر بحلاوة الإيمان تغمره.

واجتمع في دار عبد الله بن المبارك كل صاحب علم أو صاحب عبادة أو رجل له مروءة وقدر بمرو وأدرك ابن المبارك جماعة من التابعين منهم هشام بن عروة بن الزبير، وإسماعيل بن أبي خالد، والأعمش، وسليمان التميمي، وحميد الطويل، وعبد الله بن عون، وخالد الحذاء، ويحيى بن سعيد، وموسى بن عقبة وغيرهم من أئمة التابعين.

وكان عبد الله بن المبارك موصوفًا بالحفظ والفقه والعربية والزهد والكرم والشجاعة والشعر له التصانيف الحسان، والشعر الحسن المتضمن حكمًا جمة.

وكان ابن المبارك كثير الحج والغزو.

وكان رأس ماله نحو أربعمائة ألف يدور يتجر به في البلدان، إذا اجتمع بعالم أحسن إليه، وكان يربو كسبه في كل سنة على مائة ألف ينفقها كلها في أهل العبادة والزهد والعلم، وربما أنفق من رأس ماله.

قيل:

إنه لم يدخل الحمام قط.

وقيل: إنه لم يفطر قط، ولا رئي إلا صائمًا.

كان كل يوم يجتمع في داره خلق يتذاكرون حتى إذا خرج ابن المبارك انضموا إليه.

الخروج إلى الكوفة:

ترك عبد الله بن المبارك مرو وصار إلى الكوفة فنزل في دار صغيرة، وكان يخرج إلى الصلاة ثم يرجع إلى منزله لا يكاد يخرج عنه ولا يأتيه كثير من الناس.

قال له أحد أصحابه:

- يا أبا عبد الرحمن ألا تستوحش هاهنا مع الذي كنت فيه بمرو؟

فقال عبد الله بن المبارك:

- إنما فررت من مرو من الذي تراك تحبه، وأحببت ما هاهنا للذي أراك تكرهه لي، فكنت بمرو لا يكون أمرًا إلى أتوني فيه ولا مسألة إلا قالوا: اسألوا ابن المبارك، وأنا هاهنا في عافية من ذلك.

هذا والله هو الملك:

ذات يوم قدم عبد الله بن المبارك مرو الرقة، وبها أمير المؤمنين هارون الرشيد، فلما رأى الناس عبد الله بن المبارك، احتفلوا به وانفلوا خلفه وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة،

وازدحم الناس حول عبد الله بن المبارك.

فأشرفت أم ولد أمير المؤمنين هارون الرشيد من برج من قصر الخشب فتساءلت:

- ما للناس؟ ما هذا؟

قالوا:

- قدم رجل من علماء خراسان يقال له عبد الملك بن المبارك فانجفل الناس إليه.

قالت المرأة:

- هذا والله هو الملك، لا ملك هارون الرشيد الذي يجمع الناس عليه بالسوط والعصا والرغبة والرهبة، لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان.

ادفع إليه عشرة دراهم:

ذات ضحى سأل سائل عبد الله بن المبارك فأعطاه درهمًا، فقال له بعض أصحابه:

- إن هؤلاء يأكلون الشواء، والفالوذج - حلواء تصنع من الدقيق والماء والعسل - وقد كان يكفيه قطعة - دانق -.

فقال عبد الله بن المبارك:

- فأما إذا كان الفالوذج والشواء فإنه درهم.

ثم أمر ابن المبارك بعض غلمانه وقال:

- ردوه، وادفع إليه عشرة دراهم.

أخلاق المؤمن:

كان لعبد الله بن المبارك جار يهودي، فأراد أن يبيع داره فقيل له:

- بكم تبيع؟
قال اليهودي:
- بألفين.
فقيل له:
- إن الدار لا تساوي إلا ألف درهم.
قال اليهودي:
- صدقتم، ولكن ألف للدار، وألف لجوار عبد الله بن المبارك.
فلما علم أبو عبد الرحمن بذلك دعا اليهودي وأعطاه ثمن الدار وقال له:
- لا تبعها.

من الناس!

سأل سنيد بن داود أبا عبد الرحمن:
- من الناس؟
قال عبد الله بن المبارك:
- العلماء.
فقال سنيد بن داود:
- فمن الملوك؟
قال ابن المبارك:
- الزهاد.
فتساءل سنيد بن داود:
- فمن السفلة؟
فقال أبو عبد الرحمن:

- الذين يأكلون الدنيا بالدين.

وقيل لابن المبارك:

- من أئمة الناس؟

قال أبو عبد الرحمن:

- سفيان - سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري - وذووه.

فقيل له:

- من سفلة الناس؟

قال عبد الله بن المبارك:

- الذين يعيشون بدينهم - من يأكل الدنيا بدينه -.

ما العيش إلا هكذا:

خرج ابن المبارك ومعه أحد أصحابه يومًا على سقاية - موضع السقى، أو ما يبنى لجمع الماء -، والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب، ولم يكن أحد يعرفه عند هذا الماء، فزاحموه ودفعوه.

فلما خرج لصاحبه قال:

- ما العيش إلا هكذا - يعني حيث لم تعرف ولم توقر -.

الحمام:

رأى الحسن في منزل أبي عبد الرحمن حمامًا طيارة - طائرة - فقال عبد الله ابن المبارك:

- قد كنا ننتفع بفراخ هذه الحمام، فليس ننتفع بها اليوم.

فقال الحسن:

- ولم ذلك؟

قال عبد الله بن المبارك:

- اختلطت بها حمام غيرها فتزاوجت بها فنحن نكره أن ننتفع بشيء من فراخها من أجل ذلك.

هذا أفضل من حجنا:

خرج عبد الله بن المبارك ووكيله وأصحابه ذات يوم إلى الحج، فاجتازوا ببعض البلاد، فمات طائر معهم، فأمر أبو عبد الرحمن بإلقائه على مزبلة هناك، وتقدم أصحاب ابن المبارك أمامه وتخلف هو ووكيله وراءهم، فلما مرا بالمزبلة إذ جارية قد خرجت من دار قريبة منها فأخذت ذلك الطائر الميت، ثم لفته وأسرعت به إلى الدار، فتعجب ابن المبارك، ثم سار نحو الدار، وسألها عن أمرها وأخذها ذلك الطائر الميت فقالت:

- أنا وأخي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الإزار، وليس لنا قوت إلا ما يلقى على هذه المزبلة، وقد حلت لنا الميتة منذ أيام، وكان أبونا له مال فظلم وأخذ ماله وقتل.

فأمر عبد الله بن المبارك برد الأحمال وقال لوكيله:

- كم معك من النفقة؟

قال:

- ألف دينار.

قال أبو عبد الرحمن:

- عد منها عشرين دينارًا تكفينا إلى مرو واعطها الباقي، فهذا أفضل من حجنا في هذا العام.

ثم رجع.

* وقيل:

كان عبد الله بن المبارك صديقًا لأبي حنيفة، وكان يحج سنة ويغزو أخرى ولما كانت السنة التي يحج فيها أبو عبد الرحمن، خرج بخمسمائة دينار إلى موقف الجمال بالكوفة ليشتري جملاً، فرأى ابن المبارك امرأة على بعض الطرق تنتف ريش بطة، حسبها ميته، فتقدم ابن المبارك إليها وقال:

- لم تفعلين هذا؟

قالت المرأة:

- يا عبد الله لا تسألني عما لا يعنيك.

فوقع في خاطر أبي عبد الرحمن من قولها شيء، فألح عليها فقالت:

- يا عبد الله ألجأتني إلى كشف سر إليك.

ثم تنهدت وقالت:

- يرحمك الله، أنا امرأة علوية، ولي أربع بنات، مات أبوهم من قريب، وهذا اليوم الرابع ما أكلن شيئًا، وقد حلت لنا الميتة، فأخذت هذه البطة أصلحها وأحملها إلى بناتي.

فقال أبو عبد الرحمن في نفسه:

- ويحك يا ابن المبارك، أين أنت من هذه؟

ثم قال عبد الله بن المبارك للمرأة:

- ابسطي حجرك.

فبسطت حجرها، فصب أبو عبد الرحمن الدنانير في طرف إزارها وهي مطرقة لا تلتفت.

فقال عبد الله بن المبارك:

- عودي إلى بيتك، فاستعيني بهذه الدنانير على إصلاح شأنك.

ونزع الله عز وجل من قلب أبي عبد الرحمن شهوة الحج في هذا العام.

ثم تجهز إلى بلاده، وأقام حتى حج الناس وعادوا، فخرج والتقى بجيرانه وأصحابه:

فصار كل من يقول له:

- قبل الله حجتك وشكر سعيك.

فقالوا لابن المبارك:

- وأنت قبل الله حجتك وسعيك، إنا قد اجتمعنا بك في مكان كذا وكذا.

وأكثر الناس على ابن المبارك في القول.

فبات مفكرًا، فرأى النبي (صلي الله عليه وسلم) في المنام وهو يقول له:

– يا عبد الله لا تعجب فإنك أغثت ملهوفة من ولدي، فسألت الله أن يخلق على صورتك ملكًا يحج عنك.

سفرة ابن المبارك:

كانت سفرة ابن المبارك تحمل على بعير وحدها، وفيها أنواع المأكول من اللحم والدجاج والحلوى وغير ذلك، ثم يطعم الناس وهو الدهر صائم في الحر الشديد.

إذا عزم ابن المبارك على الحج:

قال محمد بن علي بن الحسن بن شقيق:

- سمعت أبي يقول: كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع

إليه إخوانه من أهل مرو فيقولون:

- نصحبك يا أبا عبد الرحمن.

فيقول لهم:

- هاتوا نفقتكم، من عزم منكم في هذا العام على الحج فليأتي بنفقته حتى أكون أنا أنفق عليه.

فكان يأخذ منهم نفقاتهم ويكتب على كل صرة اسم صاحبها ويجمعها ويجعلها في صندوق ويغلق عليها، ثم يكترى لهم - يؤجر لهم جمالاً - ويخرجهم من مرو إلى بغداد، ثم يخرج بهم في أوسع ما يكون من النفقات، والركوب ويخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروءة، ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلواء.

فإذا وصلوا مدينة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال لكل رجل منهم:

- ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة، من طرفها؟

فيقول: كذا.

ثم يخرجهم إلى مكة.

فإذا وصلوا مكة وقضوا حجهم، قال لكل حاج منهم:

- ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟

فيقول: كذا وكذا.

فيشتري لكل واحد منهم حتى يصيروا إلى مور، فإذا وصلوا إليها جصص أبوابهم ودورهم وبيضت، فإذا كان ثلاثة أيام عمل وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وشربوا، دعا بذلك الصندوق ففتحه وأخرج منه تلك الصرر، ودفع إلى كل رجل منه صرته، فيأخذها وينصرف إلى منزله وهو شاكر ناشر لواء الثناء والحمد.

زل حمار العلم!

قيل لعبد الله بن المبارك:

- إن إسماعيل بن علية قد ولي الصدقات.

فكتب ابن المبارك إلى إسماعيل بن علية:

يا جاعل العلم له بازيا :::	يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها :::	بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنونًا بها بعد ما :::	كنت دواء للمجانين
أين رواياتك في سردها :::	عن ابن عون وابن سيرين؟
أين رواياتك والقول في :::	لزوم أبواب السلاطين؟
إن قلت أكرهت فماذا كذا :::	زل حمار العلم في الطين

فلما قرأ إسماعيل بن علية كتاب أبي عبد الرحمن بكى، واستعفى - طلب من الخليفة إعفائه من ولاية الصدقات -.

خوفنا... وبشرنا:

قال عبد الله بن المبارك:

إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الأحبار - كان حبرًا من يهود وأسلم -:

- خوفنا يا كعب.

قال كعب الأحبار:

- والله إن لله لملائكة قيامًا خلقهم الله ما ثنوا أصلابهم، وآخرين ركعوا ما رفعوا أصلابهم، وآخرين سجدوا ما رفعوا رءوسهم حتى ينفخ في الصور النفخة الآخرة فيقولون جميعًا: سبحانك وبحمدك ما عبدناك كما ينبغي لك أن تعبد.

ثم قال:

- والله لو أن لرجل يومئذ كعمل سبعين نبيًا لاستقل عمله من شدة ما يرى يومئذ، والله لو دلى من غسلين دلة واحد في مطلع الشمس لفلت منه جماجم قوم في مغربها، والله لتزفرن جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا غيره إلا خر جاذبًا أو جاثيًا على ركبتيه يقول:

نفسي نفسي، وحتى نبينا وإبراهيم وإسحاق يقول: رب أنا خليلك إبراهيم.

فأبكى الفاروق ومن معه حتى نشجوا - النشيج: أشد البكاء -.

فلما رأى عمر ذلك قال:

- يا كعب... بشرنا.

فقال كعب الأحبار:

- أبشروا فإن لله تعالى ثلاثمائة وأربع عشر شريعة لا يأتي أحد بواحدة منهن مع كلمة الإخلاص - لا إله إلا الله - إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته، والله لو تعلمون كل رحمة الله تعالى لأبطأتم في العمل، والله لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت من هذه السماء الدنيا في ليلة ظلماء مغدورة - مظلمة - لأضاءت لها الأرض أفضل مما يضيء القمر ليلة البدر، ولوجد ريح نشرها جميع أهل الأرض، والله لو أن ثوبًا من ثياب أهل الجنة نشر اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه ما حملته أبصارهم (أخرجه أبو نعيم في الحلية).

في طرسوس:

كان أبو عبد الرحمن كثير الاختلاف إلى طرسوس، وكان ينزل الرقة في خان الذي للتجار، وكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه ويسمع منه الحديث.

وقدم ابن المبارك الرقة مرة فلم ير ذلك الشاب، وكان مستعجلاً، فخرج في النفير - القوم الذين يخرجون إلى الجهاد -، فلما رجع من غزوته، وعاد إلى الرقة سأل عن ذلك الشاب فقالوا:

- إنه محبوس لدين ركبه.

فتساءل ابن المبارك:

- وكم مبلغ دينه؟

قالوا:

- عشرة آلاف درهم.

فما زال أبو عبد الرحمن يسأل حتى دل على صاحب الدين، فدعا به ليلاً ووزن له عشرة آلاف درهم وحلفه أن لا يخبر أحدًا ما دام ابن المبارك حيًا، وقال:

- إذا أصبحت فأخرج الشاب من الحبس.

وأدلج - سار ليلاً - أبو عبد الرحمن، وأخرج الشاب من الحبس، وقيل له:

- عبد الله بن المبارك كان هاهنا وكان يذكرك، وقد خرج.

فخرج الشاب في أثر أبي عبد الرحمن فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة، فقال:

- يا فتى أين كنت؟ لم أرك في الخان - الفندق -.

قال الشاب:

- نعم يا أبا عبد الرحمن كنت محبوسًا بدين.

قال عبد الله بن المبارك:

- وكيف كان سبب خلاصك؟

قال الشاب:

- جاء رجل وقضى ديني ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس.

فقال أبو عبد الرحمن:

- يا فتى احمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك.

(فلم يخبر بذلك الرجل - صاحب الدين - أحدًا إلا بعد موت ابن المبارك فبر بقسمه).

* ومر أبو أسامة بعبد الله بن المبارك بطرسوس وهو يحدث إلى أصحابه، فقال:

- يا أبا عبد الرحمن إني لأنكر هذه الأبواب والتصنيف الذي وضعتم، ما هكذا أدركنا المشيخة.

فأضرب أبو عبد الرحمن عن الحديث نحوًا من عشرين يومًا.

ثم مر به أبو أسامة وقد احتشوه - جعلوه وسطهم - وهو يحدث، فقال أبو أسامة:

- السلام عليكم.

فقال ابن المبارك:

- وعليكم.

فقال أبو عبد الرحمن:

- شهوة الحديث.

فقيه العرب:

قال محمد بن المعتمر لأبيه سليمان:

- يا أبت من فقيه العرب؟

قال سليمان:

- سفيان الثوري.

فلما مات سفيان بن سعيد الثوري قال محمد بن المعتمر لأبيه:

- من فقيه العرب؟

قال سليمان:

- عبد الله بن المبارك.

أذهب مع الصحابة والتابعين:

كان عبد الله بن المبارك إذا انتهى من صلاته أسرع إلى داره، فقالوا له:

- إذا صليت معنا لم لا تجلس معنا؟

قال أبو عبد الرحمن:

- أذهب مع الصحابة والتابعين.

فقالوا:

- ومن أين الصحابة والتابعين؟

قال أبو عبد الرحمن:

- أذهب أنظر في علمي فأدرك آثارهم وأعمالهم فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس.

فإذا كان سنة ثمانين فالبعد من كثير من الناس أقرب إلى الله، وفر من الناس كفرارك من الأسد، وتمسك بدينك يسلك لك مجهودك.

فقال رجل:

- يا أبا عبد الرحمن في أي شيء أجعل فضل يومي، في تعلم القرآن أو في طلب العلم؟

قال عبد الله بن المبارك:

- هل تقرأ من القرآن ما تقيم به صلاتك؟

قال الرجل:

- نعم.

قال ابن المبارك:

- فاجعله في طلب العلم الذي يعرف به القرآن.

فقال رجل:

- يا أبا عبد الرحمن.

- ممن تستفيد؟

قال عبد الله بن المبارك:

- من كتبنا.

قال أبو إسحاق الطالقاني:

- يا أبا عبد الرحمن: الرجل يصلي عن أبويه؟ سمعت حديثًا:

فقال ابن المبارك:

- من يرويه؟

قال: أبو إسحاق الطالقاني:

- شهاب بن خراس.

قال عبد الله بن المبارك:

- ثقة، عمن؟

قال أبو إسحاق:

- عن النبي (صلي الله عليه وسلم).

قال ابن المبارك:

- بين النبي (صلي الله عليه وسلم) وبين الحجاج مفاوز تنقطع فيها أعناق الإبل.

فقال أبو إسحاق:

- هل بقى من ينصح؟

قال أبو عبد الرحمن:

- فهل بقى من يقبل؟

فقال رجل:

- ما ينبغي للعالم أن يتكرم عنه؟

قال ابن المبارك:

- ينبغي أن يتكرم عما حرم الله تعالى عليه، ويرفع نفسه عن الدنيا فلا تكون منه على بال.

فقال الرجل:

- ما ينبغي أن يجعل عظة شكرنا له؟

قال أبو عبد الرحمن:

- زيادة آخرتكم ونقصان دنياكم، وذلك أن زيادة آخرتكم لا تكون إلا بنقصان دنياكم، وزيادة دنياكم لا تكون إلا بنقصان آخرتكم.

رفيق موسى بن عمران في الجنة:

قال عبد الله بن المبارك:

قال كليم الله:

- يا رب أرني رفيقي في الجنة.

وبينما موسى عليه السلام يسير نحو غايته، لقى شابًا، فسلم عليه، وقال له موسى عليه السلام:

- يا عبد الله أنا ضيفك الليلة.

قال الشاب:

- يا هذا، إن رضيت بما عندي أنزلتك وأكرمتك.

فقال كليم الله:

- قد رضيت.

وكان الشاب يعمل قصابًا - جزارًا -، فأخذ موسى عليه السلام ومضى إلى حانوته، وأجلسه حتى فرغ من بيعه، وكان لا يمر بلحم ولا مخ إلا عزله، فلما كان وقت الانصراف، أخذ بيد كليم الله وانطلق به إلى منزله، وطبخ المخ والشحم، وتقدم نحو قفة فيها شيخ كبير قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وأخرجه من القفة، وغسل وجهه وثيابه وجففها، ثم ألبسه إياها، وعمد إلى خبز ففته وصب عليه الشحم والمخ، وأطعم الشيخ حتى شبع، ثم سقاه حتى روى، ثم رده إلى القفة فقال الشيخ:

- لا خيب الله لك سعيًا يا ولدي وجعل ابن عمران رفيقك في الجنة.

ثم تقدم نحو قفة ثانية وفعل بها ما فعل بالأولى كانت فيها أمه.

فبكى موسى عليه السلام رحمة بهما.

وقدم الشاب إلى موسى طعامًا فقال:

- يا أخي ما أنا في حاجة إلى طعامك، ولكني سألت الله أن يريني رفيقي في الجنة.

فتساءل الشاب:

- من أنت يرحمك الله؟

قال كليم الله:

- أنا نبي الله موسى.

فخر الشاب مغشيًا عليه، ولما أفاق دخل على والديه وأخبرهما أن الله قد استجاب دعاءهما وأن هذا الضيف هو كليم الله، قد أخبر بذلك من رب العالمين.

والي مرو في بيت عبد الله بن المبارك:

جاء عبد الله بن أبي العباس الطرسوسي وكان واليًا بمرو إلى منزل عبد الله بن المبارك ليلاً، وكان معه كاتبه والدواة والقرطاس معه، فسأل أبا عبد الرحمن عن حديث فأبى ابن المبارك أن يحدثه، فسأل عن حديث فأبى ابن المبارك أن يحدثه، فسأل عن حديث آخر فأبى عبد الله بن المبارك أن يحدثه، ثلاث مرات.

فقال والي مرو لكاتبه:

- اطو قرطاسك، ما أرى أبا عبد الرحمن يرانا أهلاً أن يحدثنا.

فلما قام، قام معه ابن المبارك ومشى معه إلى باب الدار فقال له:

- يا أبا عبد الرحمن لم ترنا أهلاً أن تحدثنا وتمشي معنا؟

قال عبد الله بن المبارك:

- إني أحببت أن أذل لك بدني ولا أذل لك حديث رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

علام الهم!

مر أبو عبد الرحمن على رجل تنطق عيناه بالحزن، ويكسى وجهه الهم فقال له ابن المبارك:

- أيها الرجل إني سائلك عن ثلاث فأجبني.

فقال الرجل:

- سل.

قال عبد الله بن المبارك:

- أيجري في هذا الكون شيء لا يريده الله عز وجل؟

قال الرجل:

- كلا.

قال أبو عبد الرحمن:

- أينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك في الحياة؟

قال الرجل:

- كلا.

فتساءل عبد الله بن المبارك:

- فعلام الهم إذن؟

لا تجالس السفهاء:

قال أبو عبد الرحمن:

لما استخلف داود إبنه سليمان عليهما السلام وعظه فقال:

- يا بني إياك والهزل، فإن نفعه قليل، ويهيج العداوة بين الإخوان.

وإياك والغضب، فإن الغضب يستخف فؤاد الرجل الحليم، وإذا غضبت فالصق نفسك بالأرض، أو تحول من مكانك.

وعليك بتقوى الله وطاعته، فإنهما يغلبان كل شيء.

وإياك وكثرة الغيرة على أهلك من غير شيء، فإن ذلك يورث سوء الظن بالناس وإن كانوا أبرياء، واقطع طمعك عن الناس، فإنه هو الغني.

وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر.

وإياك وما يعتذر منه من القول والفعل.

وعود نفسك ولسانك الصدق.

والزم الإحسان.

وإن استطعت أن تجعل يومك خيرًا من أمسك فافعل.

وصل صلاة مودع.

ولا تجالس السفهاء.

ولا ترد على عالم، ولا تماره - تجادله - في الدين.

وارج رحمة ربك، فإنها واسعة، وسعت كل شيء.

خشية الله:

قال القاسم بن محمد:

كنا نسافر مع ابن المبارك، كثيرًا ما كان يخطر ببالي فأقول في نفسي:

- بأي شيء فضل هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة؟ إن كان يصلي إنا لنصلي، إن كان يصوم إنا لنصوم، وإن كان يغزو فإنا لنغزو، وإن كان يحج إنا لنحج.

وكانوا في بعض مسيرهم في الطريق إلى الشام ذات ليلة يتعشون في بيت، إذ طفئ السراج فقام بعضهم فأخذ السراج وخرج يستصبح - أوقد المصباح، والمراد خرج يبحث عما يقود به السراج - فمكث هنيئة ثم جاء بالسراج، فنظر القاسم بن محمد إلى وجه عبد الله بن المبارك ولحيته فرأى الدموع تتقاطر منها.

فقال القاسم بن محمد في نفسه:

- بهذه الخشية فضل هذا الرجل علينا، ولعله حين فقد السراج ورأى الظلمة ذكر القيامة.

ماء زمزم لما شرب له:

لما ذهب ابن المبارك إلى مكة أتى زمزم فاستسقى، ثم استقبل الكعبة فقال:

- اللهم أن ابن أبي الموالي حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جبار عن النبي (صلي الله عليه وسلم) أنه قال:

-(ماء زمزم لما شرب له) (رواه ابن ماجه في المناسك، والإمام أحمد في المسند).

وهذا أشربه لعطش يوم القيامة.

ثم شرب أبو عبد الرحمن.

أعلم أهل المشرق والمغرب:

ذهب عمران بن موسى الطرسوسي إلى سفيان الثوري وسأله عن مسألة، فقال سفيان:

- من أين أنت؟

- قال عمران:

- من أهل المشرق.

قال سفيان بن سعيد:

- أو ليس عندكم أعلم أهل المشرق؟

فقال عمران بن موسى الطرسوسي:

- ومن هو يا أبا عبد الله؟

قال سفيان الثوري:

- عبد الله بن المبارك.

فتساءل عمران بن موسى الطرسوسي:

- وهو أعلم أهل المشرق؟

قال سفيان بن سعيد الثوري:

- نعم وأهل المغرب.

بث العلم:

عوتب عبد الله بن المبارك فيما يفرق من المال في البلدان ولا يفعل في أهل بلده كذلك.

فقال أبو عبد الرحمن:

- إنـي أعـرف مكـان قـوم لهـم فضـل وصـدق طلبـوا الحـديث وأحسنوا الطلب، فاحتـاجوا، فـإن تركنـاهم ضـاع علمهم، وإن أعنـاهم بثوا العلم لأمـة محمد (صلي الله عليه وسلم)، ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم.

من ابتـاع دنياه بـدينه:

قال أبو أمية الأسود:

- سـمعت عبـد الله بـن المبـارك يقـول: أحـب الصـالحين ولسـت منهم، وأبغض الصالحين وأنا شر منهم.

ثم أنشأ عبد الله يقول:

الصمت أزين بالفتى ::: من منطق في غير حينه
والصدق أجمل بالفتى ::: في القول عندي من يمينه
وعلى الفتى بوقاره ::: سمة تلوح على جبينه
فمن الذي يخفى عليك ::: إذا نظرت إلى قرينه
رب امرئ متيقن ::: غلب الشقاء على يقينه
فأزاله عن رأيه ::: فابتاع دنياه بدينه

يرحمك الله:

عطس رجل عند عبد الله بن المبارك فلم يحمد الله.

فقال ابن المبارك:

- ايش يقول العاطس إذا عطس؟

قال الرجل:

- يقول: الحمد لله.

فقال أبو عبد الرحمن له:

- يرحمك الله.

نجوت بكلمة علمنيها ابن المبارك:

قال ابن وهب:

رأى رجل سهيل بن علي في المنام فقال له:

- ما فعل بك ربك؟

قال سهيل بن علي:

- نجوت بكلمة علمنيها ابن المبارك.

قال الرجل:

- ما تلك الكلمة؟

قال سهيل بن علي:

- قال الرجل: يا رب عفوك عفوك.

الدَّيْن:

جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فسأله أن يقضي دَيْنًا عليه.

فكتب أبو عبد الرحمن إلى وكيل له.

فلما ورد عليه الكتاب قال له الوكيل:

- كم الدين الذي سألت فيه عبد الله أن يقضيه عنك؟

قال الرجل:

- سبعمائة درهم.

فكتب الوكيل إلى ابن المبارك:

- إن هذا الرجل سألك أن تقضي سبعمائة درهم فكتبت له بسبعة آلاف، وقد فنيتْ الغَلاَّت.

فكتب ابن المبارك لوكيله:

إن كانت الغلات قد فنيت فإن العمر أيضًا قد فنى، فأجر له ما سبق به قلمي.

الرجل الملثم:

خرج عبد الله بن المبارك في سرية إلى بلاد الروم، فصادفوا العدو، فلما التقى الصفان خرج رجل من بني الأصفر فقال:

- هل من مبارز؟

فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله.

ثم خرج رجل آخر من الروم فطلب البراز، فخرج إليه رجل فلم يمهله وأطاح برأسه وخرج آخر من العدو فطارده ذلك الرجل ساعة ثم طعنه فقتله.

فازدحم المسلمون على ذلك الرجل، وكان عبدة بن سليمان ممن ازدحم عليه فإذا هو ملثم وجهه بكمه، فأخذ عبدة بن سليمان بطرف كم الرجل فمده فإذا هو عبد الله بن المبارك.

فقال لعبدة بن سليمان:

- وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع - الشناعة: وهي القبح - علينا.

شهر رمضان:

كان أبو عبد الرحمن عند أبي الأحوص، فجاء رجل وقال:

- أنا رسول فلان الشعبي بعض الولاة يقرئك السلام ويقول: يا أبا الأحوص هذا شهر رمضان وقد وسعنا على عيالنا وهذه ألف درهم توسع بها عليهم في هذا الشهر.

فقال أبو الأحوص:

- فعل الله به وفعل به.

ثم قال لرسول الوالي:

- قل له: يدعها عنده حتى إذا احتجنا إليها بعثنا فأخذناها.

فانسل عبد الله بن المبارك إلى منزله فجاء بصرة بها ألف درهم

وقال:

- يا أبا الأحوص هذه الألف تنفقها فإني لا آمن أن يكون قد بلغ أهلك - أن الوالى قد بعث إليك ألف درهم فلم تقبلها - فيخاصمونك، وهذه من وجه أرجو أن تكون أطيب.

فقبل أبو الأحوص الصرة التي بها الدراهم.

الكلمة:

قال ابن المبارك:

اجتمع أربعة ملوك، ملك فارس، وملك الروم، وملك الهند، وملك الصين، فتكلموا بأربع كلمات، كأنما رمى بهن عن قوس واحدة.

فقال أحدهم:

- أنا على قول ما لم أقل أقدر مني على رد ما فعلت.

وقال الآخر:

- إذا قلتها ملكتني وإذا لم أقلها ملكتها.

وقال الآخر:

- لم أندم على ما لم أقل، وقد أندم على ما قلت.

وقال الآخر:

عجبت لمن يتكلم بالكلمة إن رفعت عليه ضرته، وإن لم ترفع عليه لم تنفعه.

* يقول ابن المبارك:

كان عمر بن العزيز يقول:

نسر بما يفنى ونفرح بالمنى ::: كما اغتر باللذات في النوم حالم
نهارك يا مغرور سهو وغفلة ::: وليلك نوم والردى لك لازم
وسعيك فيما سوف تكره غبه ::: كذلك في الدنيا تعيش البهائم

الحسنة:

قال ابن المبارك:

إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام:

- يا داود اسمع مني، والحق أقول، من لقيني بحسنة واحدة حكمته في رحمتي.

قال داود عليه السلام:

- يا رب وما تلك الحسنة؟

قال الله عز وجل:

- من فرج عن مكروب كربته.

يقول عبد الله بن المبارك:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(من فرج عن أخيه كربة من كرب الدنيا، فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه).

عبد الله بن المبارك والقرآن:

سئل عبد الله بن المبارك عن كتابة القرآن بالذهب أو تخلط به زينة الدنيا.

فقال أبو عبد الرحمن:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(أعطوا أعينكم حظها من العبادة).

قالوا:

- يا رسول الله وما حظها من العبادة؟

قال (صلي الله عليه وسلم) :

-(النظر في المصحف والتفكير فيه والاعتبار عند عجائبه).

وقال (صلي الله عليه وسلم) :

-(أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن نظرًا).

ونهى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن يقال:

- مسيجد أو مصيحف.

كما نهى خاتم الأنبياء (صلي الله عليه وسلم) أن ألا يخلط ما ليس منه، كما حرم ألا يحلى بالذهب ولا يكتب بالذهب فتخلط به زينة الدنيا.

وقال عبد الله بن المبارك:

- مر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بكتاب في أرض فقال لشاب من هذيل:

ما هذا؟

قال الشاب:

- من كتاب الله كتبه يهودي.

فقال أبو القاسم (صلي الله عليه وسلم) :

-(لعن الله من فعل هذا، لا تضعوا كتاب الله إلا موضعه).

وسئل ابن المبارك عن قوله تعالى:

{وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ} [سورة البقرة الآية: ١٨٨].

فقال:

- لأن أرد درهما من شُبْهَة أحب إلى من أن أتصدق بمائة ألف ومائة.

وسئل ابن المبارك عن قوله تعالى:

{وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾} [سورة الأعراف الآية: ٢٠٤].

قال ابن المبارك:

- أنها نزلت في الخطبة - خطبة الجمعة -.

وسئل ابن المبارك عن قوله تعالى:

{إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾} [سورة الكهف الآية: ١٠].

فقال:

الاعتزال عن الناس مرة يكون في الجبال والشعاب، ومرة في السواحل والرباط، ومرة في البيوت.

وقد جاء في الخبر:

- إذا كانت الفتنة فأخف مكانك وكف لسانك.

والعزلة: اعتزال الشر وأهله بقلبك وعلمك إن كنت بين أظهرهم.

قال ابن المبارك:

- أن تكون مع القوم فإذا خاضوا في ذكر الله فخض معهم، وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت.

وسئل ابن المبارك عن قوله تعالى:

{أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ} [سورة الكهف الآية: ٥٠].

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

-(**إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون فيقول الرجل منهم: سمعت رجلاً أعرف وجهه ولا أدري ما يحدث**) (رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود).

وقال الذي لا ينطق عن الهوى (صلى الله عليه وسلم) :

-(لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته) (رواه الطبراني في الكبير عن سلمان الفارسي).

وقال ابن المبارك عن سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي موسى:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

إذا أصبح إبليس بث جنوده فيقول: من أضل مسلمًا ألبسته التاج، فيقول له القائل:

لم أزل بفلان حتى طلق زوجته.

قال إبليس:

- يوشك أن يتزوج - يوشك أن يردها -.

ويقول آخر:

- لم أزل بفلان حتى عق - عق والديه -.

قال إبليس:

- يوشك أن يبر.

ويقول القائل:

- لم أزل بفلان حتى شرب - شرب خمرًا -.

قال إبليس:

- أنت.

وقال قائل:

- لم أزل بفلان حتى زنى.

قال إبليس:

- أنت.

وقال قائل:

- ما زلت بفلان حتى قتل.

قال إبليس:

- أنت أنت.

وسئل ابن المبارك عن قوله تعالى:

{وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ}

[سورة النور الآية: ٢٢].

نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق، ومسطح بن أثاثة ذلك أنه كان ابن بنت خالته، وكان مسطح من المهاجرين البدريين - الذين شهدوا بدرًا - المساكين، وكان أبو بكر الصديق ينفق عليه لمسكنته وقرابته.

ولما وقعت حادثة الإفك، وقال مسطح ما قال، حلف أبو بكر ألا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة أبدًا فجاء مسطح واعتذر وقال:

- إنما كنت أغشى مجالس حسان بن ثابت - شاعر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) - فأسمع ولا أقول.

فقال أبو بكر الصديق:

- لقد ضحكت وشاركت فيما قيل.

ومَرّ أبو بكر على يمينه فنزلت الآية.

قال عبد الله بن المبارك:

هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى.

فقال أبو بكر:

- والله إني أحب أن يغفر الله لي.

فرجع إلى مسطح بن أثاثة النفقة التي كانت ينفق عليه وقال:

- لا أنزعها منه أبدًا.

وسئل عبد الله بن المبارك عن قوله تعالى:

{أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ} [سورة الجاثية الآية: ٢٣].

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(ما عبد تحت السماء إله أبغض إلى الله من الهوى).

وقال الصادق المصدوق (صلي الله عليه وسلم) :

-(لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به) رواه الحكيم، وأبو نصر السجزي في الإبانة والخطيب عن عبد الله بن عمرو).

وقال ابن المبارك:

ومن البلايا للبلاء علامة ::: ألا يرى لك عن هواك نزوع
العبد عبد النفس في شهواتها ::: والحر يشبع تارة ويجوع

وسئل ابن المبارك عن قوله تعالى:{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾} [سورة القلم الآية: ٤].

فقال في وصف الخلق:

- هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى.

قال السراج المنير (صلي الله عليه وسلم) :

-(اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن) (رواه الترمذي).

وقال صاحب الخلق العظيم (صلي الله عليه وسلم) :

-(ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء) (رواه الترمذي عن أبي الدرداء).

وسئل ابن المبارك عن قوله تعالى:{وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ} [سورة الحجرات الآية: ١١].

تضمنت الآية المنع من تلقيب الإنسان بما يكره، ويجوز تلقيبه بما يحب، فقد لقب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عمر بن الخطاب بالفاروق، ولقب أبا بكر بالصديق، وحمزة بن عبد المطلب بأسد الله، وخالد بن الوليد بسيف الله.

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(من حق المؤمن على المؤمن أن يسميه بأحب أسمائه إليه).

وسئل عبد الله بن المبارك:

- الرجل يقول: حميد الطويل، وسليمان الأعمش، وحميد الأعرج، ومروان الأصفر.

فقال أبو عبد الرحمن:

- إذا أردت صفته ولم ترد عيبه فلا بأس به.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن سرجس قال:

رأيت الأصلع - يعني عمر - يقبل الحجر (في رواية الأصلع).

وقد وصف رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عددًا من أصحابه بأوصاف صارت لهم من أجل الألقاب.

وسئل عبد الله بن المبارك عن قوله تعالى:{ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩)} [سورة النجم الآية: ٣٩].

قال عبد الله بن المبارك:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) (أخرجه مسلم كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته عن أبي هريرة، والإمام أحمد).

وهذا كله تفضل من الله عز وجل، كما أن زيادة الأضعاف فضل منه، كتب لهم بالحسنة الواحدة عشرًا إلى سبعمائة ضعف إلى ألف ألف حسنة، كما قيل لأبي هريرة:

- أسمعت رسول الله يقول: إن الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة؟

فقال أبو هريرة:

- سمعته يقول:(إن الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة).

فهذا تفضل، وطريق العدل: (أن ليس للإنسان إلا ما سعى).

وقيل وسئل ابن المبارك عن قوله تعالى:{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤} [سورة القلم الآية: ٤].

فقال: تقول أم المؤمنين عائشة:

- ما كان أحد أحسن خلقًا من رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، ما دعاه أحد من الصحابة ولا من أهل بيته إلا قال: لبيك، ولذلك قال الله تعالى:{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤} [سورة القلم الآية: ٤].

ولم يذكر خلق محمود إلا وكان لمحمد (صلي الله عليه وسلم) الحظ الأوفر.

وسمى خلقه عظيمًا لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى، ولاجتماع مكارم الأخلاق فيه.

وقال (صلي الله عليه وسلم) :

-(ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وأن الله تعالى ليبغض الفاحش البذيء).

وقال عليه الصلاة والسلام:

-(ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، فإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة) (رواه الترمذي، وأبو داود عن أبي الدرداء).

وقال أبو عبد الرحمن:

- حسن الخلق: هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى.

عبد الله بن المبارك ورواية الحديث عن كاشف الظلمة (صلي الله عليه وسلم) :

أسند عبد الله بن المبارك عن جماعة من كبار التابعين وروى عن كبار الأئمة: كسفيان بن سعيد الثوري، والأوزاعي، والحمادين في نظرائهم، وكان أحد أئمة المسلمين.

قال عبد الله بن المبارك عن ابن عون عن ابن سيرين عن أبي هريرة:

إن النبي (صلي الله عليه وسلم) سهى ثم سجد سجدتين.

قيل لابن سيرين:

- هل سلم؟

قال ابن سيرين:

- ثبت عن عمر أنه سلم (متفق عليه).

قال ابن المبارك عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(البركة مع أكابركم) (رواه أبو نعيم في الحلية).

قال ابن المبارك:

- البركة في الغزو.

قال محمد بن المبارك عن أنس قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنًا أجريت فيها لجرت) (أخرجه ابن المبارك عن أنس، وابن ماجه أيضًا).

وقال ابن المبارك:

كنت عند المنصور جالسًا فأمر بقتل رجل فقلت:

- يا أمير المؤمنين، قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(إذا كان يوم القيامة نادى مناد بين يدي الله عز وجل: من كانت له يد عند الله فليتقدم، فلا يتقدم إلا من عفا عن ذنب).

فأمر أمير المؤمنين المنصور بإطلاق سراح الرجل.

فقال ابن المبارك:

{وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ} [سورة آل عمران الآية: ١٣٤].

أي يثيبهم على إحسانهم.

وقال الصادق المصدوق (صلي الله عليه وسلم) :

-(من ظلم شبرًا من الأرض خنق به يوم القيامة) (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقال عبد الله بن المبارك عن موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه:

- أكثر ما رأيت النبي (صلي الله عليه وسلم) يحلف بهذه اليمين:(لا ومقلب القلوب) (رواه أبو نعيم في الحلية).

قال أبو القاسم (صلي الله عليه وسلم) :

-(لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج).

قلنا:

- وما الهرج؟

قال عليه الصلاة والسلام:

-(القتل) (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي موسى).

وقال ابن المبارك عن سليمان التميمي عن أنس بن مالك:

إن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:(رأيت ليلة أسري بي رجالاً تقطع ألسنتهم بمقاريض من نار فقلت:

من هؤلاء يا جبريل؟

قال:

– هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بما لا يفعلون) (رواه أبو نعيم في الحلية).

قال عبد الله بن المبارك عن سليمان التميمي عن أنس:

كنت قائمًا على الحي أسقيهم، عمومتي وأنا أصغرهم، الفضيح - شراب يتخذ من البسر وحده من غير أن تمسه النار -.

فقيل:

- حرمت الخمر.

فكفأناها (متفق عليه).

وقال صاحب لواء الحمد (صلي الله عليه وسلم) :

-(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله واستقبلوا قبلتنا وصلوا جماعتنا، وأكلوا ذبيحتنا، حرمت علينا دماؤهم وأموالهم، لهم ما للمسلمين) (أخرجه البخاري في صحيحه حديث ابن المبارك).

وقال السراج المنير (صلي الله عليه وسلم) :

-(مثل المجاهد في سبيل الله كالصائم القائم بآيات الله آناء الليل وآناء النهار مثل هذه الاسطوانة) (رواه أبو نعيم عن أبي هريرة).

وقال ابن المبارك عن عوف عن ابن سيرين عن أبي هريرة:

إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال:(أبردوا بالصلاة في الحر فإن حرها من فيح جهنم أو فيح جهنم) (رواه الإمام أحمد، وابن حبان في صحيحه، والطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية).

قال ابن المبارك عن سليمان التميمي عن أنس:

عطس رجلان عند النبي (صلي الله عليه وسلم) فشمت رسول الله أحدهما، ولم يشمت الآخر وقال:

-(إن هذا قال: الحمد لله، ولم تقل أنت: الحمد لله) (متفق عليه).

قال عليه الصلاة والسلام:

-(أمرني جبريل أن أيسر) (رواه أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن عمر.

وقال الرحمة المهداة (صلي الله عليه وسلم) :

-(نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ) (متفق عليه).

قال الذي لا ينطق عن الهوى (صلي الله عليه وسلم) :

-(يا أمة محمد إن أحدًا ليس أغير من الله أن يرى عبده أو يرى أمته، يا أمة محمد لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا، ألا هل بلغت) (رواه أبو نعيم في الحلية عن عائشة).

وقال ابن المبارك عن أبي بكر بن أبي مريم عن شداد بن أوس:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والفاجر من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله) (رواه

الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم في المستدرك عن شداد بن أوس).

قال إمام الخير (صلي الله عليه وسلم) :

(قال تعالى: أحب ما تعبدني به عبدي النصح لي) (رواه الإمام أحمد عن أبي أمامة).

وقال ابن المبارك عن يحيى بن أيوب عن أبي أمامة عن عقبة بن عامر قال:

- يا نبي الله ما النجاة؟

قال (صلي الله عليه وسلم) :

-(أن تمسك عليك لسانك، ويسعك بيتك، ابك على خطيئتك) (رواه أبو نعيم في الحلية عن عقبة بن عامر).

قال عبد الله بن المبارك عن مصعب بن ثابت عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه:

كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يسلم - في صلاته - عن يمينه وعن شماله حتى يرى بياض خده (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقال ابن المبارك عن سعد بن أيوب عن عبد الله بن جنادة عن عبد الله بن عمرو:

مر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) برجل يحلب شاة فقال:

-(إذا حلبت فأبق لولدها، فإنها من أبر الدواب) (رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عمرو).

قال إمام الزاهدين (صلي الله عليه وسلم) :

-(ما زان الله العباد بزينة أفضل من زهادة الدنيا وعفاف في بطنه وفرجه) (رواه أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن عمر).

وقال ابن المبارك عن يحيى بن أيوب عن وهبة الله بن جنادة عن عبد الرحمن بن عمرو:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(الدنيا سجن المؤمن وسنته، فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة) (رواه الإمام أحمد، والطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية، والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن عمر).

السَّنَة: المراد بها في الحديث الجدب والقحط.

وقال نبي الرحمة (صلي الله عليه وسلم) :

-(ما رأيت مثل الجنة نام طالبها، ولا رأيت مثل النار نام هاربها) (رواه الترمذي كتاب صفة جهنم عن أبي هريرة).

قال ابن المبارك عن يحيى بن عبد الله قال:

- سمعت أبي يقول: ضحى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بكبشين أملحين، فضرب أحدهما فقال:

-(اللهم منك وإليك، اللهم إن هذا عن محمد وأهل بيته).

ثم قرب الآخر فقال:

-(بسم الله اللهم منك وإليك، اللهم هذا عمن وحدك من أمتي) (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقال المبعوث للناس كافة (صلي الله عليه وسلم) :

-(مثل المؤمن والإيمان كمثل الفرس في أجمته تجول ثم يرجع إلى أجمته، وإن المؤمن يسهو ثم يرجع إلى الإيمان، فأطعموا طعامكم الأتقياء، وولوا معروفكم المؤمن) (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي سعيد الخدري).

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ذات ضحى لأصحابه:

-(إن شئتم أنبأناكم بأول ما يقول الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة، وبأول ما يقولون؟).

قالوا:

- نعم يا رسول الله.

قال عليه الصلاة والسلام:

-(يقول الله للمؤمنين: قد أحببتم لقائي؟ فيقولون: نعم يا ربنا، فيقول: لم؟ فيقولون: رجونا عفوك ورحمتك، فيقول: إني قد أحببت لكم رحمتي) (رواه أبو نعيم في الحلية عن معاذ).

وقال صاحب الخلق العظيم (صلي الله عليه وسلم) :

-(من أنعش حقًا بلسانه جرى أجره حتى يأتي الله يوم القيامة فيوفيه ثوابه) (رواه سمويه، وأبو نعيم في الحلية عن أنس).

وقال عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيوب عن عبد الله بن قرظ عن عطاء بن يسر عن أبي سعيد الخدري:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(من صام رمضان فعرف حدوده، وعرف ما ينبغي أن يحفظ - يتحفظ - منه كَفَّر ما قبله) (رواه الديلمي، والخطيب، وابن عساكر، وأبو نعيم في الحلية).

وقال خاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم) :

-(كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة حتى يقضي الله بين الناس) (رواه الإمام أحمد، والحاكم في المستدرك عن عقبة بن عامر).

وقال نبي الرحمة (صلي الله عليه وسلم) :

-(للملوك طعامه وكسوته، ولم يكلف من العمل ما لا يطيق) (رواه الإمام أحمد ومسلم، والبيهقي في السنن عن أبي هريرة).

وقال عبد الله بن المبارك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(أول كل شيء خلق الله القلم فأمره فكتب كل شيء يكون) (رواه أبو نعيم في الحلّية).

قال عبد الله بن المبارك عن حجاج بن أرطأة عن محمد بن المنكدر عن جابر سئل النبي (صلي الله عليه وسلم) عن العمرة أواجبة هي؟

قال عليه الصلاة والسلام:

-(لا، وأن تعتمروا خير لكم) (رواه أبو نعيم في الحلية).

قال نبي الرحمة (صلي الله عليه وسلم) :

-(تحفة المؤمن الموت) (رواه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمرو).

قال ابن المبارك عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(يقول الله تعالى لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك.

فيقول:

– هل رضيتم؟

فيقولون:

- وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعطه أحدًا من خلقك.

فيقول:

- أنا أعطيتكم أفضل من ذلك، أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم) (متفق عليه).

قال ابن المبارك عن يونس الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفًا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر).

يقول أبو هريرة:

فقام عكاشة بن محصن الأسدي فقال:

- يا رسول الله: ادع الله أن يجعلني منهم.

قال الصادق المصدوق (صلي الله عليه وسلم) :

-(اللهم اجعله منهم).

ثم قام رجل من الأنصار فقال:

- ادع الله أن يجعلني منهم.

قال (صلي الله عليه وسلم) :

-(سبقك بها عكاشة) (متفق عليه).

قال عبد الله بن المبارك عن عمران بن زائدة عن أبي خالد الولي عن أبي هريرة قال:

كانت صلاة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بالليل يخفض طورًا ويرفع طورًا (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقال خاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم) :

-(كلكم يحب أن يدخل الجنة؟).

قالوا:

- نعم جعلنا الله فداك.

قال عليه الصلاة والسلام:

-(فاقصروا من الأمل، وتبينوا حالكم من أنصاركم، واستحيوا من الله حق الحياء).

قالوا:

- كلنا نستحي من الله.

قال (صلي الله عليه وسلم) :

-(الحياء من الله أن لا تنسوا المقابر والبلى، ولا تنسوا الجوف وما وعى، ولا الرأس وما حوى، ومن يشتهي كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا، وهنالك يكون قد استحيى من الله وأصاب ولاية الله) (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقال عبد الله بن المبارك عن خالد الحذاء عن أبي عثمان عن أبي موسى قال:

كنا مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فجعلنا لا نعلو شرفًا ولا نهبط واديًا إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، فدنا منا النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال:

-(أيها الناس إنكم لستم تدعون أصم ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا قريبًا، فاربعوا – أشفقوا – على أنفسكم).

ثم قال عليه الصلاة والسلام:

-(يا عبد الله بن قيس – يا أبا موسى الأشعري – ألا أعلمك كلمة من كنور الجنة).

قال أبو موسى الأشعري:

- بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي.

قال عليه الصلاة والسلام:

-(لا حول ولا قوة إلا بالله) (متفق عليه).

وقال النذير البشير (صلي الله عليه وسلم) :

-(إني لأتقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي فلا أدري أمن تمر الصدقة هي أم من تمر أهلي فلا آكلها) (متفق عليه، أخرجه البخاري من حديث ابن المبارك عن معمر).

وقال الذي أوتي جوامع الكلم (صلي الله عليه وسلم) :

-(إن الرجل ليتكلم بالكلمة من الخير لا يعلم مبلغها فيكتب له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من الشر لا يعلم مبلغها من الشر فيكتب له سخطه حتى يوفاه يوم القيامة) (رواه أبو نعيم في الحلية عن بلال بن الحارث).

وقال الذي لا ينطق عن الهوى (صلي الله عليه وسلم) :

-(إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك جلساءه يهوي بها أبعد من الرياء - الثريا -) (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة).

وقال معلم البشرية (صلي الله عليه وسلم) :

-(خيار أمتي علماؤها، وخيار علمائها خيارها، ألا وإن الله يغفر للعالم أربعين ذنبًا قبل أن يغفر للجاهل ذنبًا واحدًا، ألا وإن العالم الرحيم يجيء يوم القيامة وإن نوره قد أضاء يمشي فيه بين المشرق والمغرب كما يضيء الكوكب الدري) (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة).

وقال الحبيب المحبوب (صلي الله عليه وسلم) :

-(من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، ومن أرضى الناس برضاء الله كفاه الله) (رواه الترمذي، وأبو نعيم في الحلية عن عائشة).

وقال عليه الصلاة والسلام:

-(إذا أتى عليَّ يوم لا أزداد فيه علمًا يقربني إلى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم) (رواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية عن عائشة).

وقال إمام الخير (صلي الله عليه وسلم) :

-(من حمى مؤمنًا من مأزق بعث له يوم القيامة ملك يحمى له من نار جهنم، ومن رمى مؤمنًا بشيء يريد شينه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال) (رواه أبو نعيم في الحلية عن معاذ بن أنس الجهني).

وقال عليه الصلاة والسلام:

-(لا وفاء بنذر من معصية الله، وكفارته كفارة يمين) (رواه أبو نعيم في الحلية عن عائشة).

وفاة عبد الله بن المبارك:

لما حضرت عبد الله بن المبارك الوفاة قال له نصير:

- يا أبا عبد الرحمن قل: لا إله إلا الله.

فقال ابن المبارك:

- يا نصير قد ترى شدة الكلام عليَّ فإذا سمعتني قلتها فلا تردها عليَّ حتى تسمعني قد أحدثت بعدها كلامًا فإنما كانوا يستحبون أن يكون آخر كلام العبد ذلك - لا إله إلا الله -.

وتوفى أبو عبد الرحمن بهيت - ناحية في العراق (لواء الديلم) عندها كانت القوافل تقطع الفرات في طريقها بين بغداد وحلب، واشتهرت بالتمر والقمح والخمر - منصرفًا من الغزو لثلاث عشرة خلت من رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وورد على أمير المؤمنين الرشيد كتاب صاحب الحيرة من هيت: أنه مات رجل بهذا الموضع غريب، فاجتمع الناس على جنازته، فسألت عنه فقالوا:

- عبد الله بن المبارك الخراساني.

فقال الرشيد:

- إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم نادى على وزيره الفضل بن الربيع:

- يا فضل ائذن للناس من يعذرنا في عبد الله بن المبارك.

فأظهر الفضل تعجبًا وقال:

- ويحك إن عبد الله هو الذي يقول:

الله يدفع بالسلطان معضلة ::: عن ديننا رحمة منه ورضوانا
لولا الأئمة لم تأمن لنا سبل ::: وكان أضعفنا نهبا لأقوانا

من سمع هذا القول من مثل ابن المبارك مع فضله وزهده وعظمه في صدور العامة، ولا يعرف حقنا.

قال عبد الرحمن بن عبيد:

- كنا عند الفضيل بن عياض فجاء فتى، فنعى إليه ابن المبارك.

فقال الفضيل بن عياض:

- رحمه الله، أما إنه ما خلف بعده مثله.

قال صخر بن راشد:

- رأيت عبد الله بن المبارك في منامي بعد موته.

فقلت له:

- أليس قدمت؟

قال أبو عبد الرحمن:

- بلى.

قلت:

- فما صنع بك ربك؟

قال عبد الرحمن بن المبارك:

- غفر لي مغفرة أحاطت بكل ذنب.

قلت:

- فسفيان الثوري؟

قال أبو عبد الرحمن:

- بخٍ بخٍ ذاك:{مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا } [سورة النساء الآية: ٦٩].

قالوا عن ابن المبارك:

قال سفيان بن عيينة:

- نظرت في أمره وأمر الصحابة فما رأيتهم يفضلون عليه إلا صحبتهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

وقال إسماعيل بن عياش:

- ما على الأرض مثله، وما أعلم خصلة من الخير إلا وجعلها الله في ابن المبارك، لقد حدثني أصحابي أنهم صحبوه من مصر إلى مكة فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم.

قال أبو عمر بن عبد البر:

- أجمع العلماء على قبوله وجلالته وإمامته وعدله.

وقال عبد الرحمن بن عبيد الله:

- كنا عند الفضيل بن عياض، فنعى إليه ابن المبارك فقال: رحمه الله أما إنه ما خلف بعده مثله.

وقال نعيم بن حماد:

كان عبد الله بن المبارك يكثر الجلوس في بيته فقيل له:

- ألا تستوحش؟

فقال:

- كيف أستوحش وأنا مع النبي (صلي الله عليه وسلم) ؟

قال محمد بن فضيل بن عياض:

رأيت عبد الله بن المبارك في المنام فقلت له:

- أي الأعمال وجدت أفضل؟

قال أبو عبد الرحمن:

- الأمر الذي كنت فيه.

فقال محمد بن فضيل:

- الرباط والجهاد؟

قال ابن المبارك:

- نعم.

فقال محمد بن فضيل بن عياض:

- فأي شيء صنع بك ربك؟

قال عبد الله بن المبارك:

- غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة، وكلمني - وزوجني - امرأة من أهل الجنة أو امرأة من الحور العين -.

وقال الأوزاعي لعبد الله بن يزيد بن عثمان الحمصي:

- رأيت عبد الله بن المبارك؟

قال ابن عثمان الحمصي:

- لا.

قال الأوزاعي:

- لو رأيته لقرت عيناك.

وقال عطاء بن مسلم لعبيد بن جناد أبي سعيد؟

- يا عبيد: رأيت عبد الله بن المبارك؟

قال عبيد:

- نعم.

قال عطاء بن مسلم:

- ما رأيت مثله ولا ترى مثله.

قال العمري:

- ابن المبارك يصلح لهذا الأمر.

فقال رجل:

- أي شيء؟

قال العمري:

- الإمامة.

وقال العمري:

- ما رأيت في دهرنا هذا أحدًا يصلح لهذا الأمر إلا رجلاً أتاني إلى منزلي فأقام عندي ثلاثًا يسألني غير ما يسألني عنه أهل هذا الدهر، فصيح اللسان، إلا أن اللغة شرقية، يكنى أبا عبد الرحمن، معه غلام يقال له: سفير.

فقالوا:

- هذا عبد الله بن المبارك.

قال العمري:

- هكذا ينبغي، إن كان معي أحد يصلح لهذا الأمر فذاك.

قال عبيد بن جناد:

- يعني الاقتداء بالعلم.

وقال أبو إسحاق الفزاري:

- ابن المبارك إمام المسلمين.

وقال عبد الرحمن بن مهدي:

- ما رأيت عيناى مثل سفيان - الثوري -، ولا أُقدِّم على عبد الله بن المبارك أحدًا.

وقال ابن مهدي:

- ابن المبارك آدب عندنا من سفيان.

وقال سفيان الثوري:

- لو جهدت أن أكون في السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك لم أقدر.

وسأل محمد بن المعتمر بن سليمان أباه:

- يا أبت من فقيه العرب؟

قال المعتمر بن سليمان:

- سفيان الثوري.

فلما مات سفيان بن سعيد الثوري، سأل محمد بن المعتمر أباه مرة أخرى.

- من فقيه العرب؟

قال المعتمر بن سليمان:

- عبد الله بن المبارك.

من أقوال عبد الله بن المبارك:

* ليكن الذي يعتمدون عليه هذا الأثر، وخذوا من الرأي ما يفسر لكم الحديث.

* من بخل بالعلم ابتلي بثلاث: إما موت فيذهب عمله، وإما ينسى، وإما يصحب فيذهب عمله.

* أول منفعة الحديث أن يفيد بعضهم بعضًا.

* إذا ابتليت بالقضاء فما بك بالأثر.

* سأل رجل ابن المبارك عن الرباط - الجهاد في سبيل الله - فقال:

- رابط بنفسك على الحق حتى تقيمها على الحق، فذلك أفضل الرباط.

* لو أن رجلين اصطحبا في الطريق فأراد أحدهما أن يصلي ركعتين فتركهما لأجل صاحبه كان ذلك رياء، وإن صلاهما من أجل صاحبه فهو شرك.

* طلبنا الأدب حين فاتنا المؤدبون.

* إذا عرف الرجل قدر نفسه يصير عند نفسه أذل من الكلب.

* إذا استطعت أن تكون مهتارًا بذكر الله فكن.

* استعد للموت ولما بعد الموت.

* يكون مجلسك مع المساكين، وإياك أن تجلس مع صاحب بدعة.

* قال الحارث:

- أكلت عن صاحب بدعة أكلة.

فبلغ ذلك عبد الله بن المبارك فقال:

- لا كلمتك ثلاثين يومًا.

* لو أن رجلاً اتقى مائة شيء ولو يتورع عن شيء واحد لم يكن ورعًا، ومن كان فيه خلة من الجهل كان من الجاهلين، أما سمعت الله تعالى قال لنوح عليه السلام:

-{رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي} [سورة هود الآية: ٤٥].

فقال تعالى:

-{إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ} [سورة هود الآية: ٤٦].

* حب الدنيا في القلب والذنوب احتوشته، فمتى يصل الخير إليه؟

* أهل الدنيا خرجوا من الدنيا قبل أن يتطعموا أطيب ما فيها.

* قيل لابن المبارك:

- وما أطيب ما فيها؟

قال أبو عبد الرحمن:

- المعرفة بالله عز وجل:

* كن محبًا للخمول كراهية الشهرة، ولا تظهرن من نفسك أن تحب الخمول فترفع نفسك، فإن دعواك الزهد من نفسك هو خروج من الزهد، لأنك تجر إلى نفسك الثناء والمدحة.

* * *

وهب بن منبه

مواقف ومواعظ

من حياة التابعين

[٢]

وهب بن منبه

قال السراج المنير (صلي الله عليه وسلم) :

-(يكون في أمتي رجلان: أحدهما وهب يهب الله له الحكمة، والآخر غيلان فتنته على هذه الأمة أشد – أشر – من فتنة الشيطان).

(رواه ابن سعد، وعبد حميد، وأبو يعلى في مسنده، والطبراني في الكبير، والبيهقي في دلائل النبوة عن عبادة ابن الصامت).

* * *

وهب بن منبه

أتاه الله عز وجل الحكمة

هو وهب بن منبه اليماني:

يكنى أبا عبد الله، تولى القضاء بمدينة صنعاء، رأى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بعين النبوة أن الله عز وجل سيجعل في أمته رجلاً يهب له الحكمة فكان وهب بن منبه، ورجلاً هو أضر على أمته من إبليس فكان غيلان القدري، وقد ظهر بالشام وكذب بالقدر حتى قتل.

قال الصادق المصدوق (صلي الله عليه وسلم) :

-(**يكون في أمتي رجل يقال له وهب يهب الله له الحكمة، ورجل يقال له غيلان هو أضر على أمتي من إبليس**) (رواه البيقهي في الدلائل عن عبادة بن الصامت).

يقول وهب بن منبه:

- لقد قرأت اثنين وتسعين كتابًا كلها أنزلت من السماء، اثنان وسبعون منها في الكنائس وفي أيدي الناس، وعشرون لا يعلمها إلا قليل، وجدت في كلها: أن من أضاف إلى نفسه شيئًا من المشيئة فقد كفر.

وقال أبو عبد الله:

- قرأت في حكمة لقمان أرجح من عشرة آلاف باب.

الإيمان:

قال أبو عبد الله:

- الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وماله الفقه.

وقال وهب بن منبه:

- الإيمان قائد، والعمل سائق، والنفس بينهما حرون - لا تنقاد - فإذا قاد القائد ولم يسق السائق لم يغن ذلك شيئًا، وإذا ساق السائق ولم يقد القائد لم يغن ذلك شيئًا، وإذا قاد القائد وساق السائق اتبعته النفس طوعًا وكرهًا وطاب العمل.

قرأت في التوراة:

قال أبو عبد الله:

- قرأت في التوراة أربعة أسطر متواليات: من قرأ كتاب الله فظن أنه لا يغفر له فهو من المستهزئين بآيات الله، ومن شكى معصية فإنما يشكو ربه، ومن أسف على ما في يد غيره سخط قضاء ربه عز وجل، ومن تضعضع - خضع وذل - لغنى ذهب ثلثا دينه.

وقال أبو عبد الله:

- أربعة أحرف في التوراة مكتوب: من لم يشاور يندم، ومن استغنى استأثر، والفقر الموت الأحمر، وكما تدين تدان.

وقال وهب بن منبه:

- قرأت في التوراة: أيما دار بنيت بقوة الضعفاء - سخرية وظلمًا - جعلت عاقبتها الخراب، وأيما مال جمع من غير حل جعلت عاقبته الفقر.

يا ابـن آدم:

قال وهب بن منبه في موعظة له:

يا ابن آدم إنـه لا أقوى من خـالق ولا أضعف من مخلـوق، ولا أقدر ممن طلبته يدك، ولا أضعف ممن هو في يد طالبه.

يا ابن آدم قد ذهب منك ما لا يرجع إليك وأقام معك ما سيذهب.

يا ابن آدم أقصر عن تنـاول مـا لا تنـال وعن طلب مـا لا تـدرك، وعن ابتغاء ما لا يوجد، واقطع الرجاء منك عما فقدت من الأشياء، وأعلم أنه رب مطْلوُب هو شرٌ لطَالبِهِ.

يا ابن آدم إنما الصبر عند المصيبة، وأعظم من المصيبة سوء الخلف منها.

يـا ابـن آدم فـأي الـدهر ترجـى؟ أيومًـا يجـيء فـي غـرة أو يومًـا تستأخر فيه عن أوان مجيئه؟ فـانظر إلـى الـدهر تجد ثلاثـة أيـام: يـوم مضـى لا ترتجيه، ويوم لابد منه، ويوم يجـيء لا تـأمنـه، فـأمس شـاهد مقبـول وأمـين مـؤد وحكيم وارد، قد فجعك بنفسه وخلـف فـي يـديك حكمته، واليوم صديق مودع كان طويـل الغيبـة وهو سـريع الظعـن - ظعن: رحل -أتاك ولم تأته، وقد مضى قبله شاهد عدل، فـإن كـان مـا فيه لك فأشفعه - فأتبعه - بمثله.

يـا ابـن آدم قد مضـت لنـا أصـول نحـن فروعهـا فمـا بقـاء الفـرع بعد أصله؟

يا ابن آدم إنما أهل هذه الدار - الدنيا - سفر - راحلون إلـى القبـر - لا يحلون عقدة الرحـال إلا فـي غيرهـا، وإنمـا يتبلغـون بـالعواري - جمع عارية - فما أحسن الشكر للنعم - للمنعم - والتسليم للمعير.

فاعلم يا ابن آدم أنه لا رزية أعظم من رزية في عقل ممن ضـيع اليقين.

أيها الناس إنما البقاء بعد الفناء، وقد خلقنا ولم نكن، سنبلى ثم نعود، ألا وإنما العواري اليوم والهبات غدا، ألا وإنه قد تقارب منا سلب فاحش أو عطاء جزيل فاستصلحوا ما تقدمون بما تظعنون عنه.

أيها الناس: إنما أنتم في هذه الدار غرض فيكم المنايا تنتضل - ترمى - وأن الذي أنتم فيه من دنياكم نهب المصائب، لا تتناولون - تنالون - فيها نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يستقبل معمر منكم يومًا من عمره إلا بهدم آخر من أجله، ولا تجدد - يجد - زيادة في أجله إلا بنفاد ما قبله من رزقه، ولا يحيا له أثر إلا مات له أثر.

فنسأل الله أن يبارك لنا ولكم فيما مضى من هذه العظة.

قرأت في بعض الكتب:

قال أبو عبد الله:

- قرأت في بعض الكتب أن مناديا ينادي من السماء الرابعة كل صباح: أبناء الأربعين زرع قد دنا حصاده، أبناء الخمسين ماذا قدمتم وماذا أخرتم؟ أبناء الستين لا عذر لكم، ليت الخلق لم يخلقوا، وإذا خلقوا علموا لماذا خلقوا؟ قد أتتكم الساعة فخذوا حذركم.

وقال وهب بن منبه:

- قرأت في بعض الكتب فوجدت الله تعالى يقول:

يا ابن آدم ما أنصفتني تذكرني وتنساني وتدعوني وتفر مني، خيري إليك نازل، وشرك إليَّ صاعد، ولا يزال ملك كريم قد نزل إليك من أجلك، ولا يزال ملك كريم قد صعد إليَّ منك بعمل قبيح.

يا ابن آدم إن أحب ما تكون إليَّ وأقرب ما تكون مني إذا كنت راضيًا بما قسمت لك، وأبغض ما تكون إليَّ وأبعد ما تكون مني إذا كنت ساخطًا لاهيًا بما قسمت لك.

يا ابن آدم أطعني فيما أمرتك ولا تعلمني بما يصلحك، إني عالم بخلقي، أنا أكرم من أكرمني وأهين من هان عليه أمري، ولست بناظر في حق عبدي حتى ينظر عبدي في حقي.

وقال وهب بن منبه:

- إن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: يا موسى وقر والديك، فإن من وَقَّر والديه مددت في عمره ووهبت له ولدًا يوقره، ومن عق والديه قصرت في عمره، ووهبت له ولدًا يعقه.

ويقول الله عز وجل:

- لا إله إلا أنا ليس مني من سحر ولا من سحر له، ولا من تكهن ولا من تكهن له، ولا من تطير ولا من تطير له.

وقال أبو عبد الله:

- وجدت في بعض الكتب أن الله عز وجل يقول: إن عبدي إذا أطاعني فإني أستجيب له من قبل أن يدعوني، وأعطيه من قبل أن يسألني، وأن عبدي إذا أطاعني لو أن أهل السماوات والأرض أجلبوا عليه جعلت له مخرجًا من ذلك، وأن عبدي إذا عصاني أقطع يده عن أبواب السماوات وأجعله في الهوى فلا ينتصر بشيء من خلقي.

وقال وهب بن منبه:

- قرأت في بعض الكتب لولا أني كتبت النتن على الميت لحبسه الناس في بيوتهم - لم يدفن في القبور - ولولا أني كتبت الفساد على الطعام لخزنته الأغنياء عن الفقراء، ولو أني أذهبت الهم والغم لم تعمر الدنيا ولم أُعبد.

وقال أبو عبد الله:

- قرأت في بعض الكتب: ابن آدم لا خير لك في أن تعلم ما لا تعلم ولم تعمل بما علمت، فإن مثل ذلك كرجل احتطب حطبًا فحزم

حزمة فذهب يحملها فعجز عنها، فضم إليه أخرى.

وقال وهب بن منبه:

- قرأت في بعض الكتب: ابن آدم احتل لدينك، فإن رزقك سيأتيك.

مثل الدنيا والآخرة:

قال أبو عبد الله:

- مثل الدنيا والآخرة مثل ضرتين، إن رضيت إحداهما أسخطت الأخرى.

كيف صالحت إبليس وهجرتنا!

قال وهب بن منبه:

قال حكيم لابنه:

- يا بني لا تشغل قلبك من الدنيا إلا بقدر ما تتحققه من عمرك، ولتكن جرأتك على المعاصي بقدر صبرك على النار، وإذا أردت أن تعصي الله تعالى فانظر موضعًا لا يراك الله فيه، وانظر إلى نفسك فإن كانت عزيزة فلا تذلها، وإن كانت ذليلة فلا تزدها على ذلها ذلاً.

ويحك لو عرفت قدر نفسك ما أهنتها بالمعاصي، إنما أبعدنا إبليس لأنه لم يسجد لك، فالعجب كيف صالحته وهجرتنا؟

قبلت توبتك:

قال وهب بن منبه:

قرأت في الكتاب: يا ابن آدم: أشبهت أباك في المخالفة فتشبه به في الندم، فالويل لمن أحكم عقدة الإصرار، أيها العاصي تفكر في حال أبيك، وتذكر بما جرى له ويكفيك، أبعد بعد القرب من ربه، وأخرج من الجنة يوم ذنبه، وأسره العدو بعد بعثه في حربه، وهو يسعى في هلاكه فاعتبر به.

قال آدم عليه السلام في مناجاته:

- إلـهي لم عاتبتني وقد علمت أني إنما أكلت من الشجرة طمعًا في الخلود للبقاء معك؟

فأوحى الله تعالى إليه:

(لأنك رأيت الخلود من الشجرة، فأشركت في سرك ولم تشعر، ومع ذلك فقد أقلت عثرتك، ورحمت عبرتك، وقبلت توبتك).

أزهد الناس في الدنيا:

قال وهب بن منبه:

- أزهد الناس في الدنيا وإن كان مكبًا عليها حرصًا، من لم يرض منها إلا بالكسب الحلال الطيب، وإن أرغب الناس فيها وإن كان معرضًا عنها، من لم يبال ما كان كسبه فيها حلالاً أو حرامًا، وإن أجود الناس في الدنيا، من جاد بحقوق الله وإن رآه الناس بخيلاً بما سوى ذلك، وإن أبخل الناس في الدنيا، من بخل بحقوق الله وإن رآه الناس جوادًا بما سوى ذلك.

قال عالم لمن فوقه من العلم:

قال أبو عبد الله:

قال التلميذ لمعلمه:

- كم أبني من البناء؟

قال المعلم:

- يكفيك ما يسترك من الشمس ويكفيك - يحميك - من الغيث.

قال:

- كم آكل من الطعام؟

قال المعلم:

- فوق الجوع ودون الشبع.

قال:

- كم ألبس من الثياب؟

قال المعلم:

- لباس المسيح عليه السلام.

قال:

- كم أضحك؟

قال المعلم:

- بما يسفر وجهك ولا يسمع صوتك.

قال:

- كم أبكي؟

قال المعلم:

- لا تمل أن تبكي من خشية الله.

قال:

- كم أخفي من العمل؟

قال المعلم:

- حتى يظن الناس أنك لم تعمل حسنة.

قال:

- كم أعلن من العمل؟

قال المعلم:

- ما يأتم بك الحريص ولا تؤتى - ولا يقبل عليك كلام الناس -.

وصية راهب:

قال وهب بن منبه:

لقى رجل راهبًا فقال له:

- كيف صلاتك؟

قال الراهب:

- ما أحسب أحدًا سمع بذكر الجنة والنار فأتى عليه ساعة لا يصلي فيها.

فقال الرجل:

- فيكف ذكرك الموت؟

قال الراهب:

- ما أرفع قدمًا ولا أضع أخرى إلا رأيت أني ميت.

تساءل الراهب:

- كيف صلاتك أيها الرجل؟

قال الرجل:

- إني لا أصلي ولكني أبكي حتى ينبت العشب من دموع عيني.

قال الراهب:

- إنك إن بت تضحك وأنت معترف بخطيئتك خير لك من أن تبكي وأنت مرائي بعملك، فإن المرائي لا يرفع له عمل.

فقال الرجل للراهب:

- فأوصني فإني أراك حكيمًا.

قال الراهب:

- ازهد في الدنيا ولا تنازع أهلها فيها، وكن فيها كالنحلة إذا أكلت أكلت طيبًا، وإن وضعت وضعت طيبًا، وإن وقعت على عود

لم تكسره، وانصح لله نصح الكلب لأهله يجيعونه ويطردونه ويضربونه ويأبى إلا أن ينصح لهم.

وكان أبو عبد الله إذا ذكر هذه الحديث الذي دار بين الرجل والراهب قال:

- واسوأتاه إذا كان الكلب أنصح لأهله منك لله.

وقال وهب بن منبه:

- سمعت راهبًا يقول: إن لكل شيء طرفين ووسطًا، فإذا أمسكت بأحد الطرفين مال الآخر، وإذا أمسكت بالوسط اعتدل الطرفان.

ثم قال:

- عليكم بالأوسط من الأشياء.

أولياء الله:

قال وهب بن منبه:

قال الحواريون لعيسى بن مريم:

- يا روح الله، من هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟

قال عيسى عليه السلام:

- هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، فأصابوا منها ما يقوتهم يومًا بيوم، وتركوا وراء ذلك، فما عرض لهم من زللها رفضوه، وما ارتفع منها لغير الله وضعوه، خلقت - أصبحت بالية قديمة - الدنيا عندهم فلم يُجدِّدُوها وخَرَبت في صدورهم فلم يُعَمروها، فهم يهدمونها ويبنون آخرتهم، ويبيعونها ويشترون ما يبقى لهم، لهم حال غريب، وعندهم الخير العجيب، بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق، وبه نطقوا، ليسوا يرون نائلاً

دون مـا ينهجـون، ولا أمانًـا دون مـا يرجـون، ولا خوفًـا دون مـا يجدون، أولئك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

لما أهبط آدم إلى الأرض:

قال أبو عبد الله:

لمـا أهبط آدم عليـه السـلام إلـى الأرض اسـتوحش لفقد أصـوات الملائكة فهبط عليه جبريل فقال:

- يا آدم ألا أعلمك شيئًا تنتفع به في الدنيا والآخرة؟

قال آدم عليه السلام:

- بلى.

قال جبريل عليه السلام:

- قل: اللهم تمم لي النعمة حتى تهنئني - تنسيني - المعيشة.

اللهم اختم لي بخير حتى لا تضرني ذنوبي.

اللهم اكفني مؤونة الدنيا وكل هول في القيامة حتى تدخلني الجنة في عافية.

قال موسى عليه السلام:

قال وهب بن منبه:

- قال موسى عليه السلام يا رب إنهم سيسألوني: كيف كان ربك؟

قال الله عز وجل:

-(فأخبرهم أني أنا قبل كل شيء وبعد كل شيء).

وقال أبو عبد الله:

- قـال موسـى عليـه السـلام: إلــهي مـا جـزاء مـن ذكـرك بلسـانه وقلبه؟

قال تعالى:

-(يا موسى أظله يوم القيامة بظل عرشي وأجعله في كنفي).

قال موسى عليه السلام:

- يا رب: أي عبادك أشقى؟

قال الله عز وجل:

-(من لا تنفعه موعظة ولا يذكرني إذا خلا).

فقال كليم الله:

- يا رب أي عبادك أحب إليك؟

قال تبارك وتعالى:

-(الذين يعودون المرضى ويعزون الثكلى ويشيعون الهلكى).

وقال أبو عبد الله:

- أوحى الله تعالى إلى موسى:(إذا دعوتني فكن مشفقًا وجلا، وعفر خدك بالتراب واسجد لي بمكارم وجهك وبدنك، واسألني حين تسألني بخشية من قلب وجل، واخشني – وأحسن – أيام الحياة، وعلم الجاهل آلائي – نعمي وقدرتي –، وقل لعبادي: لا يتمادوا في غي ما هم فيه، فإن أخذي أليم شديد).

وقال وهب بن منبه:

- قام موسى عليه السلام، فلما رأته بنو إسرائيل قامت إليه، فأومأ - أشار - إليهم أن اجلسوا، فجلسوا، فذهب حتى جاء الصور، فإذا هو بنهر أبيض فيه مثل رءوس الكباش كافور محفوف بالرياحين، فلما أعجبه ذلك وثب فيه فاغتسل وغسل ثوبه، ثم خرج وهيأ ثيابه ورجع إلى الماء فاستنقع فيه حتى جفت ثيابه فلبسها، ثم أخذ نحو الكثيب الأحمر الذي هو فوق الصور فإذا هو برجلين يحفران قبرًا، فقام عليهما وقال:

- ألا أعينكما؟

قالا:

- بلى.

فنزل يحفر، وتساءل موسى عليه السلام:

- لتحدثاني مثل من الرجل - مثل من الرجل الذي سيدفن في هذا القبر -؟

قال الرجلان:

- على طولك وعلى هيأتك.

فاضطجع عليه فالتأمت عليه الأرض، فلم ينظر إلى قبر موسى عليه السلام إلا الرحمة، فإن الله عز وجل أصم الرجلين وأبكمهما.

اثنان وعشرون حرفًا:

قال أبو عبد الله:

اثنان وعشرون حرفًا، كان الصلحاء السابقون من أهل الأديان السماوية يجتمعون في حلقات يتذاكرونها ويتدارسونها.

لا كنز أنفع من العلم.

ولا مال أربح من الحلم.

ولا حسب أوضع من الغضب.

ولا قرين أزين من العلم.

ولا رفيق أشين - أقبح - من الجهل.

ولا شرف أعز من التقوى.

ولا كرم أوفى من ترك الهوى.

ولا عمل أفضل من الفكر.

ولا حسنة أعلى من الصبر.

ولا سيئة أخزى من الكبر.
ولا دواء ألين من الرفق.
ولا داء أوجع من الحزن.
ولا رسول أعدل من الحق.
ولا دليل أنصح من الصدق.
ولا فقر أذل من الطمع.
ولا غنى أشقى من الجمع.
ولا حياة أطيب من الصحة.
ولا معيشة أهنأ من العفة.
ولا عبادة أحسن من الخشوع.
ولا زهد خير من القنوع.
ولا حارس أحفظ من الصمت.
ولا غائب أقرب من الموت.

المؤمن:

قال أبو عبد الله:

المؤمن مفكر مذكر مزدجر، تفكر فعلته السكينة، وتذكر فوصل القربة، وازدجر فباين الحوبة، سكن فتواضع، قنع فلم يهتم، رفض الشهوات فصار حرًا، ألقى الحمد فظهرت له المحبة، زهد في كل فانٍ فاستكمل العقل، رغب في كل باق فعقل المعرفة، فقلبه متعلق بهمه، وهمه موكل بمعاده، لا يفرح إذا فرح أهل الدنيا لفرحهم، بل حزنه عليه سرمدًا - السرمد: الدائم - فهو دهره محزون، وفرحه إذا ما نامت العيون، يتلو كتاب الله يردده على قلبه، ومرة تهطل عيناه، يقطع عنه الليل بالتلاوة، ويقطع عنه النهار بالخلوة، مفكرًا في ذنوبه، مستصغرًا لأعماله.

قال وهب بن منبه:

- فهذا ينادي يوم القيامة في ذلك الجمع العظيم على رءوس الخلائق:

- قم أيها الكريم فادخل الجنة.

صخرة بيت المقدس:

قال وهب بن منبه:

قال الله تعالى لصخرة بيت المقدس:

- لأضعن عليك عرشي، ولأحشرن عليك خلقي وليأتينك داود يومئذ راكبًا.

الحاكم والجور:

قال وهب بن منبه:

- إذا هم الحاكم بالجور أو عمل به أدخل الله النقص على أهل مملكته حتى في الأسواق والأرزاق والزرع والضرع وكل شيء، وإذا هم بالخير أو العدل أدخل الله البركة في أهل مملكته كذلك.

العابد وزعيم أهل النار:

قال وهب بن منبه:

إن راهبًا تخلى في صومعته في زمان المسيح عليه السلام، فأراد إبليس أن يكابده فلم يقدر، ثم أتاه بكل زائدة فلم يقدر عليه، فأتاه متشبهًا بالمسيح عليه السلام فناداه:

- أيها الراهب أشرف - الشرف: العلو والمكان العالي - علىَّ أكلمك.

قال الراهب:

- انطلق لشأنك فلست أزيد ما مضى من عمري؟

قال إبليس:

- أشرف عليَّ فأنا المسيح.

قال الراهب:

- إن كنت المسيح فمالي إليك من حاجة، أليس قد أمرتنا بالعبادة؟ فوعدتنا القيامة، فانطلق إلى شأنك فلا حاجة بي إليك.

فتركه زعيم أهل النار وأولاه ظهره.

قال أبو عبد الله:

كان رجل عابد من السياح أراده الشيطان من قبل الشهوة والرغبة والغضب، فلم يستطع له شيئًا، فمثل له بحية وهو يصلي، فالتوى بقدمع وجسده، ثم أطلع رأسه عند رأسه، فلم يلتفت في صلاته، ولم يستأخر منها، فلما أراد أن يسجد التوى في موضع سجدته، فلما وضع رأسه ليسجد فتح فاه ليلتقم رأسه، فوضع رأسه فجعل يعركه - عرك الشيء دلكه - حتى استمكن من الأرض لسجدته، فقال له الشيطان:

- إني أنا صاحبك الذي كنت أخوفك فأتيتك من قبل الشهوة والرغبة والغضب، وأنا الذي كنت أتمثل لك بالسباع والحية فلم أستطع لك شيئًا، وقد بدا لي أن أصادقك ولا أراك في صلاتك بعد اليوم.

فقال العابد:

- لا يوم خوفتني بحمد الله خفتك، ولا اليوم في حاجة من فضله.

قال الشيطان:

- ألا تسألني عما شئت أخبرك؟

قال العابد:

- ما عسيت أن أسألك عنه؟

قال الشيطان:

- ألا تسألني عن مالك ما فعل بعدك؟

قال العابد:

- لو أردت ذلك ما فارقته.

قال الشيطان:

- ألا تسألني عن أهلك من مات منهم؟

قال العابد:

- أنا مت قبلهم.

قال الشيطان:

- أفلا تسألني عما أضل به بني آدم؟

قال العابد:

- بلى، فأخبرني ما أوثق ما في نفسك أن تضلهم به؟

قال الشيطان:

- ثلاثة أخلاق: من لم يستطع بشيء منها غلبناه بالشح والحدة والسكر، فإن الرجل إذا كان شحيحًا قللنا ماله في عينه، ورغبناه في أموال الناس، وإذا صار الرجل حديدًا - الحدة: ما يعتري الإنسان من النزق والغضب - تزاورناه كما يتزاور الصبيان الكرة، ولو كان يحي الموتى بدعوته لم نيأس منه فإن ما يبني يهدمه لنا بكلمة، وإذا سكر الرجل اقتدناه إلى كل شهوة كما يقتاد من أخذ العنز بأذنها حيث شاء.

حدثني عن زبور داود:

ذات يوم كان وهب بن منبه جالسًا في المسجد الحرام فسأله رجل:

- حدثني رحمك الله عن زبور داود عليه السلام.

فقال أبو عبد الله:

- نعم، وجدت في آخر ثلاثين سطرًا:

يا داود اسمع مني والحق أقول من لقيني وهو يحبني أدخلته جنتي.

يا داود اسمع مني والحق أقول من لقيني وهو يخاف عذابي لم أعذبه.

يا داود اسمع مني والحق أقول من لقيني وهو مستحي من معاصيه أنسيت الحفظة ذنوبه.

يا داود اسمع مني والحق أقول لو أن عبدًا من عبادي عمل حشو الدنيا ذنوبًا مغاربها ومشارقها ثم ندم حلب شاة واستغفرني مرة واحدة، وعلمت من قلبه أن لا يعود إليها ألقيتها عنه أسرع من هبوط الماء من السماء إلى الأرض.

يا داود اسمع مني والحق أقول لو أن عبدًا أتاني بحسنة واحدة حكمته في جنتي.

قال داود عليه السلام:

- من أجل ذلك لا يحل لمن عرفك أن يقطع رجاءه منك.

قال عز وجل:

- يا داود يكفي أوليائي اليسير من العمل كما يكفي الطعام القليل من الملح.

يا داود هل تدري متى أتولاهم؟ إذا طهروا قلوبهم من الشرك، ونزعوا قلوبهم من الشك، وعلموا أن لي جنة ونارًا، وأني أحيي وأميت وأبعث من في القبور، وأني لم أتخذ صاحبة ولا ولدًا فإن توفيتهم بيسير من العمل وهم يوقنون بذلك جعلته عظيمًا عندهم.

هل تدري يا داود من أسرع مرًا على الصراط؟

الذين يرضون بحكمي وألسنتهم رطبة من ذكري.

هل تدري يا داود أي المؤمنين أعظم منزلة عندي؟

الذي هو بما أعطى أشد فرحًا بما حبس - ترك لنفسه -.

هل تدري يا داود أي الفقراء أفضل؟

الذين يرضون بحكمي وبقسمتي ويحمدونني على ما أنعمت عليهم من المعاش.

هل تدري يا داود أي المؤمنين أحب إليَّ أن أطيل حياته؟ الذي إذا قال: لا إله إلا الله اقشعر جلده، فإني أكره له الموت كما يكرهه الوالد لولده ولابد منه، إني أريد أن أسره إلى دار سوى هذه الدار فإن نعيمها فيها بلاء ورخاءها فيها شدة، فيها عدو لا يألوهم فيها خبالاً يجرى منهم مجرى الدم - الشيطان -، من أجل ذلك عجلت أوليائي إلى الجنة، لولا ذلك ما مات آدم ولا أولاده المؤمنين حتى ينفخ في الصور.

إني أدري ما تقول في نفسك يا داود، تقول: قطعت عنهم عبادتك، أما تعلم يا داود أني أثيب المؤمن على عثرة يعثرها؟ فكيف إذا ذاق الموت وهو أعظم المصائب وترى جسده الطيب بين أطباق الثرى؟ إنما أحبسه طول ما أحبسه لأعظم له الأجر وأجرى عليه أحسن ما كان يعمله إلى يوم القيامة.

قال داود عليه السلام:

- لك الحمد إلهي من أجل ذلك سميت نفسك أرحم الراحمين، إلهي فما جزاء من يعزى الحزين على المصائب ابتغاء مرضاتك؟

قال عز وجل:

- جزاؤه أن ألبسه رداء الإيمان، ثم لا أنزعه عنه أبدًا.

قال داود عليه السلام:

إلـهي فما جزاء من يشيع الجنائز ابتغاء مرضاتك؟

قال العزيز الحكيم:

- جزاؤه أن تشيعه ملائكتي يوم يموت وأصلي على روحه في الأرواح.

قال داود عليه السلام:

- إلـهي فما جزاء مساعد الأرملة واليتيم ابتغاء مرضاتك؟

قال الكريم المنان:

- جزاؤه أن أظله في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي.

قال داود عليه السلام:

- إلـهي فما جزاء من يبكي من خشيتك حتى تسيل دموعه على وجنتيه؟

قال تعالى:

- جزاؤه أن أحرم وجهه على النار.

القصر والكوخ:

بنى جبار من الجبابرة قصرًا وشيده، فجاءت عجوز فقيرة فبنت إلى جنبه كوخًا صغيرًا تأوي إليه، فركب الجبار يومًا فرسًا وطاف حول قصره، فرأى الكوخ فتساءل:

- لمن هذا؟

فقيل:

- لامرأة عجوز فقيرة تأوي إليه.

فأمر به فهدم.

فجاءت العجوز فرأت كوخها مهدومًا فقالت:

- من هدمه؟

فقيل لها:

- الملك رآه فهدمه.

فرفعت العجوز رأسها إلى السماء وقالت:

- يا رب لم أكن حاضرة فأين كنت أنت؟

فأمر السميع البصير جبريل عليه السلام أن يقلب القصر على من فيه.. فقلبه.

اعمل ليوم القيامة:

بينما أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذا أتي بحجر منقوش، فطلب من يقرأه، فأتي بوهب بن منبه فقرأه، فإذا فيه:

ابن آدم إنك إذا رأيت قرب ما بقى من أجلك لزهدت في طول أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك، ولقصرت من حرصك وحيلك، وإنما يلقاك غدا ندمك، وقد زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، فبان منك الوليد القريب، ورفضك الوالد والنسيب، فلا أنت إلى دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة، قبل الحسرة والندامة.

فبكى أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك بكاءً شديدًا.

الحمد لله:

مر وهب بن منبه ومعه رجل بمبتلى أعمى، مجذوم، مقعد، عريان وهو يقول:

- الحمد لله على نعمته.

فقال الرجل الذي كان مع أبي عبد الله:

- أي شيء بقى عليك من النعمة تحمد الله عليها؟

قال المبتلى:

- ارم ببصرك إلى أهل المدينة فانظر إلى كثرة أهلها، أولاً أحمد الله أنه ليس فيها أحد يعرفه غيري؟

لأعملن اليوم مع ربي:

قال وهب بن منبه:

لبث رجل عابد سبعة أيام لم يرزق شيئًا، فقالت له امرأته:

- لو خرجت فطلبت لنا شيئًا؟

فخرج العابد فوقف مع العمال، فاستؤجر العمال، وصرف الله عن العابد الرزق، ولم يستأجره أحد فقال:

- والله لأعملن اليوم مع ربي.

فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل، ولم يزل راكعًا ساجدًا حتى أمسى.

وأتى أهله فقالت امرأته:

- ما صنعت اليوم؟

قال العابد:

- عملت مع أستاذي، وقد وعدني أن يعطيني.

ثم غدا إلى السوق فوقف مع العمال، فاستؤجر العمل، وصرف الله عنه الرزق، ولم يستأجره أحد فقال:

- لأعملن اليوم مع ربي.

فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل، ولم يزل راكعًا ساجدًا حتى إذا أمسى أقبل على أهله فقالت امرأته:

- ماذا صنعت؟

قال العابد:

- إن أستاذي قد وعدني أن يجمع لي أجرتي.

فخاصمته امرأته وبرزت عليه، ولبث يتقلب ظهرًا لبطن، وبطنًا لظهر، وصبيانه يتضاغون جوعًا، ثم غدا إلى السوق، فاستؤجر العمال وصرف الله عنه الرزق ولم يستأجره أحد فقال:

- والله لأعملن اليوم مع ربي.

فجاء إلى ساحل البحر فاغتسل، ولم يزل راكعًا ساجدًا حتى إذا أمسى قال:

- أين أمضي؟ وأنا قد تركت العيال يتضاغون جوعًا.

ثم تحامل على جهد منه، حتى إذا قرب من باب داره سمع ضحكًا وسرورًا، وشم رائحة قديد وشواء، فأخذ على بصره وقال:

- أنا نائم أم يقظان؟ تركت أقوامًا يتضاغون جوعًا، وأشم رائحة قديد وشواء، وأسمع ضحكًا وسروراً؟

ثم دنا من باب داره فطرق الباب، فخرجت امرأته حاسرة، قد حسرت عن ذراعيها وهي تضحك في وجهه، ثم قالت:

- قد جاءنا رسول أستاذك فأتانا بدنانير وكسوة وودق - الدهن - ودقيق، وقال: إذا جاء فلان فأقرئيه السلام وقولي له: إن أستاذك يقول لك: قد رأيت عملك وقد رضيته، فإن زدتني في العمل زدتك في الأجر.

ثم قال:

عليك إذا ضاق أمورك والتوت ::: بصبر فإن الضيق مفتاحه الصبر
ولا تشكون إلا إلى الله وحده ::: فمن عنده تأتي الفوائد والنصر

وهب بن منبه وعطاء الخرساني:

لقي أبو عبد الله عطاء الخرساني - كان أحد الفقهاء من التابعين - فقال له:

- ويحك يا عطاء ألم أخبرك أنك تحمل علمك إلى أبواب الملوك وأبناء الدنيا؟

ويحك يا عطاء تأتي من يغلق عنك بابه ويظهر لك فقره، ويواري عنك غناه، وتدع من يفتح لك بابه ويظهر لك غناه ويقول:{ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ} [سورة غافر الآية: ٦٠].

ويحك يا عطاء ارض بالدون - القليل - من الدنيا مع الحكمة ولا ترض بالدون من الحكمة مع الدنيا.

ويحك يا عطاء إن كان يغنيك ما يكفيك فإن أدنى ما في الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس في الدنيا شيء يكفيك.

ويحك يا عطاء إنما بطنك بحر من البحور وواد من الأودية فليس يملؤه إلا التراب.

فقال عطاء الخرساني:

- يا أبا عبد الله ما هذا الكلام الذي بلغني أنه قد فشا - انتشر - عنك في القدر؟

قال وهب بن منبه:

- ما تكلمت في القدر بشيء ولا أعرف هذا.

ثم قال أبو عبد الله:

- كان العلماء قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم فكانوا لا يلتفتون إلى دنيا غيرهم، وكان أهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة في علمهم، فأصبح أهل العلم اليوم فينا يبذلون لأهل الدنيا علمهم رغبة في دنياهم، وأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم لما رأوا من سوء موضعهم عندهم.

فإياك وأبواب السلاطين، فإن عند أبوابهم فتنًا كمبارك الإبل، لا تصيب دنياهم شيئًا إلا وأصابوا من دينك مثله.

ثم قال عطاء الخرساني.

- يا أبا عبد الله حدثني حديثًا أحفظه عنك في مقامي وأوجز.

قال وهب بن منبه:

- أوحى الله إلى داود، يا داود أما وعزتي وعظمتي لا يشعر بي عبد من عبادي دون خلقي أعلم ذلك من نيته فتكيده في السماوات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلت له فرجًا ومخرجًا، أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني أعلم ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماوات من يده، وأرضخت الأرض من تحته، ولا أبالي في أي واد هلك.

وسئل وهب بن منبه:

- ما الحكمة في أن لم يعط إبليس اثنين من بني آدم وأعطى أربعة؟ أعطى من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، من الجهات الأربع ولم يعط إبليس أن يأتيه من فوق ولا من تحت؟

قال وهب بن منبه: لأن الأربع جهات تدخلها المشاركة في الأعمال، وفوق موضع نظر الرب جل جلاله إلى قلوب عباده المؤمنين، وتحت موضع سجود الساجدين بين يدي رب العالمين.

شبر في الجنة خير من الدنيا وما فيها:

قال وهب بن منبه:

إن في رياض الجنة نهرًا من أنهارها فهو أصل أنهار الجنة، كلها أظهره الله عز وجل حيث ما أراد، وأن النيل نهر العسل، ودجلة نهر اللبن في الجنة، والفرات نهر الخمر في الجنة، وسيحان نهر الماء في الجنة، وجيحان كذلك، وهما بأرض الهند، وهما نهر الماء في الجنة، وصفهم الله عز وجل في الدنيا حتى يصيرهم إلى الجنة.

وقال وهب عن عبد الله بن عباس:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(مكتوب على باب الجنة: إني أنا الله لا إله إلا أنا لا أعذب من قالها، إني أنا الله لا إله إلا أنا، محمد رسول الله لا أعذب من قالها).

وقال خاتم الأنبياء (صلي الله عليه وسلم) :

-(لشبر في الجنة خير من الدنيا وما فيها).

حكم قدسية:

قال وهب من منبه:

- أنزل على الأنبياء عليهم السلام: عجبًا لمن لا يرحم نفسه كيف يرحم؟ وعجبًا لم يدوم على المعصية كيف يرجو حسن المآب؟، وعجبًا لمن يعمل أعمال النيران وهو يطلب نعيم الجنان؟

سفينة نوح عليه السلام:

قال وهب بن منبه:

لما أمر نوح عليه السلام أن يحمل من كل زوجين اثنين قال:

- رب كيف أصنع بالأسد والبقرة؟ وكيف أصنع بالعناق - العناق: الأنثى من ولد المعز، الجمع أعنق - والذئب؟ وكيف أصنع بالحمام والهر؟

قال عز وجل:

من ألقى بينهما العداوة؟

قال نوح عليه السلام:

- أنت.

قال الذي يقول للشيء كن فيكون:

- فإني أؤلف بينهم حتى لا يتضررون.

خواتيم رب العالمين في الأرض:

سأل أبو رفيع وهب بن منبه عن الدنانير والدراهم.

فقال أبو عبد الله:

- خواتيم رب العالمين في الأرض لمعاش بني آدم، لا تؤكل ولا تشرب، فأين ذهبت بخاتم رب العالمين قضيت حاجتك.

المؤمن والشيطان:

قال أبو عبد الله:

- ليس من الآدميين أحد إلا ومعه شيطان موكل به.

أما الكافر فيأكل معه من طعامه ويشرب من شرابه، وينام معه على فراشه.

أما المؤمن فهو مجانب له ينتظر متى يصيب منه غفلة أو غرة فيثب عليه وأحب الآدميين إلى الشيطان الأكول النؤوم.

وقال أبو عبد الله:

- لإزالة الجبل صخرة صخرة وحجر حجر، أيسر على الشيطان من مكابدة المؤمن الغافل، لأنه إذا كان مؤمنًا عاقلاً ذا بصيرة، فلهو أثقل على الشيطان من الجبال، وأصعب من الحديد، وأنه ليزايله بكل حيلة، فإذا لم يقدر أن يستزله قال:

يا ويله ما له ولهذا، لا حاجة لي بهذا، ولا طاقة لي بهذا فيرتفضه ويتحول إلى الجاهل فيستأسره ويستمكن من قياده حتى يسلمه إلى الفضائح التي يتعجل بها في عاجل الدنيا كالجلد والحلق وتسخيم الوجوه والقطع - قطع اليد كحد للسرقة مثلاً - والرجم - إذا زنا - والصلب، وأن الرجلين ليستويان في أعمال البر فيكون بينهما كما بين المشرق والمغرب إذا كان أحدهما أعقل من الآخر.

آكل لحوم الخنازير:

قال وهب بن منبه:

أُتِي رجل من أفضل أهل زمانه إلى ملك كان يفتن الناس على أكل لحم الخنزير، فأعظم الناس مكانه، وهالهم أمره، فقال له صاحب شرطة الملك سرًا بينه وبينه -:

- أيها العالم اذبح جديًا - ذكر المعز - مما يحل لك أكله، ثم ادفعه إليَّ حتى أصنعه لك على حدته، فإذا دعا الملك بلحم الخنزير أمرت به فوضع بين يديك فتأكل منه حلالاً، ويرى الملك والناس أنك إنما أكلت الخنزير.

فذبح ذلك العالم جديًا، ثم دفعه إلى صاحب الشرطة فصنعه له، وأمر الطباخين إذا أمر الملك بأن يقدم إلى هذا العالم لحم الخنزير أن يضعوا بين يديه لحم هذا الجدي.

واجتمع الناس لينظروا أمر هذا العالم فيه أيأكل أم لا؟

وقالوا:

- إن أكل أكلنا، وإن امتنع امتنعنا.

فجاء الملك فدعا لهم بلحوم الخنازير، فوضعت بين أيديهم، ووضع بين يدي ذلك العالم لحم ذلك الجدي الحلال المذكى.

فألهم الله ذلك العالم فألقى في روعه وفكره فقال:

- هب أني أكلت لحم الجدي الذي أعلم حله أنا، فماذا أصنع بمن لا يعلم؟ والناس إنما ينتظرون أكلي ليقتدوا بي، وهم لا يعلمون إلا أني إنما أكلت لحم الخنزير، فيأكلون اقتداء بي، فأكون ممن يحمل أوزارهم إلى يوم القيامة، لا أفعل والله وإن قتلت وحرقت بالنار.

وأبى أن يأكل.

فجعل صاحب الشرطة يغمز إليه ويومئ إليه ويأمره أن يأكل أي وكأنه يقول:

- إنما هو لحم الجدي.

فأبى أن يأكل.

ثم أمره الملك أن يأكل.

فأبى.

فألحوا عليه.

فأبى.

فأمر الملك صاحب الشرطة بقتله.

فلما ذهبوا به ليقتلوه، قال له صاحب الشرطة:

- ما منعك أن تأكل من اللحم الذي ذكيته أنت ودفعته إليَّ؟ أظننت أني أتيتك بغيره، وخنتك فيما ائتمنتني عليه؟ ما كنت لأفعل والله إنه لحم الجدي الذي ذبحته.

فقال له العالم:

- قد علمت أنه هو، ولكن خفت أن يقتاس - يتأسى - بي الناس، وهم إنما ينتظرون أكلي منه، ولا يعلمون إلا أني أكلت لحم الخنزير، فكل من أراده على أكل لحم الخنزير يقول: قد أكله فلان، فأكون فتنة لهم.

فَقُتل.

مفتاح الجنة:

قيل لأبي عبد الله:

- أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟

قال وهب بن منبه:

- بلى، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان من أتى الباب بأسنانه فتح له ومن لم يأت الباب بأسنانه لم يفتح له.

الجنات وأسماؤها:

قال وهب بن منبه عن عبد الله بن عباس قال:

لما خلق الله تبارك وتعالى الجنات يوم خلقها وفضل بعضها على بعض فهي سبع جنات: دار الخلد، ودار السلام، وجنة عدن وهي قصبة الجنة، وهي مشرفة على الجنان كلها وهي دار الرحمن تبارك وتعالى ليس كمثله شيء ولا يشبه شيء، ولباب جنات عدن مصراعان من زمرد وزبرجد من نور كما بين المشرق والمغرب، وجنة المأوى، وجنة الخلد، وجنة الفردوس، وجنة النعيم.

سبع جنات خلقها الله عز وجل من النور كلها، مدائنها وقصورها، وبيوتها وشرفها، وأبوابها، ودرجها، وأعلاها، وأسفلها، وآنيتها وحليها، وجميع أصناف ما فيها من الثمار المتدلية، والأنهار المطردة بألوان الأشربة، والخيام المشرفة، والأشجار الناضرة بألوان الفاكهة، والرياحين العبقة، والأزهار الزاهرة، والمنازل البهية، المعجبة.

للكفر أربعة أركان:

قال أبو عبد الله:

- قرأت في الحكمة: للكفر أربعة أركان:

ركن منه الغضب.

وركن منه الشهوة.

وركن منه الطمع.

وركن منه الخوف.

لقمان يعظ ابنه:

قال وهب بن منبه:

- قال لقمان لابنه يا بني أعقل عن الله، فإن أعقل الناس عن الله أحسنهم عقلاً، وإن الشيطان ليفر من العاقل وما يستطيع أن يكابده.

وقال أبو عبد الله:

- قال لقمان لابنه: يا بني إن مثل أهل الذكر والغفلة كمثل النور والظلمة.

وقال وهب بن منبه:

- قال لقمان لابنه يا بني لا ترسل رسولك جاهلاً، فإن لم تجد حكيمًا، فكن رسول نفسك.

وقال أبو عبد الله:

- قال لقمان لابنه: يا بني إن الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيه ناس كثير، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله لعلك تنجو، وما أراك ناجيًا.

وقال وهب بن منبه:

- قال لقمان لابنه: يا بني لا يأكل طعامك إلا الأتقياء، وشاور في أمرك العلماء.

سبع خصال:

قال وهب بن منبه:

اجتنب سبع خصال يسترح جسمك وقلبك، ويسلم لك عرضك ودينك:

لا تحزن على ما فاتك.

ولا تحمل هم ما لم ينزل.

ولا تلم الناس على ما فيك مثله.

ولا تطلب الجزاء على ما لم تعمل.
ولا تنظر بشهوة إلى ما لم تملك.
ولا تغضب على من لم يضره غضبك.
ولا تمدح من لم يعلم من نفسه خلاف ذلك.

أخاف أن يبقى على حمقى:

قال وهب بن منبه لرجل:
- أيسُرّك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنك أحمق؟
قال الرجل:
- لا والله.
فتساءل وهب بن منبه:
- ولم؟
قال الرجل:
- أخاف أن يجني عليَّ حمقي جناية، فيذهب مالي، ويبقى عليَّ حمقي.

الأرزاق:

قال وهب بن منبه:
- لا يشكن ابن آدم أن الله عز وجل يوقع - يقسم - الأرزاق متفاضلة ومتخلفة، فإن تقلل ابن آدم شيئًا من رزقه فليزده رغبة إلى الله عز وجل، ولا يقولن لو اطلع الله هذا وشعر به غيره، فكيف لا يطلع الله الشيء الذي هو خلقه وقدره؟ أولا يعتبر ابن آدم في غير ذلك مما يتفاضل فيه الناس، فإن الله فضل بينهم في الأجسام والألوان والعقول والأحلام، فلا يكبر على ابن آدم أن يفضل الله عليه في الرزق والمعيشة، ولا يكبر عليه أنه قد فضل عليه في علمه وعقله،

أولا يعلم ابن آدم أن الذي رزقه في ثلاثة أوان من عمره لم يكن له في واحد منهم كسب ولا حيلة، أنه سوف يرزقه في الزمن الرابع، أول زمن من أزمانه حين كان في رحم أمه يخلق فيه ويرزق من غير مال كسبه في قرار مكين، ولا يؤذيه في حر ولا قر، ولا شيء يهمه، ثم أراد الله أن يحوله في تلك المنزلة إلى غيرها، ويحدث له في الزمن الثاني رزقًا من أمه يكفيه ويغنيه من غير حول ولا قوة، ثم أراد الله أن يعصمه من ذلك اللبن ويحوله من الزمن الثالث في رزق يحدثه له من كسب أبويه يجعل له الرحمة في قلوبهما حتى يؤثرانه على أنفسهما بكسبهما ويستغنيا روحه بما يعنيهما لا يعنيهما في شيء من ذلك بكسب ولا حيلة يحتالها حتى يعقل ويحدث نفسه أن له حيلة وكسبًا، فإنه لم يغنه في الزمن الرابع إلا من أغناه ورزقه في الأزمان الثلاثة التي قبلها، فلا مقال له ولا معذرة إلا برحمة الله هو الذي خلقه، فإن ابن آدم كثير الشك، يقصر به حلمه وعقله عن علم الله، ولا يتفكر في أمره، ولو تفكر حتى يفهم ويفهم حتى يعلم علم أن علامة الله التي بها يعرف خلقه الذي خلق ورزقه لما خلق.

التوبة:

قال وهب بن منبه:

كان أول عابد من عباد بني إسرائيل قد عبد الله تعالى أربعين سنة، ثم أخطأ خطيئة، فخرج هاربًا من ذنبه طالبًا عفو ربه، حتى أتى البحر، فوقف ينادي:

- أيها البحر هل فيك من مخبأ؟

فأوحى الله عز وجل إليه:

أيها البحر أن أجب عبدي:

- ممن تريد المخبأ؟

قال العابد:

- من رب العالمين، فإني أستحي منه لما كان من خطيئتي.

فقال البحر:

- سبحان الله، وكيف أستطيع ولا في قطرة إلا وهي موزونة بميزان، مكيلة بمكيال مع ملك موكل بها مع علم الله بي وبها.

فولى العابد وهو يقول:

- سبحانك ما أعظم سلطانك فأين المفر؟

ثم ولى حتى وقف في فلاة - صحراء - من الأرض ثم قال:

- أيتها الأرض الطويل طولك العريض عرضك هل فيك من مخبأ؟

فأوحى الله تعالى إليها:

أن أجيبي عبدي.

فقالت الأرض:

- ممن تريد المخبأ؟

قال العابد الهارب:

- من رب العالمين.

فقالت الأرض:

- سبحان الله، وكيف أستطيع ولا في حجر ولا مدر صغيره ولا كبيره وقد أحصيت عددا، وحققت وزنا مع ملك موكل بها، مع علم الله بي وبها.

فولى وهو يقول:

- سبحان الله ما أعظم شأنك وأعز سلطانك فأين المهرب؟

ثم لحق بالجبال، وجعل يتخللها، حتى وقف على أطولها جبلا وقال:

- أيها الجبل: هل فيك مخبأ؟

فأوحى الله تعالى إليه:

- أن أجب عبدي.

فقال الجبل:

- ممن تريد المخبأ؟

قال العبد الهارب:

- من رب العالمين.

فقال الجبل:

- سبحان الله، وكيف أستطيع ذلك ولا فيَّ صخرة صغيرة ولا كبيرة إلا وعليها ملك موكل بها مع علم الله بي وبها؟

فرع العابد الهارب طرفه إلى السماء وقال:

إلـهي فر مني كل شيء، وأسلمني وتباعد عني.

إلـهي أسألك إياك، وأعوذ بك منك.

فأرسل الله عز وجل إليه ملكًا في صورة ملك من بني آدم فقال له:

- الحق يقرئك السلام ويقول لك: أنا الله من عصاني أمهلته، فإن تمادى نهيته، فإن تاب قبلته، فإن سَوَّفَ دعوته، فإن أبى وأصر أخرته إلى الأجل الذي أجلته فآخذه بعد لي وأغفر له بفضلي، قد قبلت توبتك برجوعك إليَّ، وأنا التواب الرحيم.

صفة أمة خاتم الأنبياء (صلي الله عليه وسلم) **في الكتب القديمة:**

قال أبو عبد الله:

إن الله عز وجل يقول:

أمة محمد اخترتهم من الأمم، ثم اخترت من اختياري الذاكرين

في ليلهم ونهارهم، الدائبين شحوبهم، المنحلين أجسامهم، المشفقين من هيبتي وجلالي، فحق عليَّ أن أذكر من ذكرني، وأجيبه إذا دعاني، ولا أحجب عنهم وجهي إذا رفع بصرهم إليَّ، وأنا أباهي بهم سكان عرشي وحملة كرسي، وأنا كنت الذاكر لهم إذ لم تكن سماء ولا أرض.

فقلت في نفسي:

- إن لي أولياء وأصفياء لا يسأمون من ذكري ولا يسمع لهم حنين دوني، ولا لهم إرادة سواي.

للدين ثلاث علامات:

قال وهب بن منبه:

لكل شيء علامة يعرف بها وتشهد له أو عليه، وإن للدين ثلاث علامات يعرف بهن وهي:

الإيمان، والعلم، والعمل.

وللإيمان ثلاث علامات: الإيمان بالله وملائكته وبكتبه ورسله.

وللعمل ثلاث علامات: الصلاة والزكاة والصيام.

وللعلم ثلاث علامات: العلم بالله وبما يحب الله وما يكره.

وللمتكلف ثلاث علامات: ينازع من فوقه ويقول ما لا يعلم ويتعاطى ما لا ينال.

وللظلم ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصية، ومن دونه بالغلبة، ويظاهر الظلمة.

وللمنافق ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان أحد عنده، ويحرص في كل أموره على المحمدة.

وللحاسد ثلاث علامات: يغتاب إذا غاب المحسود، ويتملق إذا شهد، ويشمت بالمصيبة.

وللمسرف ثلاث علامات: يشتري بما ليس له، ويأكل بما ليس له، ويلبس ما ليس به.

وللكسلان ثلاث علامات: يتوانى حتى يفرط، ويفرط حتى يضيع، ويضيع حتى يأثم.

وللغافل ثلاث علامات: السهو، واللهو، والنسيان.

إنك لم تقطع الهوى:

قال وهب بن منبه:

إن رجلاً من العباد قال لمعلمه:

- قد قطعت الهوى فلست أهوى من الدنيا شيئًا.

فقال له معلمه:

- أتفرق بين النساء والدواب إذا رأيتهن معًا؟

قال الرجل:

- نعم.

قال المعلم:

- أتفرق بين الدنانير والحصى إذا رأيتهن معًا؟

قال الرجل:

- نعم.

قال المعلم:

- يا بني إنك لم تقطع الهوى عنك ولكنك قد توثقته.

إعجاب المرء بنفسه:

وقف وهب بن منبه يومًا على المنبر فقال:

- احفظوا مني ثلاثًا:

إياكم وهوى متبعًا.

وقرين سوء.

وإعجاب المرء بنفسه.

ولما فرغ من خطبته سأله رجل:

- يا أبا عبد الله رجلان يصليان أحدهما أطول قنوتًا وصمتًا، والآخر أطول سجودًا، أيهما أفضل؟

قال وهب بن منبه:

- **أنصحهما لله عز وجل.**

ثم سأل أبو عبد الله أصحابه:

- أي أمر الله أسرع؟

فقال بعضهم:

- عرش بلقيس حين أُتيَ به سليمان عليه السلام.

وقال بعضهم:

- قوله تعالى:{كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ} [سورة النحل الآية: ٧٧].

أي يقول للشيء كُن فيكون.

فقال أبو عبد الله:

- أسرع أمر الله أن يونس بن متى كان على حرف السفينة فبعث الله إليه حوتًا من نيل مصر فما كان أقرب، أو ما عدى إلا صار من حرفها في جوفه.

وسئل وهب بن منبه عن **أعظم الذنوب** فقال:

- إن أعظم الذنوب عند الله بعد الشرك بالله السخرية بالناس.

هم ملجمون بلجام من نار:

قال وهب بن منبه:

مر عيسى بن مريم عليه السلام بقرية قد مات أهلها، إنسها

وجنها وهوامها، وأنعامها وطيورها، فقام عليه السلام ساعة ثم أقبل على أصحابه فقال:

- مات هؤلاء بعذاب الله ولو ماتوا بغير ذلك ماتوا متفرقين.

ثم ناداهم روح الله وكلمته:

- يا أهل القرية.

فأجاب مجيب:

- لبيك يا روح الله.

فقال عيسى عليه السلام:

- ما كانت جنايتكم؟

قال:

- عبادة الطاغوت وحبنا الدنيا.

قال المسيح عليه السلام:

- وما كانت عبادتكم الطاغوت؟

قال:

- الطاعة لأهل معاصي الله.

فتساءل ابن مريم عليه السلام:

- فما كان حبكم للدنيا؟

قال:

- كحب الصبي لأمه، كنا إذا أقبلت فرحنا، وإذا أدبرت حزنا، مع أمل بعيد وإدبار عن طاعة الله تعالى وإقبال في سخط الله عز وجل.

فعاد روح الله وكلمته يتساءل:

- فكيف كان شأنكم؟

قال:

- بتنا ليلة في عافية وأصبحنا في هاوية.

قال عيسى بن مريم عليه السلام:

- وما الهاوية؟

قال:

- سجِّين.

قال المسيح عليه السلام:

- وما سجين؟

قال:

- جمرة من نار مثل أطباق الدنيا كلها دفنت أرواحنا فيها.

فقال ابن مريم عليه السلام:

- فما بال أصحابك لا يتكلمون؟

قال:

لا يستطيعون أن يتكلموا.

قال روح الله وكلمته:

- وكيف ذلك؟

قال:

- هم ملجمون بلجام من نار.

قال عيسى بن مريم عليه السلام:

- فيكف كلمتني أنت من بينهم؟

قال:

- إني قد كنت فيهم ولم أكن على حالهم، فلما جاء البلاء عمني معهم، وأنا معلق بشعرة في الهاوية - الهواء - لا أدري أأكرس في النار أو أنجو؟

قال روح الله وكلمته لأصحابه:

- بحق أقول لكم لأكل خبز الشعير وشرب الماء القراح والنوم على المزابل مع الكلاب لكثير مع عافية الدنيا والآخرة.

لقمة بلقمة:

قال وهب بن منبه:

بينما امرأة من بني إسرائيل على ساحل البحر تغسل ثيابها، وصبي لها يدب بين يديها إذ جاءها سائل، فأعطته لقمة من رغيف كان معها، فما كان بأسرع من أن جاء ذئب فالتقم الصبي، فجعلت تعدو خلفه وهي تقول:

- يا ذئب ابني.

فبعث الله عز وجل ملكًا انتزع الصبي من فم الذئب، ورمى به إليها وقال لها:

- لقمة بلقمة.

غضب الله ليس له دواء:

قال أبو عبد الله:

- أعوان الأخلاق على الدين الزهادة في الدنيا، وأسرعها ردءًا اتباع الهوى، ومن اتباع الهوى حب المال والشرف، ومن حب المال والشرف تنتهك المحارم، ومن انتهاك المحارم يغضب الله عز وجل، وغضب الله ليس له داوء.

إن للنبوة أثقالاً:

قال وهب بن منبه:

إن للنبوة أثقالاً ومؤونة لا يحملها إلا القوي، وإن يونس بن متى كان عبدًا صالحًا، فلما حملت عليه النبوة تفسح تحتها تفسح الربع عند الحمل، فرفضها من يده فخرج هاربًا، فقال الله للنبي (صلى الله عليه وسلم) :

-{فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ} [سورة الأحقاف الآية: ٣٥].

لم أذنب:

قال وهب بن منبه:

عَبَدَ لله عَبْدٌ خمسين سنة، فأوحى الله إليه:

- أن قد غفرت لك.

قال:

- أي رب وما تغفر لي ولم أذنب؟

فأذن الله لعرق في عنق العبد فضرب عليه لم ينم ولم يصل، ثم سكن فنام، فأتاه الملك فشكى إليه فقال:

- ما لقيت من ضربان العرق؟

فقال الملك:

- إن ربك يقول: عبادتك خمسين سنة تعدل سكون هذا العرق.

رسول الشيطان:

يقول منير مولى الفضل بن أبي عياش:

كنت جالسًا مع وهب بن منبه فأتاه رجل فقال:

- إني مررت بفلان وهو يشتمك.

فغضب أبو عبد الله وقال:

- ما وجد الشيطان رسولاً غيرك؟

يقول منير مولى الفضل بن أبي عياش:

- فما برحت حتى جاء ذلك الرجل الشاتم فسلم على وهب بن منبه فرد عليه أبو عبد الله ومد يده وصافحه وأجلسه إلى جنبه.

أجير السوء:

قال وهب بن منبه:

قال حكيم من الحكماء:

- إني لأستحي من الله عز وجل أن أعبده رجاء ثواب الجنة فقط، فأكون كالأجير السوء، إن أعطى عمل وإن لم يعط لم يعمل.

وإني لأستحي من الله أن أعبده مخافة النار فقط، فأكون كالعبد السوء إن رهب عمل، وإن ترك لم يعمل.

وإني ليستخرج مني حب الله ما لا يستخرج مني غيره.

معصية الله وطاعة الشيطان:

قال وهب بن منبه:

كان سائح يعبد الله تعالى، فجاءه إبليس أو شيطان فتمثل بإنسان، فجعل يريه أنه يعبد الله تعالى، وجعل يزيد عليه في العبادة، فأحبه ذلك السائح لما رأى من اجتهاده وعبادته، فقال له الشيطان وكان السائح في مصلاه:

- لو دخلنا المدينة فخالطنا الناس وصبرنا على أذاهم وأمرنا ونهينا كان أعظم لأجرنا.

فأجابه السائح إلى ذلك، فلما أخرج السائح إحدى رجليه من باب مصلاه لينطلق معه هتف به هاتف فقال:

- إن هذا شيطان أراد أن يفتنك.

فقال السائح:

- رِجْلٌ خرجت في معصية الله، وطاعة الشيطان لا تدخل معي.

فما حولها من موضعها ذلك حتى فارق الحياة.

فأنزل الله تعالى ذكره في بعض كتبه فقال:

- وذو الرِّجل.

وهب بن منبه يوصي ابن أخيه:

قال أبو عبد الله لعقيل بن معقل بن منبه:

يا بني أخلص طاعة الله بسريرة ناصحة يصدق الله فيها فعلك في العلانية، فإن من فعل خيرًا ثم أسره إلى الله فقد أصاب موضعه وأبلغه قراره، وأن من أسر عملاً صالحًا لم يطلع عليه أحدًا إلا الله فقد أطلع عليه من هو حسبه، واستودعه حفيظًا لا يضيع أجره، فلا تخافن على عمل صالح أسررته إلى الله عز وجل ضياعًا، ولا تخافن من ظلمه ولا هضمه، ولا تظنن أن العلانية هي أنجح من السريرة، فإن مثل السريرة كمثل ورق الشجر مع عرقها، والعلانية ورقها، والسريرة عرقها، إن نخر العرق هلكت الشجرة كلها ورقها وعودها، وإن صلحت صلحت الشجرة كلها ثمرها وورقها، فلا يزال ما ظهر من الشجرة في خير ما كان عرقها مستخفيًا لا يرى منه شيء، كذلك الدين لا يزال صالحًا ما كان له سريرة صالحة يصدق الله بها علانيته، فإن العلانية تنفع مع السريرة الصالحة، كما ينفع عرق الشجرة صلاح فرعها، وإن كان حياتها من قبل عرقها فإن فرعها زينتها وجمالها، وإن كانت السريرة هي ملاك - ملاذ - الدين فإن العلانية معهما تزين الدين وتجمله، إذا عملها مؤمن لا يريد بها إلا رضاء ربه عز وجل.

وقال وهب:

- ثلاثة من روح الدنيا: لقاء الإخوان، وإفطار الصائم، والتهجد من آخر الليل.

قال دنيال عليه السلام:

قال أبو عبد الله:

- قال دنيال عليه السلام: يا لهفتنا على زمان يتلمس فيه الصالحون فلا يوجد منهم أحد كالسنبلة أثر الحاصد، أو كالخصلة في أثر القاطف، يوشك نوائح أولئك وبواكيهم أن تبكيهم.

ألا أُعلِّمك طبًا!

قال وهب بن منبه لرجل من جلسائه:

- ألا أعلمك طبًا لا يتعايا فيه الأطباء، وفقهًا لا يتعايا فيه الفقهاء، وحلمًا لا يتعايا فيه الحلماء - وحكمًا لا يتعايا فيه الحكماء -؟

قال الرجل:

- بلى يا أبا عبد الله.

قال وهب بن منبه:

– **أما الطب الذي لا يتعايا فيه الأطباء**: فلا تأكل طعامًا إلا سميت الله على أوله وحمدته على آخره.

وأما الفقه الذي لا يتعايا فيه الفقهاء: فإن سئلت عن شيء عندك فيه علم فأخبر بعلمك وإلا فقل: لا أدري.

وأما الحلم الذي لا يتعايا فيه الحلماء: فأكثر الصمت إلا أن تسأل عن شيء.

عيسى عليه السلام وإبليس:

قال أبو عبد الله:

رأى إبليس عيسى عليه السلام على جبل بيت المقدس فقال له:

- زعمت أنك تحيي الموتى.

قال عيسى عليه السلام:

- كنت كذلك.

قال زعيم أهل النار:

- فادع الله أن يجعل هذا الجبل خبزًا.

فقال روح الله وكلمته:

- أو كل الناس يعيشون من الخبز؟

قال الملعون الرجيم:

- فإن كنت كما تقول فثب - اقفز - من هذا المكان فإن الملائكة ستلقاك.

قال المسيح عليه السلام:

- إن ربي أمرني أن لا أجرب نفسي، فلا أدري هل يسلمني أم لا؟

وكان عيسى بن مريم ذات يوم واقفًا على قبر ومعه الحواريون يتحدثون عن ظلمة القبر ووحشته وضيقه، فقال روح الله وكلمته:

- قد كنتم فيما هو أضيق منه في أرحام أمهاتكم فإذا أحب الله أن يوسع وسع.

الراهب والملك:

قال وهب بن منبه:

كان رجل من أفضل زمانه، وكان يزار فيعظم، فاجتمعوا إليه ذات يوم فقال:

- إنا قد خرجنا من الدنيا وفارقنا الأهل والأولاد والأوطان والأموال مخافة الطغيان، وقد خفت أن يكون قد دخل علينا في حالنا هذه من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم، وإنما يحب أحدنا أن تقضى حاجته.

فشاع ذلك الكلام حتى بلغ الملك فعجب به، وركب إليه ليسلم عليه وينظر إليه، فلما رآه الرجل وقيل له:

- هذا الملك قد أتاك ليسلم عليك.

فقال الراهب:

- وما يصنع بي؟

فقيل:

- للكلام الذي وعظت به.

فسأل ردأه - الردء: العون والناصر -:

- هل عندك طعام؟

قال:

- شيء من تمر الشجر مما كنت تفطر به.

فأتى به على مسح - ثوب من الشعر غليظ - فوضع بين يديه، وأخذ يأكل منه، وكان يصوم النهار ولا يفطر.

فلما وقف عليه الملك سلم عليه فأجابه بإجابة خفيفة وأقبل على طعامه يأكله.

فقال الملك:

- فأين الرجل؟

قيل له:

- هذا.

فتساءل الملك:

- هذا الذي يأكل؟

قيل:

- نعم.

فقال الملك:

- فما عنده هذا من خير؟

فأدبر الملك وانصرف.

فقال الراهب:

- الحمد لله الذي أذهبه عني هو لائم.

مفتاح رحمة الله:

قال أبو عبد الله:

إن الله تعالى ليس يحمد أحدًا على طاعته، ولا يسأل أحد من الخير إلا برحمته، وليس يرجو خير الناس ولا يخاف شرهم، ولا يعطف الله على الناس إلا رحمته إياهم، إن مكروا به مكرهم، وأن خادعوه رد عليه خداعهم، وإن كاذبوه رد عليهم كذبهم، وإن أدبروا قطع دابرهم ولا يخاف منهم شيئًا، وإن أقبلوا قبل منهم، وإن الله عز وجل لا يعطفه على الناس شيء من أمرهم إلا التضرع إليه حتى يحرمهم، ولا يستخرج أحد من الله شيئًا من الخير بحيلة ولا مكر ولا مخادعة ولا أوبة ولا سخط ولا مشاورة، ولكن يأتي بالخير من الله رحمته، ومن لم يتبع الخير من قبل رحمته لا يجد بابًا غير ذلك يدخل منه، **فإن الله تعالى لا ينال الخير منه إلا بطاعته**، ولا يعطف الله على الناس شيء إلا تعبدهم له وتضرعهم إليه حتى يرحمهم، فإذا رحمهم استخرجت رحمته حاجتهم من الله تعالى، وليس ينال الخير من الله من وجه غير ذلك، وليس إلى رحمة الله سبيل يؤتي من قبله

إلا تعبد العباد له وتضرعهم إليه، فإن رحمة الله تعالى باب كل خير يبتغي من قبله، وأن مفتاح ذلك التضرع إلى الله تعالى، فمن جاء بذلك المفتاح فتح لديه، ومن أراد أن يفتح ذلك الباب بغير مفتاحه لم يفتح كله، وباب خزائن الله رحمته، ومفتاح رحمة الله التضرع إليه، فمن حفظ ذلك المفتاح وجاء به فتح له الباب ودخل الخزائن، ومن دخل الخزائن فله فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وفيها ما يشاؤون وما يدعون في مقام أمين، لا يحولون عنها ولا يخافون ولا ينصبون - النصب: التعب - فيه، ولا يهرمون ولا يفتقرون فيه ولا يموتون، في نعيم مقيم وأجر عظيم، وثواب كريم نزلاً من غفور رحيم.

كيف لو دخلت النار!

قال أبو عبد الله:

كان رجل من السائحين في أرض فيها قثاء فدعته نفسه إلى أن يأخذ منها شيئًا، فعاقبها، فقام مكانه فصلى ثلاثة أيام فلوحته الشمس والريح والبرد، فمر به رجل فلما نظر إليه قال:

- سبحان الله لكأنما أحرق هذا الإنسان بالنار.

فقال السائح:

- هكذا بلغ مني خوف النار؟

فكيف لو دخلتها؟

* وقال وهب بن منبه:

أصاب رجل من الأولين ذنبًا فقال:

- الله على أن لا يظلني سقف بيت أبدًا حتى تأتيني براءة من النار.

فظل بالعراء في الحر والقر - البرد -، فمر به رجل ورأى شدة حاله فقال:

- يا عبد الله ما بلغ منك وما أرى؟

قال الرجل.

- بلغ بي ما ترى ذكر جهنم فكيف بي إن أنا وقعت فيها؟

كيف يغوي الشيطان الناس!

قال أبو عبد الله:

- إن رجلاً من بني إسرائيل صام سبعين أسبوعًا يفطر في كل سبعة أيام يومًا، وهو يسأل الله تعالى أن يريه كيف يغوي الشيطان الناس؟

فلما أن طال ذلك عليه ولم يجب قال:

- لو أقبلت على خطيئتي وعلى ذنبي وما بيني وبين ربي لكان خيرًا إلى من هذا الأمر الذي أطلب.

فأرسل الله تعالى إليه ملكًا فقال:

- إن الله عز وجل أرسلني إليك وهو يقول لك: إن كلامك هذا الذي تكلمت به أعجب إليَّ مما مضى من عبادتك وقد فتح بصرك.

فنظر فإذا أحبولة - شيء كالمصيدة أو الفخ - لإبليس قد أحاطت بالأرض، وإذا ليس أحد من بني آدم إلا حوله شياطين مثل الذباب، فقال الرجل:

- أي رب من ينجو من هذا؟

قال عز وجل:

- الورع اللين.

طوبى لمن تواضع لله:

قال وهب من مبنه:

طوبى لمن نظر في عيبه عن عيب غيره.

طوبى لمن تواضع لله من غير مسكنة، ورحم أهل الذل والمسكنة، وتصدق من مال جمع من غير معصية، وجالس أهل العلم والحلم، وأهل الحكمة، ووسعته السنة ولم يتعدها إلى البدعة.

أوحى الله إلى بعض أنبيائه:

قال وهب بن منبه:

أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه بعيني ما يتحمل المتحملون من أجلي، وما يكابد المكابدون في طلب مرضاتي، فكيف بهم إذا صاروا إلى داري، وتبحبحوا في رياض رحمتي؟ هنالك فليبشر المصفون لله أعمالهم بالنظر العجيب من الحبيب القريب، أتراني أنسى لهم عملاً؟ فكيف وأنا ذو الفضل العظيم، أجود على المولّين عني فكيف بالمقبلين عليَّ؟ وما غضبت على شيء كغضبي على من أخطأ خطيئة فاستعظمها في جنب عفوي، ولو تعاجلت العقوبة أحدًا وكانت العجلة من شأني لعاجلت القانطين من رحمتي، ولو رآني خيار المؤمنين كيف أستوبهم ممن اعتدوا عليه، ثم أحكم لمن وهبهم بالخلد المقيم، ما اتهموا فضلي وكرمي فكيف وأنا الديان الذي لا تحل معصيتي، وأنا الديان الذي أطاع برحمتي ولا حاجة لي بهوان من خاف مقامي، ولو رآني عبادي يوم القيامة كيف أرفع قصورًا تحار فيها الأبصار فيسألوني:

- لم ذا؟

فأقول:

- لمن وهب لي ولم يجمع على نفسه معصيتي والقنوط من رحمتي، وإني مكافئ على المدح فامدحوني.

البيضاء:

قال وهب بن منبه:

إن لله تعالى في السماء السابعة دارًا يقال لها البيضاء تجتمع فيها أرواح المؤمنين، فإن مات الميت من أهل الدنيا تلقفته الأرواح فيسألونه عن أخبار الدنيا كما يسائل الغائب أهله إذا قدم عليهم.

العالم الغلاب:

قال أبو عبد الله:

- من جعل شهوته تحت قدمه فزع الشيطان من ظله، ومن غلب حلمه هواه فهو العالم الغلاب.

وهب بن منبه ورواية الحديث عن خاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم) :

أدرك وهب بن منبه عدة من الصحابة، وأسند عن عبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، والنعمان بن بشير، وروى عن معاذ بن جبل، وعبد الرحمن بن صخر الدوسي - أبي هريرة - وعن أخيه همام بن منبه، وعن طاوس بن كيسان.

وروى عنه من التابعين عدة منهم عمرو بن دينار، ووهب بن كيسان، وزيد بن أسلم، وموسى بن عقبة، وعطاء بن السائب، وعمار الدهني، ومحمد بن جحادة، وأبان بن أبي عياش، ومن الأحاديث التي رواها أبو عبد الله:

قال السراج المنير (صلي الله عليه وسلم) :

-**(من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن)** (راوه الإمام أحمد، وأخرجه الترمذي كتاب الفتن عن ابن عباس).

وقال الصادق المصدوق (صلي الله عليه وسلم) :

-(لا يدخل الجنة من أتى ذات محرم) (رواه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية، والخرائطي عن عبد الله بن عمرو).

وقال الشافع المشفع (صلي الله عليه وسلم) :

-(إن الصدقة لتقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل، وإن الله ليدفع بها سبعين بابًا من مخازي الدنيا، منها الجذام، والبرص وسيئ الأسقام سوى ما لصاحبها من أجر في الآخرة) (رواه أبو نعيم في الحلية عن كعب بن فضالة بن عبيد).

وروى وهب بن منبه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لما قرأ قوله تعالى:{إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾} [سورة النصر الآيات: ١ - ٣].

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(يا جبريل نفسي قد نعيت).

قال جبريل عليه السلام:

- الآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى.

فأمر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بلالاً ينادي:

الصلاة جامعة.

فاجتمع المهاجرون والأنصار إلى مسجد رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، فصلى بالناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم خطب خطبة وجلت منها القلوب، وبكت منها العيون.

وذا يوم كان المبعوث للناس كافة (صلي الله عليه وسلم) جالسًا مع أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فقال السراج المنير (صلي الله عليه وسلم) :

-(حبب إلي الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة)

فقال الصديق:

أحب ثلاثًا: الجلوس بين يديك، والصلاة عليك، والإنفاق في سبيل الله.

فقال الفاروق:

أحب ثلاثًا: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة حدود الله في الأرض.

فقال ذو النورين:

أحب ثلاثًا: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة والناس نيام.

فقال أبو الحسن:

أحب ثلاثا: إكرام الضيف، والضرب بالسيف - الجهاد في سبيل الله -، والصيام في أيام الصيف.

فجاء جبريل عليه السلام وقال:

أحب ثلاثا: إبلاغ المرسلين - النزول بالوحي إلى الأنبياء -، والصلاة على أول وآخر المرسلين، وسماع كلمة لا إله إلا الله إلى يوم الدين.

فقال تعالى:

أحب ثلاثا: صاحب لسان ذاكر، وقلب خاشع، وجسد على البلاء صابر.

وفاة أبي عبد الله:

مات وهب بن منبه بصنعاء سنة عشر ومائة من الهجرة في أول خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان.

* * *

مالك بن دينار

مواقف ومواعظ
مـن حيـاة التابعيـن

[٣]

مالك بن دينار

مالك بن دينار

مُطَلِّق الدنيا

هو مالك بن دينار البصري، مولى لامرأة من بني سلمة بن لؤي.

يكنى أبا يحي، كان يكتب المصاحف.

كان لشهوات الدنيا تاركًا، وللنفس عند غلبتها مفارقًا.

يا حملة القرآن:

قال مالك بن دينار:

- يا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض، فإن الله ينزل الغيث من السماء إلى الأرض فيصيب الحش فيكون فيه الحبة فلا يمنعها نتن أن موضعها أن تهتز وتخضر وتحسن.

فيا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ أين أصحاب سورة واحدة؟ أين أصحاب سورتين؟ ماذا عملتم فيهما؟

مثل قراء هذا الزمان:

قال مالك بن دينار:

- مثل قراء هذا الزمان كمثل رجل نصب فخًا ونصب فيه برة

- البر: القمح - فجاء عصفور فقال:

- ما غيبك في التراب؟

قال:

- التواضع.

قال:

- لأي شيء انحنيت؟

قال:

- من طول العبادة.

قال:

- أعددتها للصائمين.

فقال:

- نعم الجار أنت.

فلما كان عند المغرب دنا العصفور من البرة - الحبة - ليأخذها فَخَنَقَه الفخ، فقال العصفور:

- إن كان العباد يخنقون خَنْقك فلا خير في العباد اليوم.

هذه وضعت القيود في رجلك:

دخل مالك بن دينار ذات يوم على رجل محبوس قد أخذ بخراج - الخراج: الأتاوة - خرج عليه وقيد فقال:

- يا أبا يحيى أما ترى ما أنا فيه من هذه القيود؟

فرفع مالك بن دينار رأسه فإذا سلة فتساءل:

- لمن هذه السلة؟

قال الرجل المحبوس:

- لي.

قال أبو يحيى:

- فمر بها فلتنزل - فتنزل -.

فأنزلت، فلما وضعت بين يدي مالك بن دينار فإذا بها دجاج وأخبصة - الخبيص: الحلواء المخبوصة -.

قال أبو يحيى:

- هذه وضعت القيود في رجلك لا هم.

وقام عنه.

موكب سليمان بن داود عليهما السلام:

قال أبو يحيى:

خرج سليمان بن داود عليهما السلام في موكبه، فمر ببلبل على غصن شوك يصفر ويضرب بذنبه فقال:

- أتدرون ما يقول هذا؟

قالوا:

- الله ورسوله أعلم.

قال سليمان عليه السلام:

- فإنه يقول: أصبت اليوم نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء.

ألا تدعوا قارئًا:

قال جعفر:

- يا أبا يحيى ألا تدعو قارئًا؟

قال مالك بن دينار:

- إن الثكلى لا تحتاج إلى نائحة.

فقالوا له:

- ألا نستسقي؟

قال أبو يحيى:

- أنتم تستبطئون المطر لكني أستبطئ الحجارة - الرجم من السماء -.

في مكة:

خرج مالك بن دينار للحج وفي الطريق إلى أم القرى رأى بلال بن أبي بردة والناس يطوفون حوله فقال له:

- ما تعرفني؟

قال أبو يحيى:

- بلى، أعرفك أولك نطفة وأوسطك جيفة وأسفلك دودة.

فهم أصحاب أمير البصرة، أن يضربوه فقال لهم:

- هذا مالك بن دينار.

فتركه ومضى.

ومر المهلب بن أبي صفرة على مالك بن دينار وهو يتبختر حول الكعبة في مشيته فقال أبو يحيى:

- أما علمت أن هذه المشية تكره إلا بين الصفين - عندما تصف الطائفتان للقتال -؟

فقال المهلب بن أبي صفرة:

- أما تعرفني؟

قال مالك بن دينار:

- أعرفك أحسن المعرفة.

قال المهلب:

- وما تعرف مني؟

قال أبو يحيى:

- أما أولك فنطفة مذرة - فاسدة -، وأما آخرك فجيفة قذرة، وأنت بينهما تحمل العذرة.

فقال المهلب بن أبي صفرة:

- الآن عرفتني حق المعرفة.

يقول جار لمالك بن دينار:

- كنت مع مالك في طريق مكة.

فقال أبو يحيى:

إني داع بشيء فأمنوا عليَّ.

ثم قال مالك بن دينار:

- **اللهم لا تدخل بيت مالك بن دينار من الدنيا قليلاً ولا كثيرًا.**

اعتبر بمن سبقك:

لما رجع مالك بن دينار من مكة إلى البصرة بعث إليه بلال بن أبي بردة، فذهب إليه وهو في قبة فقال له:

- يا أبا يحيى أقصص عليّ.

فقال مالك بن دينار في نفسه:

- قد أصبت هذا خاليًا فأي قصص أقص عليه؟

ثم عاد أبو يحيى وقال في نفسه:

- ماله خير من أن أقص عليه ما لقي نظراؤه من الناس.

فتساءل مالك بن دينار:

- أتدري من بنى هذا الذي أنت فيه؟

قال بلال من أبي بردة:

- بناها عبيد الله بن زياد.

قال أبو يحيى:

- بناها وبنى البيضاء وبنى المسجد، فولى ما ولى من أمره أن هرب فطلب فقتل، ثم ولى البصرة بشر بن مروان.

فقالوا:

- أخو أمير المؤمنين.

فمات بالبصرة فحملوه وحشد الناس في جنازته، ومات زنجي فحمله الزنج على طن قصب - القصب: أنابيب من جوهر -، فذهبوا بأخي أمير المؤمنين فدفنوه.

وذهب بالزنجي فدفنوه.

ثم جل مالك بن دينار يقص على بلال بن أبي بردة أميرًا أميرًا حتى انتهى إليه.

ثم قال أبو يحيى في نفسه:

- قد بنيت دارًا بالكوفة فلم ترها حتى أخذت فسجنت فعذبت.

فقال والي البصرة:

- يا أبا يحيى ادع لي.

قال مالك بن دينار:

- كم من مظلوم بالباب يدعو عليك؟

عظ نفسك:

قال مالك بن دينار:

- أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس، وإلا فاستحي مني.

وقال أبو يحيى:

قال روح الله وكلمته لأصحابه:

- أجيعوا أنفسكم وأظمئوها وأعروها وأنصبوها - النصب: التعب -، لعل قلوبكم أن تعرف الله عز وجل.

وقال مالك بن دينار:

لما بعث عيسى بن مريم عليه السلام أكب الدنيا على وجهها ثم رفعها الناس بعده، حتى بعث محمد (صلي الله عليه وسلم) فأكبها على وجهها، ثم رفعناها بما لقينا منها بعده.

وقال مالك بن دينار:

دخل عيسى بن مريم مسجد بيت المقدس وهم يتبايعون فيه، فجعل ثوبه مخراقًا.

المخراق: المنديل يلف ليضرب به - وسعى عليهم ضربًا وقال:

- يا بني الحيات و الأفاعي اتخذتم مساجد الله أسواقًا؟

وقال أبو يحيى:

مر عيسى بن مريم مع الحواريين على جيفة كلب فقال الحواريون:

- ما أنتن ريح هذا؟

قال المسيح عليه السلام:

- ما أشد بياض أسنانه - يعظهم وينهاهم عن الغيبة -.

وقال مالك بن دينار:

كان عيسى بن مريم عليه السلام إذا مر بدار قد مات أهلها وقف عليها فنادى:

- ويح أربابك الذين يتوارثونك، كيف يعتبروا فلعلك بإخوانهم الماضين؟

وقال أبو يحيى:

قال المسيح عليه السلام:

- خشية الله وحب الفردوس يباعدان، من زهرة الدنيا، ويورثان الصبر على المشقة.

ثم قال كلمة الله وروحه:

- بحق أقول لكم إن أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب لقليل في طلب الفردوس.

هذا خير من جليس السوء:

رأى جعفر بن سليمان مع مالك بن دينار كلبًا يتبعه فقال له:

- يا أبا يحيى ما هذا الذي معك؟

قال مالك بن دينار:

- هذا خير من جليس السوء.

لا شيء أحب إليَّ من الإسلام:

قال مالك بن دينار:

وقفت يومًا من الأيام تحت صومعة راهب فسمعته يقول:

- يا من لاذ بحرمه الخائفون، ورغب فيما عنده الطالبون، أسألك الإخلاص من القصاص حين:{وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ} [سورة ص الآية: ٣].

والمعنى: (لا خلاص أي ساعة لا منجى ولا فوت) - وأستغفرك من ذنوب ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها.

ثم بكى فعلا بكاؤه.

فناداه أبو يحيى:

- يا راهب.

فأشرف على مالك بن دينار فقال له:

- لم تخليت عن الدنيا، وحبست نفسك ههنا وحيدًا فريدًا؟

قال الراهب:

- تخليت عنها قبل أن تتخلى عني، وهربت منها قبل أن تتمكن مني.

فقال أبو يحيى:

- حدثني بقصتك.

قال الراهب:

- كنت على دين النصرانية، فأقمت على ذلك مدة من عمري، فلما كان في بعض الليالي أتاني آت في منامي فقال لي:

- ويحك إلى كم تعبد غير الله الذي خلقك؟ أما تخاف أن يأخذك بغتة وأنت لا تشعر؟ إن عيسى بن مريم من عبيد الله.

فقلت له:

- من أنت؟

قال:

- **أنا آخذ بحجز - الحجز: موضع شد الإزار على الجسد - الخلائق وهم يقتحمون جهنم، أنا شفيع المذنبين، أنا خاتم النبيين، أنا الذي بشر بي عيسى، وشهد بنبوتي موسى، أنا في التوراة موصوف، وفي الإنجيل معروف.**

ثم مسح على صدري وقال:

- **اللهم ألهم عبدك للرشاد، ووفقه للسداد.**

فانتبهت من نومي ولا شيء أحب إليَّ من الإسلام، فأسلمت، وبقيت في صومعتي هذه هاربًا من أبناء الدنيا.

فقال مالك بن دينار للراهب:

- إياك أن تدخل قلبك محبة الأبيض - الفضة - والأصفر - الذهب - فإن محبتهما شين.

إن الذي هداني قد أخبرك بحالي:

كان أبو يحيى يسير ذات ضحى في أحد شوارع البصرة، فوجد رجلاً ملقى على ظهره وقطرات الخمر على شفتيه وهو يقول:

- الله الله.

فقال مالك بن دينار:

- لا يجمل لهذا الاسم الكريم أن يخرج من بين شفتين مخمورتين.

فأمر بماء، فأحضر الماء وغسل الشفتين، ثم دعا الله تعالى أن يهدي هذا المخمور.

ورجع أبو يحيى إلى بيته، وعندما نام سمع من يقول له:

- **يا مالك طهرت فمه من أجلنا فطهرنا قلبه من أجلك.**

ولما استيقظ مالك بن دينار من نومه ذهب ليصلي الفجر كعادته في المسجد، وفي الطريق وجد رجلاً يرسل زفرات الندم ويقول لربه:

- يا رب أنا واقف بين يديك فاقبل توبتي.

ثم قال بعد هنيهة:

- **أأهنئ نفسي بقبول التوبة أو أعزيها برفض التوبة؟**

ولما سمع ذلك أبو يحيى تقدم في الظلام، وعندما اقترب من الرجل سأله:

- من أنت يرحمك الله؟

فلما أمعن مالك بن دينار النظر وجده الرجل المخمور الذي غسل فمه البارحة، فسأله:

- كيف حالك يا عبد الله؟

قال الرجل:

- يا أبا يحيى إن الذي هداني قد أخبرك بحالي.

مجالس الأموات:

كان مالك بن دينار يقضي بعض أوقات فراغه بين المقابر، فدخل عليه ذات يوم رجل فوجده جالسًا بين القبور فسأله:

- يا أبا يحيى مع من تجلس هنا؟

فأشار مالك بن دينار بيده نحو المقابر، فقال الرجل:

- أتجلس بين الأموات؟

قال أبو يحيى:

- كلا إنني أجلس مع قوم إذا كنت بينهم لا يؤذوني، وإذا غبت عنهم لا يغتابوني.

يقول مالك بن دينار:

- أتيت على قبر فإذا مكتوب عليه:

يا أيها الركب سيروا غايتكم ::: أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حثوا المطايا وارخوا من أزمتها ::: قبل الممات وقضوا ما تقضونا
كنا أناسا كما كنتم فغيرنا ::: دهر فسوف كما كنا تكونونا

ومر مالك بن دينار ذات يوم على رجل يغرس فسيلاً، ثم غاب عنه يسيرًا ثم مر بالفسل وقد أطعم - أثمر - فسأل أبو يحيى عن صاحب هذا الغرس - الذي غرسه - فقالوا:

- مات.

- ثم أنشأ يقول:

مؤمـــل دنيـــا لتبقـــى لـــه ::: فمـــات المؤمـــل قبـــل الأمـــل
يـــربي فســـيلا ويعـــني بـــه ::: فعاش الفســـل ومـــات الرجـــل

وذات يوم دخل مالك بن دينار المقابر حتى وقف على القبر فجعل ينظر إلى الرجل وهو يدفن فقال مالك بن دينار:

- غدًا هكذا يصير مالك وليس شيء يتوسده في قبره.

فلم يزل يقول:

- غدًا مالك يصير.

حتى خر مغشيًا عليه في جوف القبر.

فحملوه وانطلقوا به إلى منزله مغشيًا عليه.

ما أرحمني بعياله:

رأى أبو يحيى رجلاً في المسجد يسيء صلاته فقال مالك بن دينار:

- ما أرحمني بعياله.

فقيل له:

- يا أبا يحيى يسيء هذا صلاته وترحم عياله؟

قال أبو يحيى:

- إنه كبيرهم ومنه يتعلمون.

في أي الدارين مالك!

كان أبو يحيى إذا أقام في محرابه قال:

- يا رب قد عرفت ساكن الجنة وساكن النار، ففي أي الدارين مالك؟

ثم يبكي مالك بن دينار.

التوحيد طريق الجنة:

رأى مالك بن دينار قومًا يحملون جنازة في إحدى سكك البصرة وليس معهم أحد فسألهم:

- أين الناس؟

قالوا:

- هذا رجل من كبار المذنبين، وعظماء المسرفين، وقد امتنع الناس عن تشييع جنازته، وليس له صديق ولا حبيب.

فتبعه أبو يحيى وصلى عليه وأنزله في حفرته.

ثم انصرف مالك بن دينار إلى ظل شجرة هناك فنام، فرأى ملكين قد نزلا من السماء فشقا قبر الرجل، ونزل أحدهما فقال له الآخر:

- لا تعجل عليه يا أخي واختبر عينيه.

فرجع وقال:

- لقد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بالنظر إلى ما لا يحل.

قال:

- فاختبر لسانه.

قال:

- اختبرته فوجدته مملوءًا بالخوض في الباطل.

قال:

- فاختبر أذنيه.

قال:

- قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بسماع ما لا يحل.

قال:

- فاختبر يديه.

قال:

- قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بتناول الحرام.

قال:

- فاختبر رجليه.

قال:

- لقد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بالسعي إلى المحرمات.

فقال له:

- يا أخي لا تعجل ودعني أنزل إليه.

فنزل إليه، وأقام ساعة، ثم رجع وقال لصاحبه:

- يا أخي اختبرت قلبه فوجدت فيه ذرة من التوحيد .. اكتبه مرحومًا.

شعر:

لا تيأسن وإن أسأت فربما ::: صفح الجليل عن الجليل الهائل

التوبة النصوح:

قال مالك بن دينار:

كنت في أول أمري مكبًا على اللهو وشرب الخمر، فاشتريت جارية وتسريت بها، وولدت لي بنتًا فأحببتها حبًا شديدًا، إلى أن دبت ومشت فكنت إذا جلست لشرب الخمر جاءت وجذبتني عليه فأهرقته بين يدي، فلما بلغت من العمر سنتين ماتت فأكمدني حزنها.

ولما كانت ليلة النصف من شعبان بت وأنا ثمل من الخمر، فرأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وخرجت من قبري، وإذا بتنين

قد تبعني يريد أكلي - التنين: الحية العظيمة - فهربت منه فتبعني، وصار كلما أسرعت يهرع خلفي وأنا خائف منه، فمررت في طريقي على شيخ نقي الثياب ضعيف فقلت له:

- يا شيخ بالله أجرني من هذا التنين الذي يريد أكلي وهلاكي.

فقال الشيخ:

- يا ولدي أنا شيخ كبير وهذا أقوى مني ولا طاقة لي به، ولكن مر وأسرع فلعل الله أن ينجيك منه، فأسرعت في الهرب وهو ورائي، فأشرفت على طبقات النار وهي تفور، فكدت أهوي فيها، وإذا قائل يقول:

- لست من أهلي.

فرجعت هاربًا، والتنين في أثري، فأشرفت على جبل مستنير وفيه طاقات وعليها أبواب وستور وإذا بقائل يقول:

- أدركوا هذا البائس قبل أن يدركه عدوه.

فتحت الأبواب ورفعت الستور، وأشرقت عليَّ منها أطفال بوجوه كالأقمار، وإذا ابنتي معهم، فلما رأتني نزلت إليَّ كفلقة من نور، وضربت بيدها اليمنى إلى التنين فولى هاربًا، وجلست في حجري وقالت:

- يا أبت {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ} [سورة الحديد الآية: ١٦].

فقلت:

- يا بنية وأنتم تعرفون القرآن؟

قالت:

- نحن أعرف به منكم.

قلت:

- يا بنية ما تصنعون هاهنا؟

قالت:

- نحن من مات من أطفال المسلمين أسكنا هاهنا إلى يوم القيامة، ننتظر تقدمون علينا.

قلت:

- يا بنية ما هذا التنين الذي يطاردني ويريد هلاكي؟

قالت:

- يا أبت ذلك عملك السوء قويته فأراد هلاكك.

فقلت:

- ومن ذلك الشيخ الضعيف الذي رأيته؟

قالت:

- ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء، فتب إلى الله ولا تكن من الهالكين.

يقول مالك بن دينار:

- ثم ارتفعت، واستيقظت، فتبت إلى الله من ساعتي.

إني قرأت في التوراة:

قال مالك بن دينار:

- قرأت في التوراة: ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدي في صلاتك باكيًا، فإني أنا الله الذي اقتربت لقلبك، وبالغيب رأيت نوري - تلك الرقة وتلك الفتوح الذي يفتح الله لك منه -.

وقال أبو يحيى:

- وجدت في بعض الكتب: سبحوا الله أيها الصديقون بأصوات حزينة.

وقال مالك بن دينار:

- قرأت في بعض الكتب: يجاء براعي السوء يوم القيامة فيقال: يا راعي شربت اللبن وأكلت اللحم ولم تؤوي الضالة ولم تجبر الكسير ولم ترعها حق رعايتها، اليوم أنتقم لهم.

وقال مالك بن دينار:

- قرأت في الزبور: إني لأنتقم من المنافق بالمنافق، ثم أنتم من المنافقين جميعًا، ونظير ذلك في كتاب الله عز وجل:{وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾} [سورة الأنعام الآية: ١٢٩] - والمعنى: نسلط بعض الظلمة على بعض فيهلكه ويذله وهذا تهديد للظالم إن لم يمتنع عن ظلمه، سلط الله عليه ظالمًا آخر ويدخل في الآية جميع من يظلم نفسه أو الرعية -.

دعاء:

كان مالك بن دينار يقول في دعائه:

- اللهم أقبل بقلوبنا إليك حتى نعرفك حسنا، وحتى نرعى عهدك، وحتى نحفظ وصيتك.

اللهم سومنا سيما الأبرار، وألبسنا لباس التقوى.

اللهم إنا نتوب إليك قبل الممات، ونلقي السلام قبل اللزام.

اللهم انظر إلينا منك نظرة تجمع لنا بها الخير كله، خير الآخرة وخير الدنيا.

ثم يقف مالك بن دينار عند كلامه هذا ويقول:

- يحسبون أني أعني بخير الدنيا الدينار والدرهم؟ لا إنما أعني العمل الصالح حتى ألقاك وأنت عنا راض، رغبة ورهبة إليك يا إله السماء وإله الأرض.

ثم يبكي بكاء خفيًا، فيبكي من حوله.

يا مجيب المضطر إذا دعاك.

قال أبو يحيى:

خرجت إلى الحج، وفيما أنا سائر في البادية إذ رأيت غرابًا في فمه رغيف فقلت:

هذا غراب يطير وفي فمه رغيف، إن له لشأنًا.

فتبعته حتى نزل عن غار، فذهبت إليه، فإذا بي أرى رجلاً مشدودًا لا يستطيع فكاكًا، والرغيف بين يديه.

فقلت للرجل:

- من تكون؟ ومن أي البلاد أنت؟

قال الرجل:

- أنا من الحجاج، أخذ اللصوص مالي ومتاعي، وشدوا وثاقي وألقوني في هذا الموضع كما ترى، وصبرت على الجوع أيامًا، ثم توجهت إلى ربي وقلت: يا من قال في كاتبه العزيز:{أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ} [سورة النمل الآية: ٦٢]، فأنا مضطر فارحمني، فأرسل هذا الغراب بطعامي.

قال مالك بن دينار:

فحللته من وثاقه، ثم مضينا فعطشنا، وليس معنا ماء، فنظرنا في البادية فرأينا جمعًا من الظباء عند بئر فدنونا منها، فنفرت وأقامت غير بعيد، فلما وصلنا إلى البئر كان الماء في قعره، فاحتلنا حتى

استقينا وشربنا، وعزمت ألا نبرح حتى نسقي الظباء، فحفرت وصاحبي حفرة وملأناها بالماء، وتنحينا فأقبلت الظباء فشربت حتى رويت.

فإذا هاتف يهتف بي ويقول:

- يا مالك دعانا صاحبك وتوجه إلينا بقلبه ونفسه فأجبناه وأطعمناه وحللنا وثاقه وسقيناها وتوكلت علينا الظباء فسقيناها.

الركوة:

قال الحارث بن نبهان الجرمي:

قدمت من مكة فأهديت مالك بن دينار ركوة - الركوة إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء - فكانت عند أبي يحيى، وذات يوم جاء الحارث إلى مجلس مالك بن دينار فقال له:

- يا حارث تعال خذ تلك الركوة.

فقال الحارث بن نبهان:

- لماذا يا أبا يحيى؟

قال مالك بن دينار:

– فقد شغلت قلبي.

فقال الحارث الجرمي:

- يا أبا يحيى إنما اشتريتها لك تتوضأ فيها وتشرب.

قال مالك بن دينار:

- يا حارث إني إذا دخلت المسجد جاءني الشيطان فقال لي: يا مالك إن الركوة قد سرقت، فقد شغلت قلبي.

اجعل بينك وبين الشهوات حائطاً:

خرج مالك بن دينار يوم إلى الجبل فرأى عليه راهبًا فناداه:

- يا راهب.

قال الراهب:

- ماذا تريد يا هذا؟

قال أبو يحيى:

- يا راهب أفدني شيئًا مما زهدني في الدنيا.

قال الراهب:

- أولست صاحب قرآن وفرقان؟

قال مالك بن دينار:

- بلى، ولكني أحب أن تفيدني من عندك شيئًا أزهد به الدنيا.

قال الراهب:

- إن استطعت أن تجعل بينك وبين الشهوات حائطًا من حديد فافعل.

قال أبو يحيى:

- من غلب شهوة الحياة الدنيا فذلك الذي يفرق - الفرق: الخوف - الشيطان من ظله.

حريق بالبصرة:

وذات يوم وقع حريق بالبصرة، فأخذ مالك بن دينار بطرف كسائه وقال:

- هلك أصحاب الأثقال - يريد بالأثقال متاع البيت وأثاثه الثمين -.

ولم تنصرم أيام حتى وقع حريق في بيت مالك بن دينار، فأخذ المصحف وأخذ القطيفة فأخرجهما فقيل له:

- يا أبا يحيى البيت.

قال مالك بن دينار:

- ما فيه إلا السندانة - الأتاك - ما أبالي أن يحترق.

في دار الخراج:

دخل مالك بن دينار دار الخراج يومًا ينظر فإذا برجل من هؤلاء الكبار قد وضع الكبل - قيد ضخم - في رجليه، فبينما هو ينظر إذ أتى بطعامه فوضع بين يديه، فتعجب أبو يحيى من أكله ومما هو فيه فقال له الرجل:

- تعال كل يا أبا يحيى.

فقال مالك بن دينار:

- أخاف إن أكلت مثل هذا أن يوضع في رجلي مثل هذا.

فتقدم إليه ابن عم الرجل وقال:

- يا أبا يحيى إن هذا ابن عم لي وهو ينفق عليَّ وعلى عيالي فادع الله أن ينجيه.

فقال مالك بن دينار:

- أتدري ما مثل ابن عمك؟ مثل شاة أكلت عجين قوم فانتفخ بطنها فماتت وصاحب العجين يدعو الله على من أكل عجينه، وصاحب الشاة يدعو الله على مقتل، فلأيهم ترى الله أسرع إجابة؟

الإبرار يتواصلون بثلاث:

قال مالك بن دينار:

- كان الأبرار يتواصلون بثلاث: بسجن اللسان، وكثرة الاستغفار، والعزلة.

وقال أبو يحيى:

- لو نبت للمنافقين أذناب ما وجد المؤمنون أرضًا يمشون عليها.

وقال مالك بن دينار:

- تلقى المؤمن شاحبًا وتلقى المنافق وباصًا - براقًا -.

دعوني من طبكم:

اشتكى بطن مالك بن دينار فقيل له:

لو عمل لك قلية فإنها تحبس البطن.

فقال أبو يحيى:

- دعوني من طبكم.

اللهم إنك تعلم أني لا أريد البقاء في الدنيا لبطني ولا لفرجي، فلا تبقني في الدنيا.

ثم قال أبو يحيى وهو يأخذ بلحيته:

- يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك بن دينار على النار.

القائم بالليل:

قال مالك بن دينار:

قالت ابنة الربيع بن خيثم لأبيها الربيع:

- يا أبت ما لي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام؟

قال لها أبوها:

- يا بنية: إن أباك يخاف البيات - الموت -.

وكان الربيع بن خيثم من القائمين بالليل.

طلقت الدنيا ثلاثاً:

كان رجل من أغنياء البصرة، وكانت له ابنة نفيسة فائقة الجمال، فقال لها أبوها:

- قد خطبك بنو هاشم والعرب الموالي فأبيت، أراك تريدين مالك بن دينار وأصحابه؟

قالت:

- هو والله غايتي

فقال الأب لأخ له:

- ائت مالك بن دينار فأخبره بمكان ابنتي وهواها له.

فأتاه وقال له:

- فلان يقرئك السلام ويقول لك: إنك تعلم أني أكثر أهل هذه المدينة مالاً وأفشاهم ضيعة ولى ابنة نفيسة وقد هويتك فشأنك وهي.

قال مالك بن دينار:

- عجبًا لك يا فلان، أو ما تعلم أني قد طلقت الدنيا ثلاثا؟

مهلاً يا بني:

قال مالك بن دينار:

كان حبر من أحبار بني إسرائيل، رأى يومًا بعض بنيه غمز - غمز الشيء بيده وغمز بعينه - النساء فقال:

- مهلاً يا بني.

وسقط من سريره فانقطع نخاعه، فأسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش وأوحى الله تعالى إلى نبيهم:

أن أخبر فلانًا أني لا أخرج من صلبك صِدِّيقًا أبدًا ما كان غضبك لي إلا أن قلت:

- مهلاً يا بني مهلاً.

وقال مالك بن دينار لأحد مريديه:

- إذا رأيت قساوة في قلبك ووهنا في بدنك وحرمانًا في رزقك فاعلم أنك تكلمت فيما لا يعنيك.

الرزق:

بينما كان مالك بن دينار يتناول طعامه ذات يوم دخلت عليه هرة - قطة - فخطفت قطة لحم كانت أمامه لم تمتد إليها يده، كان يريد أن يتصدق بها، قام أبو يحيى وتبع القطة، لماذا لم تأكل قطعة اللحم؟ أخذتها لتقدمها لأولادها؟

ذهبت القطة من جحر إلى جحر، حتى انتهت إلى جحر فألقت قطعة اللحم أمامه.

يقول مالك بن دينار:

- فنظرت لأرى ماذا في داخل هذا الجحر، فرأيت ثعبانًا أعمى، فخرج وأكل قطعة اللحم.

من هاهنا اتفقا:

كان أبو يحيى يقول:

- لا يتفق اثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر، وإن أجناس الناس كأجناس الطير، ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة.

رأى مالك بن دينار يومًا غرابًا مع حمامة، فعجب من ذلك ثم قال:

- اتفقا ليس من شكل واحد.

ثم مشى الغراب والحمامة فإذا هما أعرجان.

فقال مالك بن دينار:

- من هاهنا اتفقا.

من سرق المصحف!

سُرق مصحف لمالك بن دينار، فوعظ أصحابه، فجعلوا يبكون، فقال أبو يحيى:

- كنا نبكي فمن سرق المصحف؟

يقول مالك بن دينار:

- لو أن القوم كلفوا الصمت لأفلوا المنطق.

قرأت في بعض كتب الحكمة:

قال مالك بن دينار:

- قرأت في كتب الحكمة أن الله يبغض كل حبر سمين.

وقال أبو يحيى:

- قرأت في بعض كتب الحكمة: إن الله تعالى يقول:(إن أهون ما أنا صانع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكري من قلبه).

وقال مالك بن دينار:

- قرأت في بعض كتب الحكمة:(إني أنا الله مالك الملوك، قلوب العباد بيدي فمن أطاعني جعلت عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، لا تشاغلوا بسبب الملوك ولكن توبوا إلى أعطفهم عليكم).

قال داود عليه السلام:

قال مالك بن دينار:

- قال داود نبي الله عليه السلام: يا معاشر الأتقياء تعالوا أعلمكم خشية الله، أيما عبد منكم أحب أن يحيا ويرى الأعمال الصالحة، فليحفظ عينيه أن ينظر إلى السوء، ولسانه أن ينطق الإفك - الكذب - عين الله إلى الصديقين وهو يسمع لهم.

قال كليم الله:

قال أبو يحيى:

- قال موسى عليه السلام: يا رب أين أبغيك؟

قال عز وجل:

-(عند المنكسرة قلوبهم).

يا هؤلاء:

قال مالك بن دينار:

- يا هؤلاء إنما المؤمن مثل الشاة المأبورة التي أكلت وبرها، فهي تأكل ولا نفع عليها لما قد خالطه من الحزن بين يديه.

مثل امرأة حسناء:

قرأ أبو يحيى في الكتاب الأول - التوراة -:

- مثل امرأة حسناء لا تحصن فرجها كمثل خنزيرة على رأسها تاج وفي عنقها طوق من ذهب، يقول القائل:

- ما أحسن هذا الحلى، وأقبح هذه الدابة.

القربان:

خرج أبو يحيى إلى مكة حاجًا، فبينما هو في الطريق رأى شابًا ساكتًا لا يذكر الله تعالى، فلما سجى الليل رفع رأسه إلى السماء

وقال:

- يا من لا تنقصه المغفرة، ولا تضره المعصية، هب لي ما لا ينقصك، واغفر لي ما لا يضرك.

ولما كان مالك بن دينار بذي الحليفة رأي ذلك الشاب، وقد ارتدى ملابس إحرامه، والناس يلبون وهو صامت لا يلبي، فسأله أبو يحيى:

- لماذا لا تلبي؟

قال الشاب:

- يا شيخ وما تغنى التلبية؟ وقد بارزته بالمعصية، وذنوب سالفات وجرائم مكتوبات؟

ثم قال الشاب:

- والله إني لا أخشى أن أقول: لبيك، فيقول: لا لبيك ولا سعديك، لا أسمع كلامك، ولا أنظر إليك.

فقال أبو يحيى:

- لا تعني ذلك، فإنه حليم، إذا غضب رضى، وإذا رضى لم يغضب، وإذا وعد وفى، وإذا توعد عفا.

فقال الشاب:

- يا شيخ أتشير بالتلبية؟

قال مالك بن دينار:

- نعم فبادر إلى الأرض واضطجع.

فوضع الشاب خده على التراب وأخذ حجرًا فوضعه على خده الآخر وأرسل دمعه وقال:

- لبيك اللهم لبيك، قد خضعت لك، وهذا مصرعي بين يديك.

وأقام الشاب على ذلك ساعة، ثم مضى.

فلم يره أبو يحيى إلا في منامه وهو يقول:

- اللهم إن الناس قد ذبحوا وتقربوا إليك، وليس لي شيء أتقرب به إليك إلا نفسي فتقبلها مني.

ثم شهق شهقة.

وخر ميتًا.

قولوا للكوز يدعو لكم:

مر تاجر بعشار - قابض العشر، ومنه في الحديث: إن لقيتم عاشرًا فاقتلوه - فحبسوا عليه سفينته، فجاء إلى مالك بن دينار وذكر له ذلك، فقام أبو يحيى ومشى مع التاجر إلى العشار، فلما رأوه قالوا:

يا أبا يحيى ألا تبعث إلينا حاجتك؟

قال مالك بن دينار:

- حاجتي أن تخلوا سفينة هذا الرجل.

قالوا:

- قد فعلنا.

وكان عند العشار كوز يجعلون فيها ما يأخذون من الناس من الدراهم، فقالوا:

- ادع الله لنا يا أبا يحيى.

قال مالك بن دينار وهو يهم بالانصراف.

- قولوا للكوز يدعو لكم، كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم؟ أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف؟

التراب:

نظر مالك بن دينار إلى شاب ملازم المسجد فجلس وقال له:

- هل لك أن أكلم لك بعض العشارين يجرون عليك شيئًا وتكون معهم؟

قال الشاب:

- افعل ما شئت يا أبا يحيى.

فأخذ مالك بن دينار كفًّا من تراب فجعله على رأسه.

إذا قرأ مالك بن دينار القرآن:

قرأ أبو يحيى قوله تعالى:{لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ} [سورة الحشر الآية: ٢١].

ثم قال مالك بن دينار:

- أقسم لكم لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا صدع قلبه.

وكان مالك بن دينار إذا قرأ:{إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾} [سورة الزلزلة الآية: ١].

جعل ينتفض وأهل المجلس يبكون ويصرخون حتى انتهى إلى هذه الآية:{فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾} [سورة الزلزلة الآيتان: ٧ - ٨].

جعل مالك بن دينار يبكي ويشهق حتى غشي عليه فحمل بين القوم سريعًا.

مالك بن دينار والحسن البصري:

سأل مالك الحسن:

- ما عقوبة من أحب الدنيا؟

قال الحسن البصري:

- موت القلب، فإذا أحب الدنيا طلبها بعمل الآخرة فعند ذلك ترحل عنه بركة العلم ويبقى رسمه.

خطيئتـي أحملها على عنقي:

قال مالك بن دينار:

نزل عابد على عابد وللمنزول عليه ابنة فقال لها أبوها:

- أكرمي أخي هذا وقومي عليه وتعاهديه.

فلم يزل الشيطان به حتى وقع عليها فحملت، وولدت غلامًا.

فهابت الابنة أن تقذفه.

فقال العابد - الضيف - لأبيها.

- هب لي هذا الغلام فأتبناه.

قال الأب:

- هو لك.

فأخذ العابد الولد ووضعه على عاتقه ثم جعل يطوف به في ملأ من عباد بني إسرائيل ويقول:

- يا إخوتاه أحذركم مثل ما لقيت خطيئتي أحملها على عنقي.

في بيت مالك بن دينار:

كان أبو يحيى يعيش عيشة الكفاف، فقد كان لشهوات الدنيا زاهدًا، وللنفس عند غلبتها تاركًا، كان عالمًا - قاصًا - يكتب المصاحف ولا يأخذ عليها من الأجر أكثر من عمل يده فيدفعه عند البقال فيأكله، وكان يكتب المصحف في أربعة أشهر.

قال مالك بن دينار:

- إنما العالم - أو القاص - الذي أتيته فلم تجد في بيته قص عليك بيته، فترى حصيرًا للصلاة، ترى مصحفًا، ترى إجانة - إناء - للوضوء، ترى أثر الآخرة.

وقد كان في بيت مالك سرير أثل - الأثل: شجر من نوع الطرفاء مرمول بالشريط وعليه قطعة بوري - حصير منسوج من قصب - وعليه قطعة كساء، وركوة.

أما طعام مالك بن دينار فكان كما قال سلام بن مسكين:

- دخلت على أبي يحيى يومًا فأخرج من تحت رأسه رغيفين يابسين فقد يكسر ذلك الرغيفين في الماء حتى ظن أن الخبز ابتل.

ثم قال مالك بن دينار لسلام:

- ناولني الدوخلة - ما ينسج من الخوص ويجعل قفى الرطب - فإذا دوخلة معلقة يابسة، فوضعها سلام بن مسكين أمام مالك بن دينار، فأخرج منها صرة فيها ملح وقال له:

- ادن - قرب -.

فقال سلام بن مسكين:

- يا أبا يحيى لا أشتهي.

قال مالك بن دينار:

- هيهات هيهات أنت ممن غذي في الماء العذب فلا تصير في الماء الملح.

وكان أدم مالك بن دينار يشتري كل سنة ملحًا بفلسين.

وكان يخلط الدقيق بالرماد، يقول مالك بن دينار:

- خلطت دقيقي بالرماد فضعفت عن الصلاة ولو قويت على الصلاة ما أكلت غيره.

وذات يوم كان أحد جلساء أبي يحيى عنده في بيته فأخذ مالك بن دينار جلدة ساعده وقال:

- ما أكلت العام رطبة ولا عنبة ولا بطيخة.

وجعل يعدد كذا وكذا.

ثم تساءل:

- ألست أنا مالك بن دينار؟

ثم قال:

- إنه لتأتي على السنة لا آكل فيها لحمًا إلا في يوم الأضحى، فإني آكل من أضحيتي لما يذكر فيه.

وقال مالك بن دينار لرجل من أصحابه:

- إني لأشتهي رغيفًا ليِّنًا بلبن رائب.

فانطلق الرجل ثم جاء به، فجعله أبو يحيى على الرغيف وراح يقلبه وينظر إليه ثم قال:

- اشتهيتك منذ أربعين سنة حتى كان اليوم وتريد أن تغلبني؟ إليك عني.

وأبى أن يأكله.

وكان هشام وسعيد بن أبي عروة وحوشب يطلبون علم أبي يحيى فقالوا:

- أين أبو يحيى؟

فقالوا ذات يوم:

- عند البقال.

فقال هشام وسعيد وحوشب:

- قوموا بنا إليه.

فوجدوه عند البقال، فقال مالك بن دينار لهشام:

- يا هشام إني أعطي هذا البقال كل شهر درهمًا ودانقين وآخذ منه كل شهر ستين رغيفًا آكل كل ليلة رغيفين، فإذا أصبتهما سخنًا

فهو أدمهما، يا هشام إني قرأت في زبور داود عليه السلام:

إلـهي رأيت همومي وأنت من فوق العلـى، فـانظر مـا همومك يـا هشام.

وكـان مالـك بـن دينـار بالبصـرة فـي الأسـواق فينظـر إلـى أشـياء يشتهيها، فيرجع فيقول لنفسه:

- أبشرى فوالله ما حرمتك ما رأيت إلا لكرامتك علىَّ.

قال مالك بن دينار:

- أوحى الله إلى نبي من الأنبياء أن قل لقومك: لا تدخلوا مداخل أعدائي، ولا تطعموا مطاعم أعدائي، ولا تلبسوا ملابس أعدائي، ولا تركبوا مراكب أعدائي، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي.

وذات يوم اشتهى مالك بن دينار كراعًا من هذه الأكرع التـي قد طبخت، فلما وضعت أمامه راح يشمه ساعة ساعة، ومر عليـه شيخ مسكين على ظهر الطريق يتصدق، فقال مالك بن دينار:

- هاه يا شيخ.

وناولـه إياه، ومسح أبو يحيى يده بالجدار، ثم وضـع كسـاءه علـى رأسه وذهب.

لقد كان يشتهي ذلك الكراع منذ زمان، فاشتراه فلم تطب نفسه أن تأكله فتصدق به.

وكان مالك بن دينار يقول:

- لا تجعلوا بطونكم جربًا - جمع جراب - للشيطان يوعي فيها إبليس ما يشاء.

وقال مالك بن دينار:

- إن البـدن إذا سقم لـم ينـجح فيـه طعـام ولا شـراب ولا نـوم ولا راحة، وكذلك القلب إذا علقه حب الدنيا لم تنجح فيه الموعظة.

وقال أبو يحيى:

- والله لقد أصبحت ما أملك دينارًا ولا درهمًا ولا دانقًا، ولئن لم يكن لي عند الله خير ما كانت لي دنيا ولا آخرة.

وقال مالك بن دينار:

- ما كان لمالك بن دينار من الدنيا إلا درهمان درهم لورقه - الذي يكتب فيه المصاحف - ودرهم ليشتري به خوصًا يعمل به.

ودخل جابر بن يزيد على أبي يحيى وهو يكتب مصحفًا فقال:

- يا مالك مَالَكَ عمل إلا هذا؟ تنقل كتاب الله من ورقة إلى ورقة، هذا والله الكسب الحلال.

وكان مالك بن دينار يقول:

- من دخل بيتي فأخذ شيئًا فهو له حلال، أما أنا فلا أحتاج إلى قفل ولا مفتاح.

وكان يأخذ الحصاة من المسجد فيقول:

- لوددت أن هذه أجزأتني في الدنيا ما عشت لا أزيد على مصها من الطعام والشراب.

وقال أبو يحيى:

- اشتريت لأهلي طيبًا بدرهم، وإني لأحاسب نفسي فيه منذ عشرين سنة فما أجد لي مخرجًا.

* وتسور لص على مالك بن دينار داره، فلم يجد في الدار شيئًا يسرقه، فرآه وهو قائم يصلي، فأوجز أبو يحيى في صلاته، ثم التفت إليه وسلم عليه وقال:

- يا أخي تاب الله عليك، دخلت منزلي فلم تجد ما تأخذه ولا أدعك تخرج إلا بفائدة.

وقام مالك بن دينار وأتاه بركوة فيها ماء وقال له.

- توضأ وصل ركعتين، فإنك تخرج بخير مما جئت في طلبه.

فقال له اللص:

- نعم وكرامة.

وقام وتوضأ، وصلى ركعتين، وقال:

- يا مالك أيخف عليك أن أزيد ركعتين أخرتين؟

قال أبو يحيى:

- زد ما قدر الله لك.

فلم يزل اللص يصلي إلى الصبح.

فقال له مالك بن دينار:

- انصرف راشدًا.

فقال اللص:

- يا سيدي أيخف عليك أن أقيم عندك هذا اليوم فإني نويت صيامه؟

فقال أبو يحيى:

- أقم ما شئت.

فأقام اللص عند مالك بن دينار أيامًا صائمًا قائمًا.

فلما أراد اللص الانصراف قال:

- يا مالك قد نويت التوبة.

فقال أبو يحيى:

- ذلك بيد الله عز وجل.

فتاب اللص وحسنت توبته، وخرج من عند أبي يحيى فلقيه بعض قطاع الطرق فقال له:

- أظنك قد وقعت بكنز؟

قال اللص:

- يا أخي وقعت بمالك بن دينار، جئت لأسرقه فسرقني، وقد تبت إلى الله عز وجل، وهأنذا ملازم الباب فلا أبرح حتى أنال ما ناله الأحباب.

قال سلام من أبي مطيع:

- دخلنا على مالك بن دينار ليلاً وهو في بيت بلا سراج وفي يده رغيف يكدمه - كدم الرغيف: عضه بمقدم فمه -.

فقلنا:

- أبا يحيى ألا سراج؟ ألا شيء تضع عليك خبزك؟

فقال مالك بن دينار:

- دعوني فوالله إني لنادم على ما مضى.

من أقوال مالك بن دينار:

* ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله تعالى.

* هؤلاء جهالكم كثير، لولا ذلك للبست المسموح، يا هؤلاء لا تجعلوا بطونكم جربًا للشيطان يوعي فيها إبليس ما شاء.

* لو صلح لي أن آكل الرماد لأكلته، ولو صلح لي أن أعمد إلى بوري - حصير منسوج من القصب - فأقطعه بقطعتين فأتزر بقطعة وارتدى قطعة لفعلت.

* ما من أعمال البر شيء إلا دونه عقبة فإن صبر صاحبها أفضت به إلى روح - وريحان - وإن جزع رجع.

* إن لكل شيء لقاحًا وإن الحزن لقاح العمل الصالح، إنه لا يصبر أحد على هذا الأمر إلا بحزن، فوالله ما اجتمعنا في قلب عبد قط: حزن بالآخرة وفرح بالدنيا، إن أحدهما ليطرد الآخر.

* بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج هم الآخرة من قلبك، وبقدر ما تحزن للآخرة فكذلك يخرج هم الدنيا من قلبك.

* جاء محمد بن واسع إلى مالك بن دينار فقال له:

- يا أبا يحيى إن كنت من أهل الجنة فطوبى لك.

فقال أبو يحيى:

- ينبغي إذا ذكرنا الجنة أن نخزي.

* كفى بالمرء شرًا أن لا يكون صالحًا ويقع في الصالحين.

* خرج أهل الدنيا من الدنيا لم يذوقوا أطيب شيء فيها.

قالوا:

- وما هو؟

قال مالك بن دينار:

- معرفة الله عز وجل.

* قولوا لمن لم يكن صادقًا لا يتمنى.

* وددت أن الله عز وجل أذن لي يوم القيامة إذا وقفت بين يديه أن أسجد سجدة فأعلم أنه قد رضي عني، ثم يقول لي: يا مالك كن ترابًا.

* إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما تزل القطرة عن الصفا - الصخر الأملس -.

* إذا طلبت العلم لتعمل به كسرك العلم، وإذا طلبته لغير العمل به لم يزدك إلا فخرًا.

* إن الله جعل الدنيا دار مفر، والآخرة دار مقر، فخذوا لمقركم من مفركم، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، ففي الدنيا حييتم ولغيرها خلقتم، إنما مثل الدنيا كالسم أكله من لا يعرفه واجتنبه من عرفه، ومثل الدنيا مثل الحية مسها لين وفي جوفها السم القاتل، يحذرها ذوو العقول، ويهوي إليها الصبيان بأيديهم.

* لو استطعت أن لا أنام لم أنم مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم، ولو وجدت أعوانًا لفرقتهم ينادون في منار الدنيا كلها: يا أيها الناس النار النار.

* لو كان لأحد أن يتمنى لتمنيت أن يكون لي في الآخرة خص - بيت من قصب - من قصب فأروى من الماء وأنجو من النار.

* كل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه في دينك خيرًا فانبذ عنك صحبته.

* يا إخوتاه بحق أقول لكم: لولا البول ما خرجت من المسجد.

* إن الأبرار لتغلي قلوبهم بأعمال البر، وإن الفجار تغلي قلوبهم بأعمال الفجور، والله يرى همومكم، فانظروا همومكم رحمكم الله.

* إن الصديقين إذا قرئ عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة.

* ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب.

* إن لله تعالى عقوبات فتعاهدوهن من أنفسكم في القلوب والأبدان ضنك في المعيشة ووهن في العبادة وسخط في الرزق.

* زمرنا لكم فلم ترقصوا - أي وعظناكم فلم تتعظوا -.

* لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة ويأوي إلى مزابل الكلاب.

* مثل المؤمن مثل اللؤلؤة أينما كانت حسنها معها.

* عرس المتقين يوم القيامة.

* السوق مكثرة للمال، مذهبة للدين.

* إن القلب المحب لله يحب النصب - التعب - لله عز وجل.

* إنكم في زمان أشهب - أبيض يخالطه السواد - لا يبصر زمانكم إلا البصير، إنكم في زمان كثير تفخارهم، قد انتفخت ألسنتهم في أفواههم وطلبوا الدنيا بعمل الآخرة، فاحذروهم على أنفسكم لا يوقعوكم في شباكهم.

* اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضًا ولا ينتهي بعضنا بعضًا، ولا يزرنا - يتركنا - الله على هذا فليت شعري أي عذاب الله ينزل؟

* يقولون: الجهاد، أنا من نفسي في جهاد.

* إذا لم يكن في القلب حزن خرب، كما إذا لم يكن في البيت ساكن يخرب.

* إن الكلب إذا طرح إليه الذهب والفضة لم يعرفها، وإذا طرح إليه العظم أكب عليه، كذلك سفهاؤكم لا يعرفون الحق.

* نظرت في كل إثم فلم أجده إلا من حب المال، فمن ألقى عنه المال فقد استراح.

* كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينًا للخونة.

* العالم الذي لا يعمل بمنزلة الصفا - الحجر الأملس - إذا وقع عليه القدر زلق عنها.

* لئن أتصدق بتمرة حلال أحب من أن أتصدق بمائة ألف حرام.

* حلوا أنفسكم من الدنيا وثاقًا وثاقًا.

* العاقل الكامل من صلح مع الفاجر الجاهل.

* إن الله تعالى إذا أحب عبدًا انتقصه من دنياه فكف عليه ضيعته، ويقول:

- لا تبرح من بين يدي.

فهو متفرغ لخدمة ربه تعالى.

وإذا أبغض عبدًا دفع في نحره شيئًا من الدنيا ويقول:

- اغرب من يدي فلا أراك بين يدي.

فتراه معلق القلب بأرض كذا وكذا وبتجارة كذا.

* قيل لمالك بن دينار:

- ألا تتزوج؟

قال أبو يحيى:

- لو استطعت لطلقت نفسي.

* من تباعد من زهرة الحياة الدنيا فذلك الغالب لهواه، ومن فرح بمدح الباطل فقد أمكن الشيطان من دخول قلبه.

* يا قارئ أنت قارئ، ينبغي للقارئ أن يكون عليه دراعة صوف وعصا راع يفر من الله إلى الله عز وجل، ويحوش العباد على الله تعالى.

* إن من الناس ناسًا إذا لقوا القراء ضربوا معهم بسهم، وإذا لقوا الجبابرة وأبناء الجبابرة أخذوا معهم بسهم، فكونوا من قراء الرحمن بارك الله فيكم.

* كم من رجل يحب أن يلقى أخاه ويزوره فيمنعه من ذلك الشغل والأمر يعرض له عسى الله أن يجمع بينهما في دار فلا فرقة فيها.

وأنا أسأل الله أن يجمع بيننا وبينكم في ظل طوبى - شجرة في الجنة أوراقها كآذان الفيلة - ومستراح العابدين.

* احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فإنه لا سبيل إلى النجاة من السنة العامة.

* إن الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه.

مالك بن دينار ورواية الحديث عن المبعوث للناس كافة (صلي الله عليه وسلم) :

أسند مالك بن دينار عن أنس بن مالك خادم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وعن جماعة من كبار التابعين: كالحسن وابن سيرين، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبيد الله.

بعض الأحاديث التي رواها وأسندت لمالك بن دينار:

قال أبو القاسم (صلي الله عليه وسلم) :

-(**خشية الله كل حكمة، والورع سيد العمل، ومن لم يكن له ورع يحجزه عن معصية الله عز وجل إذا خلا بها لم يعبء الله بسائر عمله شيئًا**) (رواه أبو يعلى في مسنده عن أنس، وأبو نعيم في الحلية).

وقال السراج المنير (صلي الله عليه وسلم) :

-(**تحت كل شعرة جنابة، فاغسلوا الشعر وأنقوا البشر**) (رواه أبو نعيم في الحلية، والترمذي كتاب أبواب الطهارة).

وقال الصادق المصدوق (صلي الله عليه وسلم) :

-(**أوتيت ليلة أسرى بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرأون كتاب الله ولا يعملون به**) (رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس).

وقال صاحب الخلق العظيم (صلي الله عليه وسلم) :

-(**أوتيت ليلة أسرى بي إلى السماء، فإذا برجال تقرض ألسنتهم**

وشفاههم بمقاريض، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الخطباء من أمتك) (رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس).

وقال الشافع المشفع (صلي الله عليه وسلم) :

-(أخبرني جبريل عن الله تعالى إن الله عز وجل يقول: وعزتي وجلالي ووحدانيتي وفاقة خلقي إلى، واستوائي على عرشي، وارتفاع مكاني، إني لأستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الإسلام ثم أعذبهما).

يقول أنس بن مالك:

- ورأيت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يبكي عند ذلك.

فتساءل خادم النبي عليه الصلاة والسلام:

- ما يبكيك يا رسول الله؟

قال نور الظلمة (صلي الله عليه وسلم) :

-(بكيت لمن يستحي الله منه ولا يستحي من الله) (رواه الخليلي والرافعي عن أنس، وأبو نعيم في الحلية عن أنس).

وقال خاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم) :

-(ليؤيدن الله تعالى هذا الدين بقوم لا خلاق لهم) (رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس).

وقال البشير النذير (صلي الله عليه وسلم) :

-(خصلتان لا تجتمعان في مؤمن سوء الخلق والبخل) (رواه البخاري في الأدب، والترمذي، وأبو نعيم في الحلية عن صدقة).

قالت أم المؤمنين عائشة عندما صحبت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في حجة الوداع:

- يا رسول الله يرجع الناس بحجة وعمرة وأرجع بحجة؟

فبعثها نبي الرحمة (صلي الله عليه وسلم) مع أخيها عبد الرحمن

بن أبي بكر إلى التنعيم فاعتمرت وحملها على قنب.

هذا من عيون حديث مالك بن دينار وصححيه (أخرجه البخاري في كتابه من حديث أبان).

ومر عمر بن الخطاب مع النبي (صلي الله عليه وسلم) على يهودي وعلى النبي (صلي الله عليه وسلم) قميصان فقال اليهودي:

- يا أبا القاسم اكسني.

فخلع النبي (صلي الله عليه وسلم) أفضل القميصين فكساه.

فقال الفاروق:

- يا رسول الله لو كسوته الذي هو دون.

فقال صاحب الخلق العظيم (صلي الله عليه وسلم) :

-(ليس تدري يا عمر أن ديننا الحنيفية السمحة لا شح فيها، وكسوته أفضل القميصين ليكون أرغب في الإسلام) (رواه أبو حاتم الرازي عن محمد بن عاصم عن زهدم، وأبو نعيم في الحلية).

وقال الذي لا ينطق عن الهوى (صلي الله عليه وسلم) :

-(أن الله عز وجل يقول: أنا الله لا إله إلا أنا مالك الملك ومالك الملوك، قلوب الملوك بيدي، وأن العباد إذا أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة، وأن العباد إذا عصوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب، إذا فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك ولكن اشغلوا أنفسكم بالذكر والتفرغ إلى أكفكم ملوككم) (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي الدرداء).

وفاة مالك بن دينار:

كان مالك بن دينار يقول:

- عجبًا لم يعلم أن الموت مصيره والقبر مورده، كيف تقر بالدنيا عينه، وكيف يطيب فيهما عيشه؟

ثم يبكي أبو يحيى حتى يسقط مغشيًا عليه.

يقول حزم القطيعي:

دخلنا على مالك بن دينار في مرضه الذي مات فيه وهو يكيد بنفسه - يجود بنفسه -، فرفع رأسه إلى السماء وقال:

اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لبطن ولا لفرج.

وقال أبو عيسى:

- دخلنا على مالك بن دينار عند الموت فجعل يقول:

لمثل هذا اليوم كان دؤوب أبي يحيى.

يقول المغيرة بن حبيب أبو صالح ختن - الختن عند الرجل: زوج ابنته - مالك بن دينار:

- يموت مالك بن دينار وأنا معه في الدار لا أدري ما عمله؟ فصليت معه العشاء الآخرة، ثم جئت فلبست قطيفة في أطول ما يكون الليل، وجاء مالك فقرب رغيفًا فأكل ثم قام إلى آخر الصلاة، فاستفتح ثم أخذ بلحيته فجعل يقول:

إذا جمعت الأولين والآخرين فحَرِّم شيبة مالك بن دينار على النار.

يقول أبو صالح:

- فوالله ما زال كذلك حتى غلبتني عيني، ثم انتبهت فإذا هو على تلك الحال يقدم رجلاً ويقول:

يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك بن دينار على النار.

فما زال كذلك حتى طلع الفجر.

يقول أبو صالح:

- فقلت في نفسي: والله لئن خرج مالك بن دينار فرآني لا يبل لي عنده بالة أبدًا، فجئت إلى المنزل وتركته.

يقول عمارة بن زاذان:

- أن مالك بن دينار لما حضره الموت قال:

لولا أني أكره أن أصنع شيئًا لم يصنعه أحد كان قبلي لأوصيت أهلي إذا أنا مت أن يقيدوني وأن يجمعوا يدي إلى عنقي فينطلقوا بي على تلك الحال حتى أدفن كما يصنع بالعبد الآبق - الهارب -.

وظل مالك بن دينار يشهق ويضطرب حتى ظن الحاضرون أن كبده قد تقطعت في جوفه.

وقيل:

رأى مالك بن دينار مسلم بن يسار بعد موته في المنام فقال له:

- ما لقيت بعد الموت؟

قال مسلم بن يسار:

- لقيت والله أهوالاً وزلازل عظامًا شدادًا.

فقال أبو يحيى:

فماذا كان بعد ذلك؟

قال مسلم بن يسار:

- ما تراه يكون من الكريم، قبل منا الحسنات، وعفا عن السيئات، وضمن عنا التبعات.

ثم أفاق من نومه وشهق شهقة ووقع مغشيًا عليه.

ثم مات بعد ذلك بأيام.

كانوا يرون أن قلبه قد انصدع.

وتوفى أبو يحيى قبل الطاعون بيسير، وكان الطاعون سنة إحدى وثلاثون ومائة بعد الهجرة.

* * *

عروة بن الزبير

مواقف ومواعظ

مــن حيــاة التابعيـــن

[٤]

عروة بن الزبير

عروة بن الزبير

من هو عروة؟

أبوه الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد، وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، وكان الزبير حواري خاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم).

أُمُّه أسماء بنت أبي بكر الصديق - ذات النطاقين -، خالته أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر.

ولد عروة بن الزبير في آخر خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سنة ثلاث وعشرين للهجرة.

كان من أشهر تلاميذ أم المؤمنين عائشة، فقد تأثر بخالته عائشة، فلازمها طوال مدة حياتها وتفقه عليها.

كان أول من صنف المغازي - مغازي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) -.

كان يقرأ كل يوم ربع القرآن، وكان يقوم به الليل.

كان أحد الفقهاء المدينة السبعة الذي ينتهي إلى قولهم.

كان من جملة الفقهاء العشرة الذين كان عمر بن عبد العزيز يرجع إليهم في زمن ولايته على المدينة.

كان عابدًا تقيًا صوامًا خائفًا من ربه.

يكنى أبا عبد الله.

روى عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت الأنصاري، وأسامة بن زيد، وعبد الله بن الأرقم وأبي أيوب، والنعمان بن بشير وأبي

هريرة، ومعاوية بن أبي سفيان، والعبادلة: عبد الله بن عمر، عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عباس، والمسور بن مخرمة، وعائشة بنت أبي بكر، ومروان بن الحكم، زينب بن أبي سلمة، وبشير بن أبي مسعود الأنصاري، وزيد بن الصلت، ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، وجمهان مولى الأسلميين.

آل الزبير.. ودعوة مستجابة:

ذات يوم اجتمع في الحجر مصعب بن الزبير، وعروة بن الزبير، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر بن الخطاب.

فقالوا:

- تمنوا.

فقال عبد الله بن الزبير:

- أما أنا فأتمنى الخلافة - أن يكون خليفة المسلمين -.

وقال عروة بن الزبير:

- أما أنا فأتمنى أن يأخذ عني العلم - يكون فقيهًا -.

وقال مصعب بن الزبير:

- أما أنا فأتمنى إمرة العراق - يكون أميرًا على العراق -، والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين.

وقال ابن عمر:

- أما أنا فأتمنى المغفرة.

فنالوا كلهم ما تمنوا.

ولعل عبد الله بن عمر قد غفر له.

المال:

استودع عروة بن الزبير طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق مالاً من مال مصعب بن الزبير لما خرج إلى الشام.

وبلغ عروة أن طلحة يبنى ويبتاع الرقيق والإبل والغنم، فلما قدم طلحة مدينة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كره عروة بن الزبير أن يكشف طلحة وأن يقتضيه المال الذي أخذه، فجعل يلقاه ويستحي من تقاضيه.

فقال طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر:

- يا أبا عبد الله ألا تريد مالك؟

فقال عروة:

- بلى.

قال طلحة:

- فأرسل فخذه.

فتساءل عروة بن الزبير:

- متى؟

قال طلحة بن عبيد الله:

- متى شئت.

فبعث معه عروة رسولاً، فإذا طلحة قد هدم عليه بيتًا فاستخرج المال، ولما أتى الرسول بالمال تمثل عروة عند ذلك:

فما استخبأت في رجل خبيًّا ::: كمثل الدين أو حسب عتيق
ذوو الأحساب أكرم ما نراث ::: واصبر عند نائية الحقوق

جور بني أمية:

كان علي بن حسين بن علي بن أبي طالب، وعروة بن الزبير يجلسان كل ليلة في مؤخر مسجد رسول الله، بعد العشاء الآخرة يتحدثان عن جَوْر بني أمية فقال علي بن حسين:

- إنا لا نستطيع تغيير ذلك.

فقال عروة بن الزبير:

- إنا نخاف من عقوبة الله لنا، يا علي إن من اعتزل أهل الجور والله يعلم منه سخطه لأعمالهم فإن كان منهم على ميل ثم أصابتهم عقوبة الله رجى له أن يسلم مما أصابهم.

فخرج عروة بن الزبير فسكن العقيق.

عروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز:

عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن إسماعيل عن مدينة رسول (صلي الله عليه وسلم) وولى عمر بن عبد العزيز المدينة، فقدمها واليًا في ربيع الأول سنة سبع وثمانين للهجرة.

ونزل عمر بن عبد العزيز دار مروان بن الحكم، وجعل يدخل عليه الناس فيسلموا، فلما صلى الظهر دعا عشرة من الفقهاء في المدينة:

عروة بن الزبير.

أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة.

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود.

أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث.

سليمان بن يسار.

القاسم بن محمد.

سالم بن عبد الله بن عمرو.

عبد الله بن عبيد الله بن عمر.

عبد الله بن عامر بن ربيعة.

خارجة بن زيد.

فلما دخلوا عليه قال لهم عمر بن عبد العزيز:

- إنما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعوانًا على الحق، لا أريد أن أقطع الأمر إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحدًا يتعدى أو بلغكم عن عامل لي ظلامة فأحرج الله على من بلغه ذلك إلا بلغني.

فخرجوا يجزونه خيرًا.

وافترقوا.

وذات يوم جاء عمر بن عبد العزيز إلى عروة بن الزبير فقال له:

- رأيت البارحة عجبًا، كنت فوق سطحي مستلقيًا على فراش فسمعت جلبة في الطريق، فأشرفت فظننت عسكر العسس - عس: طاف بالليل - فإذا الشياطين تجول كردوسًا - كردوس: جماعة كبيرة - كردوسًا، حتى اجتمعوا إلى خربة خلف منزلي، ثم جاء إبليس فلما اجتمعوا هتف إبليس بصوت عالٍ فتسارعوا إليه فقال:

- من لي بعروة بن الزبير؟

قالت طائفة من الشياطين:

- نحن.

فذهبوا.. ورجعوا وقالوا:

- ما قدرنا منه على شيء.

فصاح إبليس الثانية أشد من الأولى:

- من لي بعروة بن الزبير؟

فقالت طائفة أخرى:

- نحن.

فذهبوا فلبثوا طويلاً... ثم رجعوا وقالوا:

- ما قدرنا منه على شيء.

فصاح إبليس الثالثة صيحة حتى كادت الأرض أن تنشق، فتسارع الشياطين.

فقال إبليس:

- من لي بعروة بن الزبير؟

فقالت جماعة:

- نحن.

فذهبوا... فلبثوا طويلاً، ثم رجعوا وقالوا:

- ما قدرنا منه على شيء.

فذهب إبليس مغضبًا فاتبعوه.

قال عروة بن الزبير لعمر بن عبد العزيز:

- حدثني أبي الزبير بن العوام قال: سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول:**(ما من رجل يدعو بهذا الدعاء في أول ليله وأول نهاره إلا عصمه الله من إبليس وجنوده: بسم الله الرحمن ذي الشأن عظيم البرهان، شديد السلطان، ما شاء الله كان، أعوذ بالله من الشيطان)**.

جبال الصبر:

خرج عروة بن الزبير من مدينة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى دمشق ليجتمع بأمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، فوقعت

الأكلة - داء كالقرحة أو السرطان في العضو يأكل منه - في رجله في واد قرب المدينة، فكان مبدؤها هناك، وظن عروة أن الأمر ليس بذي بال ولا يكون منها خطر، فمضى في وجهه ذلك، فما وصل إلى دمشق إلا وهي قد أكلت نصف ساقه، فدخل على أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، فجمع له الأطباء العارفين بذلك، فأجمعوا على أنه إذا لم يقطعها وإلا أكلت رجله كلها إلى وركه، وربما ترقت - صعدت وانتشرت - إلى الجسد فأكلته، فطابت نفس عروة بنشر ساقه فقال الأطباء:

- ألا نسقيك مرقدًا حتى يذهب عقلك منه فلا تحس بألم النشر؟

فقال عروة:

- معاذ الله، لا والله لا أتناول شيئًا يغيب عقلي عن التفكير في عظمة الله.

فقالوا:

- كيف تقطع ساقك يا أبا عبد الله؟

قال أبو عبد الله:

– إذا أنا دخلت الصلاة وكبرت تكبيرة الإحرام وجلست لقراءة التشهد، فاقطعوا ساقي عند ذلك لا أفكر في الدنيا وإنما أكون في سبحات مع السميع البصير فإني لا أحس بذلك ولا أشعر به.

فنشروا رجله من فوق الأكلة، من المكان الحي احتياطًا أنه لا يبقى منها شيء.

وقيل: قطع ساقه وهو صائم فما تضور وجهه - تضور الرجل: تأوى من وجع الضرب أو الجوع -.

وعزاه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك في رجله فقال عروة:

- اللهم لك الحمد، كان لي أطراف أربعة فأخذت واحدًا، فلئن

كنت قد أخذت فقد أبقيت، وإن كنت قد أبليت فلطالما عافيت، فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما عافيت.

وكان عروة بن الزبير قد صحب معه إلى دمشق بعض أولاده من جملته ابنه محمد وكان من أحبهم إليه، فدخل دار الدواب فرفسته فرس فمات، فأتوا عروة ابن الزبير فعزوه فيه فقال:

- الحمد لله، قد كانوا سبعة فأخذت منهم واحدًا وأبقيت ستة، فإذا كنت قد أبليت فلطالما عافيت، ولئن كنت قد أخذت فلطالما أعطيت.

فلما قضى عروة بن الزبير حاجته من دمشق رجع إلى مدينة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قالوا:

- ما سمعناه ذكر رجله ولا ولده، ولا شكا ذلك إلى أحد حتى دخل وادي القرى، فلما كان في المكان الذي أصابته الأكلة قال:

{لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا} [سورة الكهف الآية: ٦٢].

ولما دخل المدينة أتاه أناس من قريش والأنصار يعزونه في ابنه محمد ورجله، فقال له عيسى بن طلحة بن عبيد الله:

- يا أبا محمد قد صنع الله بك خيرًا والله ما بك حاجة إلى المشي.

فقال عروة بن الزبير:

– ما أحسن ما صنع الله إلى وهب سبعة بنين فمتعني بهم ما شاء ثم أخذ واحدًا وأبقى ستة، وأخذ عضوًا وأبقى خمسًا يدين ورجلاً وسمعًا وبصرًا.

وبلغ عروة بن الزبير أن بعض الناس قال:

- إنما أصاب هذا بذنب عظيم أحدثه:

فأنشد عروة في ذلك متمثلاً بأبيات معن بن أوس:

لعمرك ما أهويت كفي لريبة ::: ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ::: ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
ولست بماش ما حييت لمنكر ::: من الأمر لا يمشي إلى مثله مثلي
ولا مؤثر نفسي على ذي قرابة ::: وأوثر ضيفي ما أقام على أهلي
واعلم أني لن تصبني مصيبة ::: من الدهر إلا قد أصابت فتى مثلي

وفاته:

توفي عروة بن الزبير سنة أربع وتسعين - كان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء لكثرة من مات منهم فيها - وكانت وفاته يوم جمعة فدفن بمجاح ناحية الفرع.

كان عروة بن الزبير:

كان عروة يغتسل كل يوم مرة.

كان عروة بن الزبير لا يحفي شاربه جدًا، يأخذ منه أخذًا حسنًا.

كان عروة يلبس رداء معصفرًا.

كان أبو عبد الله يعصفر له الملحفة بالدينار.

كان عروة بن الزبير يلبس الطيلسان المزرر بالديباج فيه وجوه الرجال وهو مُحْرِمٌ ولا يزد عليه.

كان أبو عبد الله يصلي في قميص وملحفة مشتملاً بها على القميص.

كان عروة يلبس جبة خز.

كان عروة يسرد الصوم.

كان أبو عبد الله يصوم الدهر كله إلا يوم الفطر ويوم النحر.. ومات وهو صائم.

كان عروة بن الزبير إذا كان أيام الرطب يلثم حائطه - يصنع خلة أو فتحة في حائط بستانه - ثم يأذن للناس فيه فيدخلون ويأكلون

ويحملون، وكان إذا دخله ردد هذه الآية:{ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ } [سورة الكهف الآية: ٣٩]، حتى يخرج من الحائط - البستان -.

كان عروة بن الزبير يتألف الناس على حديثه.

قال عمرو بن دينار:

- أتيناه فقال ائتوني فتلقوا مني.

كان عروة بن الزبير يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف ويقوم له ليله.

كان أبو عبد الله لا يترك ورده إلا في الليلة التي قطعت فيها رجله.

عروة وأحاديث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

أسند عروة عن علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمرو، وأبي أيوب الأنصاري، وأسامة بن زيد، وعبد الرحمن بن صخر - أبي هريرة - وابن عباس، ومعاوية، والنعمان بن بشير، وعبد الله بن الأرقم، وعائشة بنت أبي بكر.

ومن مسانيد حديثه:

قال هشام بن عورة عن أبيه عن الزبير بن العوام:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود**) (أخرجه الترمذي كتاب اللباس باب في الخضاب، والإمام أحمد، وابن حبان عن أبي هريرة).

وقال ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة عن علي بن أبي طالب:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**من بنى لله مسجدًا بنى**

الله له بيتًا في الجنة) (أخرجه ابن ماجه كتاب المساجد عن علي، وأبو نعيم في الحلية، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد).

وقال يحيى بن زكريا عن هشام بن عروة عن أبيه عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا طوقه الله يوم القيامة إلى سبع أراضين) (أخرجه مسلم كتاب المسافة، والطبراني عن أبي شريح الخزاعي، وأبو نعيم في المعرفة عن سعيد بن زيد).

وقال هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لي:(يا أبا محمد ما صنعت في استلام الحجر؟).

قال:

- استلمت وتركت.

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(أصبت) (رواه أبو نعيم في الحلية عن جماعة عن هشام من عروة مرسلاً).

وقال يحيى بن أبي كثير عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو:

- قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(إن الله عز وجل لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) (أخرجه مسلم كتاب العلم، والإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه عن ابن عمرو، وأبو نعيم في الحلية).

وقال هشام عن أبيه عروة عن أبي هريرة:

- قال رسول الله:(خير الصدقة ما تصدق به عن ظهر غنى، وليبدأ

أحدكم بمن يعول) (رواه أبو نعيم في الحلية، والعسكري عن أبي هريرة، والنسائي، وأبو داود).

وقال هشام بن زياد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة:

- قالت: كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إذا أوى إلى فراشه قال:(اللهم متعنى بسمعي وبصري وعقلي واجعلها الوارث مني، وانصرني على عدوي وأرني فيه ثأري) (رواه أبو نعيم في الحلية، والدارقطني في الإفراد عن أبي هريرة).

وقال سفيان الثوري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة:

- قالت: كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إذا دخل الخلاء غطى رأسه (رواه أبو نعيم في الحلية عن عائشة).

وقال محمد بن الزبير عن هشام عن أبيه عن عائشة:

- قالت: عاد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) رجلاً من بني غفار فوجده محمومًا وله ضجيج من شدة ما يجد من الحمى.

فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(الحمى من فيح جهنم وهي نصيب المؤمن من النار) (رواه أو نعيم في الحلية).

فقال الرجل:

- يا رسول الله ادع الله أن أموت شهيدًا.

فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(اللهم أعطه ما تمنى).

فقال:

- هاه.

فشهق فمات.

فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(إن من أمتي من لو أقسم على الله لأبره).

وقال عباد بن صهيب عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة:

- قالت: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(النظر إلى علي عبادة) (رواه أبو نعيم في الحلية).

قال أبو بكر بن أبي شيبة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة:

- قالت: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(شرار أمتي أجرؤهم على صحابتي) (رواه أبو نعيم في الحلية).

وحمل عروة بن الزبير علم خالته عائشة التي روت الكثير من أحاديث رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

يقول عروة:

- لقد رأيتني قبل موت عائشة بأربع حجج أو خمس حجج وأنا أقول: لو ماتت اليوم ما ندمت على حديث عندها إلا وقد وعيته.

يقول عروة بن الزبير:

قالت عائشة:

كنت نائمة مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ليلة النصف من شعبان، فلما ألصق جلدي بجلده، أغفيت ثم انتهيت، فإذا برسول الله (صلي الله عليه وسلم) عندي، فأدركني ما يدرك النساء من الغيرة، فلففت مرطي - ثوبي -، أما والله ما كان خزا - صوفًا - ولا قزا ولا ديباجًا ولا قطنًا ولا كتانًا.

فقال عروة:

- فما كان يا أم المؤمنين؟

قالت عائشة:

- كان سدام من شعر، ولحمته من أوبار الإبل.

فحنوت إليه أطلبه - رسول الله (صلي الله عليه وسلم) - حتى ألفيته كالثوب الساقط على وجهه في الأرض، وهو ساجد يقول:

-(سجد لك خيالي وسوادي، وآمن بك فؤادي، هذه يدي وما جنيت بها على نفسي، تُرجي لكل عظيم، فاغفر لي الذنب العظيم).

فقالت:

- بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إنك لفي شأن.

فرفع رأسه ثم عاد ساجدًا فقال:

-(أعوذ بوجهك الذي أضاءت له السماوات من فجأة نقمتك، وتحول عافيتك، ومن شر كتاب قد سبق، وأعوذ برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك، وبك ومنك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك) (رواه الطبراني في الدعاء، وآخره رواه مسلم).

فلما انصرف من صلاته تقدمت أمامه حتى دخلت البيت ولي نفس عالٍ فقال:

-(ما لك يا عائشة).

فأخبرته الخبر.

فقال (صلي الله عليه وسلم) :

-(ويح هاتين الركبتين ما لقيتا في هذه الليلة).

ومسح عليهما، ثم قال عليه الصلاة والسلام:

-(أتدرين أي ليلة هذه يا عائشة؟).

فقالت:

- الله ورسوله أعلم.

فقال (صلي الله عليه وسلم) :

-**(هذه الليلة، ليلة النصف من شعبان، فيها تؤقت الآجال، وتثبت الأعمال)** (رواه البيهقي في شعب الإيمان، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد عن عائشة).

وكانت أم المؤمنين عائشة معظم الأحاديث التي روتها قد تلقتها مباشرة من النبي (صلي الله عليه وسلم)، وكانت ترى وجوب المحافظة على ألفاظ الحديث، ولا تجيز روايته بالمعنى سواء منها أو من غيرها، وتتحرى الدقة في ذلك.

قالت لعروة بن الزبير ذات يوم:

- يا ابن أختي بلغني أن عبد الله بن عمرو مار بنا إلى الحج، فألقه فسائله، فإنه قد حمل عن النبي (صلي الله عليه وسلم) علمًا كثيرًا.

قال عروة:

- فلقيته فساءلته عن أشياء يذكرها عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، فكان فيها ذكر: أن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:**(إن الله لا ينزع العلم من الناس انتزاعًا، ولكن يقبض العلماء فيرفع العلم معهم، وبقى في الناس رءوسًا جهالاً يفتونهم بغير علم، فيضلون ويضلون)**.

قال عروة بن الزبير:

- فلما حدثت عائشة بذلك أعظمت ذلك، وأنكرته، وقالت: أحدثك أنه سمع النبي (صلي الله عليه وسلم) يقول هذا؟

قال عروة:

- حتى إذا كان قابل، قالت له: إن ابن عمرو قد قدم فألقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم.

قال عروة:

فلقيته فساءلته فذكره لي نحو ما حدثني به في مرته الأولى.

قال عروة:

- فلما أخبرتها - عائشة - بذلك.

قالت عائشة:

- ما أحسبه إلا صدق، أراه لم يزد فيه شيئًا ولم ينقص (رواه مسلم).

قال عروة:

إن امرأة قالت لرسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

- هل تغتسل المرأة إذا احتلمت وأبصرت الماء؟

فقال عليه الصلاة والسلام:

-**(نعم)**.

فقالت لها عائشة:

- تربت يداك وألت.

فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-**(دعيها وهل يكون الشبه إلا من قبل ذلك، إذا علا ماؤها ماء الرجل أشبه الولد أخواله، وإذا علا ماء الرجل ماءها أشبه أعمامه)** (أخرجه مسلم عن عروة).

قالوا عن عروة بن الزبير:

قال محمد بن سعد:

- كان عروة ثقة، كثير الحديث، عالمًا مأمونًا ثبتًا.

وقال العجلي:

- عروة مدني تابعي، رجل صالح، لم يدخل في شيء من الفتن.

وقال الواقدي:

- كان عروة فقيهًا عالمًا حفاظًا ثبتًا حجة، عالمًا بالسير، وهو أول من صنف المغازي، وكان من فقهاء المدينة المعدودين، ولقد كان أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يسألونه، وكان أروى الناس للشعر.

وقال هشام بن عروة بن الزبير:

- العلم الواحد من ثلاثة: الذي حسب يزيد به حسبه، أوذي دين يوسوس به دينه، أو مختلط بسلطان يتحفه بنعمة ويتخلص منه بالعلم فلا يقع في هلكته، ولا أعلم أحد اشترطه لهذه الثلاثة إلا عروة بن الزبير، وعمر بن عبد العزيز.

وقال الزهري:

- كان عروة بحرًا لا ينزف، ولا تكدره الدلاء.

وقال عمر بن عبد العزيز:

- ما أحد أعلم من عروة، وما أعلمه يعلم شيئًا أجهله.

وقال قبيصة بن ذؤيب:

- كان عروة يغلبنا بدخوله على عائشة، وكانت عائشة أعلم الناس، وكان عروة أعلم الناس بحديث عائشة.

وقال أبو نعيم الأصبهاني في الحلية:

- عروة بن الزبير الفقيه الورع الشفيق، الضرع نجل الصديق، ذو الحسب العتيق، كان لغوامص الأحكام فائقًا، وإلى محاسن الأخلاق سابقًا.

وقال هشام بن عروة:

- كنا نسافر مع عروة فنصوم ونفطر فلا يأمرنا بالصيام ولا يفطر هو.

وقال ابن شهاب:

- كنت إذا حدثني عروة ثم حدثتني عمرة - بنت عبد الرحمن - يصدق عندي حديث عروة، فلما تبحرتها إذا عروة بحر لا ينزف.

عروة بن الزبير والقرآن العظيم:

تعلم عروة في بيت الوحي منذ نعومة أظافره، كان يذهب إلى خالته عائشة التي سمعت تلاوة أبيها الصديق للقرآن الكريم، وفي بيت النبوة، وشهدت كثيرًا من أسباب نزول الوحي، ولقد سميت حجرتها مهبط الوحي، لذلك وصفت أحوال زوجها (صلي الله عليه وسلم) حين نزول الوحي عليه:

- ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقًا.

وفي الوقت الذي كانت تسأل أم المؤمنين عائشة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) عن معاني الآيات والمراد منها، فكان عليه الصلاة والسلام يبين لها ذلك، وبذلك تلقت التفسير من فم النبي (صلي الله عليه وسلم)، فكان عروة إذا سألها كانت تقول ما قال خاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم).

سئل عروة بن الزبير عن قوله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾} [سورة البقرة الآية: ٢١].

فقال:

- ما كان كل آية أولها:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ}، فإنها نزلت بمكة، وكل آية أولها:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ }، فإنما نزلت المدينة، ما كان من حد أو

فريضة فإنه نزل بالمدينة، وما كان من ذكر الأمم والعذاب نزل بمكة.

وسئل عروة بن الزبير عن قوله تعالى:{وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا } [سورة البقرة الآية: ٦١].

هذا قول بني إسرائيل حين ملوا أكل المن والسلوى وتذكروا عيشهم الأول بمصر، كانوا نتانى أهل كرات وأبصال وأعداس فنزعوا إلى عكرهم عكر السوء واشتاقت طباعهم في زمن التيه إلى ما جرت عليه عادتهم فقالوا:

- لن نصبر على طعام واحد - المن والسلوى كانوا يأكلون أحدهما بالآخر -.

قال عروة بن الزبير:

- قالت عائشة: كانت أمي تعالجني للسمنة، تريد أن تدخلني على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فما استقام لها ذلك حتى أكلت القثاء بالرطب فسمنت كأحسن سمنة (رواه ابن ماجه).

وكان عروة بن الزبير إذا قرأ قوله تعالى:{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾} [سورة البقرة الآية: ١٢٧].

قال:

- قال أبي عن عائشة: قالت: قال لي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**لولا حداثة – عهد – قومك بالكفر لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس إبراهيم، فإن قريشًا حين بنت الكعبة استقصرت ولجعلت لها خلفًا.**

وفي صحيح البخاري أضاف عروة:

- يعني بابًا، لجعلت لها خلفين - يعني بابين - فهذا بناء قريش.

وسئل عروة بن الزبير عن قوله تعالى:{إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾} [سورة البقرة الآية: ١٥٨].

قال عروة:

- قلت لعائشة: ما أرى على أحد لم يطف بين الصفا والمروة شيئًا، وما أبالي ألا أطوف بينهما.

فقالت:

- بئس ما قلت ابن أختي، طاف رسول الله، وطاف المسلمون، وإنما كان من أهَلَّ لمِناة الطاغية - صنم كان أهل الجاهلية يتخذونه إلـهًا - التي بالمشلل لا يطوفون بين الصفا والمروة فأنزل الله تعالى:{فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا} [سورة البقرة الآية: ١٥٨]، ولو كانت كما تقول لكانت فلا جناح عليه ألا يطوف بهما.

وسئل عروة بن الزبير عن قوله تعالى:{وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ} [سورة البقرة الآية: ٢٢١].

حرم الله نكاح المشركات في سورة البقرة، ثم نسخ من هذه الجملة نساء أهل الكتاب، فأحلهن في سورة المائدة:{وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ} [سورة المائدة الآية: ٥]، يعني العفائف، قال تعالى:{فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ} [سورة النساء الآية: ٢٥].

قال عروة:

- قالت عائشة: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل - ثلاث مرات - فإن دخل بها فالمهر لها بما أصاب منها فإن تشاجرا فالسلطان ولي من لا ولي له) (رواه أبو داود عن عائشة).

وسئل عروة بن الزبير عن قوله تعالى:{لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ} [سورة البقرة الآية: ٢٢٥].

قال عروة:

- قالت عائشة: نزل قوله تعالى:{لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ} [سورة البقرة الآية: ٢٢٥]، في قول الرجل: لا والله، وبلى والله.

وقيل: اللغو: ما يحلف به على الظن، وليس فيه كفارة.

يقول مالك أحسن ما سمعت في هذا أن اللغو حلف الإنسان على الشيء يستيقن أنه كذلك ثم يوجد بخلافه، فلا كفارة فيه.

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(لا يمين في غضب) (أخرجه مسلم عن ابن عباس).

وقال عروة بن الزبير:

- اللغو: هو يمين المعصية، كالذي يقسم ليشربن الخمر أو ليقطعن الرحم فبره ترك ذلك الفعل ولا كفارة عليه.

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليتركها فإن تركها كفارتها) (أخرجه ابن ماجه).

وكان عروة بن الزبير إذا قرأ قوله تعالى:{إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾} [سورة آل عمران الآيتان: ١٢٤ - ١٢٥].

يقول عروة:

كانت بدر يوم سبعة عشر من رمضان يوم جمعة لثمانية عشر شهرًا من الهجرة، وكان أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر رجلاً، وكان عدد المشركين ما

بين التسعمائة إلى الألف.

{مِّن فَوۡرِهِمۡ} من وجههم.

وقيل: من غضبهم.

{مُسَوِّمِينَ} أي معلمين بعلامات.

يقول عروة:

- تسومت الملائكة يوم بدر بالصوف الأبيض في نواصي الخيل وآذانها، ونزلت في سيما الزبير عليهم عمائم صفراء، مرخاة على أكتافهم، وكانت ملاءة اعتم بها الزبير.

وقيل: نزل جبريل وعليه عمامة صفراء على مثال الزبير بن العوام.

وسئل عروة بن الزبير عن قوله تعالى:{وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ} [سورة آل عمران الآية: ١٣٤].

فقال:

- كظم الغيظ والعفو عن الناس وملك النفس عند الغضب من أعظم العبادة وجهاد النفس.

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) (رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة).

وقال عروة في العفو:

لن يبلغ المجد أقوام وإن شرفوا ::: حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام

ويشتموا فترى الألوان مشرقة ::: لا عفو ذل ولكن عفو إكرام

وكان أبو عبد الله إذا قرأ قوله تعالى:{ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ } [سورة آل عمران الآية: ١٥٢].

لما رجع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلى المدينة بعد غزوة أحد وقد أصيبوا قال بعض المسلمين:

- من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر؟

فنزلت هذه الآية.

وذلك أنهم قتلوا صاحب لواء المشركين - طلحة بن أبي طلحة - وسبعة نفر منهم على اللواء، وكان الظفر ابتداء المسلمين.. غير أنهم لما رأوا هزيمة المشركين اشتغلوا بالغنيمة، عصوا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وخالفوا أمره، وترك بعض الرماة ظهر جبل أحد طلبًا للغنيمة فكان ذلك سبب الهزيمة.

وقال عروة بن الزبير:

- وكان الله عز وجل وعدهم على الصبر والتقوى أن يمدهم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين، وكان قد فعل، فلما عصوا أمر الرسول وتركوا مصافهم وترك الرماة عهد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إليهم ألا يبرحوا من منازلهم، وأرادوا الدنيا رفع عنهم مدد الملائكة، وأنزل الله تعالى:{ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ } [سورة آل عمران الآية: ١٥٢]، فصدق الله وعده وأراهم الفتح، فلما عصوا أعقبهم البلاء.

وكان عروة بن الزبير إذا قرأ قوله تعالى:{لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾} [سورة آل عمران الآية: ١٦٤].

قال:

- قالت عائشة: هذه للعرب خاصة.

وسأل عروة أم المؤمنين عن قوله تعالى:{ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ} [سورة آل عمران الآية: ١٧٢].

قالت:

- كان أبوك - تعنى حواري رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الزبير بن العوام - من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح (رواه مسلم).

وقال عائشة:

- يا ابن أختي كان أبواك - تعني الزبير وأبا بكر الصديق - من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح.

وقالت أم المؤمنين عائشة:

- لما انصرف المشركون من أحد - إلى مكة - وأصاب النبي (صلي الله عليه وسلم) وأصحابه ما أصابهم خاف أن يرجعوا فقال:

- من ينتدب لهؤلاء حتى يعلموا أن بنا قوة؟

فانتدب أبو بكر والزبير في سبعين، فخرجوا في آثار القوم فسمعوا بهم وانصرفوا بنعمة من الله وفضل.

وسأل عروة خالته عائشة عن قوله تعالى:{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ} [سورة النساء الآية: ٣].

قالت عائشة:

- يا ابن أختي هي اليتيمة في حجر وليها تشاركه في ماله، فيعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها من غير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن.

وكان عروة بن الزبير إذا قرأ قوله تعالى:{وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ } [سورة النساء الآية: ٤٣].

تبسم.. قالت عائشة:

- إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قَبَّلَ بعض نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ.

قال لها عروة:

- من هي إلا أنت؟

فضحكت.

لامستم النساء: الملامسة من باب المفاعلة ولا تكون إلا من اثنين وهي الجماع، ومقتضاها التقاء البشرتين سواء كان ذلك من واحد أو من اثنين، لأن كل واحد منهما يوصف لامس وملموس.

وسئل عروة بن الزبير عن قوله تعالى:{ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا } [سورة المائدة الآية: ٨٢].

قال عروة بن الزبير:

- ضيعت النصارى الإنجيل، وأدخلوا فيه ما ليس منه، وكانوا أربعة نفر الذين غيروه، لوقاس، ومرقوس، ويحنس، ومقبوس، وبقى قسيس على الحق وعلى الاستقامة، فمن كان على دينه وهديه فهو قسيس.

وسئل عروة بن الزبير عن قوله تعالى:{وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ} [سورة الأنعام الآية: ٥٩].

جاء في الخبر أن هذه الآية لما نزلت معها اثنا عشر ألف ملك.

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم أحد ما يكون في الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله) (رواه البخاري عن عبد الله بن عمر).

وقالت عائشة:

- من زعم أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول:{قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ} [سورة النمل الآية: ٦٥].

ومفاتيح: جمع مفتح، والمفتح عبارة عن كل ما يحل غلقًا، محسوسًا كان كالقفل على البيت أو معقولاً كالنظر.

تقول عائشة:

سأل رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أناس عن الكهان فقال:

-(إنهم ليسوا على شيء).

فقالوا:

- يا رسول الله إنهم يحدثونا أحيانًا بشيء فيكون حقًا.

فقال (صلي الله عليه وسلم) :

-(تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخطفون معها مائة كذبة) (رواه مسلم عن عائشة).

وقال عروة بن الزبير:

- قالت عائشة: سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول:(إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضى في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم) (أخرجه البخاري).

وسئل عروة بن الزبير عن قوله تعالى:{ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ} [سورة الأعراف الآية: ٢٦].

قالت أم المؤمنين:

- أجل لعمري لقد استيقنوا بذلك.

فقال عروة بن الزبير:

- وظنوا أنهم كذبوا.

قالت عائشة:

- معاذ الله، لم تكن الرسل تظن ذلك بربها.

تساءل عروة:

- فما هذه الآية؟

قالت عائشة:

- هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصرنا عند ذلك.

وسئل عروة عن قوله تعالى:{ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ٢٧} [سورة الحجر الآية: ٢٧].

أي خلق إبليس من قبل خلق آدم، وسمى جانًا لتواريه عن الأعين.

من نار السموم: نار السموم التي خلق الله منها الجان جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم.

وقيل: السموم الريح الحار التي تقتل، وهي نار لا دخان لها والصواعق تكون منها، وهي نار تكون بين السحاب، وهي نار دونها حجاب.

يقول عروة:

- قالت عائشة: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**) (أخرجه مسلم).

وكان عروة بن الزبير إذا قرأ قوله تعالى:{ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ } [سورة الإسراء الآية: ٨٢].

قال:

- قالت عائشة: كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إذا اشتكى قرأ على نفسه المعوذتين:{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾} [سورة الفلق الآية: ١]،{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾} [سورة الناس الآية: ١] وتفل أو نفث.

فقال عروة:

- كيف كان ينفث؟

قالت أم المؤمنين:

- كان ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه.

نفث: نفخ نفخًا ليس معه ريق.

تفل: نفخ نفخًا معه ريق.

وسئل عروة بن الزبير عن قوله تعالى:{أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ } [سورة القصص الآية: ٥٤].

قال عروة:

- نزلت في النجاشي وأصحابه ووجه باثني عشر رجلاً فجلسوا مع النبي (صلي الله عليه وسلم)، وكان أبو جهل وأصحابه قريبًا منهم، فآمنوا بالنبي (صلي الله عليه وسلم)، فلما قاموا من عند النبي (صلي الله عليه وسلم) تبعهم أبو جهل ومن معه فقال لهم:

- خيبكم الله من ركب، وقبحكم من وفد، لم تلبثوا أن صدقتموه، وما رأينا ركبًا أحمق منكم ولا أجهل.

فقالوا:

- سلام عليكم،{وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ} [سورة البقرة الآية: ١٣٩].

وكان عروة إذا قرأ سورة الأحزاب قال:

قالت عائشة: كانت سورة الأحزاب تعدل على عهد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) مائتي آية، فلما كتب المصحف لم يقدر منها إلا على ما هي الآن.

وقال عروة:

- قالت عائشة: إن الله تعالى رفع إليه من سورة الأحزاب ما يزيد على ما عندنا - وهذا وجه من وجوه النسخ -.

وسئل عروة بن الزبير عن قوله تعالى:{أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ} [سورة غافر الآية: ٢٨].

فقال:

قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص:

- أخبرني بأشد ما صنعه المشركون برسول الله (صلي الله عليه وسلم).

فقال:

- بينما رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بفناء الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، ولوى ثوبه في عنقه فخنقه بها خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وقال:

أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟ (رواه البخاري، ومسلم عن عروة).

وسئل عروة بن الزبير عن قوله تعالى:{ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾} [سورة الدخان الآية: ٤].

فقال:

- قالت عائشة قال النبي (صلي الله عليه وسلم) :(إن الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب) (أخرجه الترمذي عن عائشة).

وسئل عروة بن الزبير عن قوله تعالى:{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ} [سورة الأحقاف الآية: ١١].

قال عروة بن الزبير:

إن زنيرة أسلمت فأصيب بصرها فقال - أشراف قرش - لها:

- أصابك اللات والعزى.

فرد الله عز وجل عليها بصرها.

فقال عظماء قريش:

- لو كان ما جاء به محمد خيرًا ما سبقتنا إليه زنيرة.

فأنزل الله تعالى هذه الآية:{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ} [سورة الأحقاف الآية: ١١].

وكان عروة بن الزبير إذا قرأ قوله تعالى:{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ} [سورة الحجرات الآية: ١٣].

قال:

- قال عليه الصلاة والسلام:(من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله).

لأن التقوى هي المراعي عند الله تعالى وعند رسوله دون الحسب والنسب.

والتقوى معناه مراعاة حدود الله تعالى أمرًا ونهيًا، والاتصاف بما أمرك أن تتصف له، والتنزه عما نهاك عنه.

يقول عروة بن الزبير:

- قالت عائشة إن أبا هند مولى بني بياضة كان حجامًا فحجم النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) :

-(من سره أن ينظر إلى من صور الله الإيمان في قلبه فلينظر إلى أبي هند).

وقال عليه الصلاة والسلام:

-(أنكحوه وأنكحوا إليه).

وسئل عروة بن الزبير عن قوله تعالى:{وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾} [سورة النجم الآية: ١].

قال عروة:

إن عتيبة بن أبي لهب وكان تحته بنت رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، أراد الخروج إلى الشام - للتجارة - فقال:

- لآتين محمدًا فلا أوذينه.

فأتاه فقال:

- يا محمد هو كافر بالنجم إذا هوى، وبالذي دنى فتدلى.

ثم تفل في وجه رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، ورد عليه ابنته وطلقها.

فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك).

وكان أبو طالب حاضرًا فوجم لها - هذه الدعوة - وقال:

- ما كان أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة.

فرجع عتيبة إلى أبيه فأخبره.

ثم خرجوا إلى الشام، فنزلوا منزلاً، فأشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم:

- إن هذه الأرض مسبعة - تكثر بها السباع -.

فقال أبو لهب بن عبد المطلب لأصحابه:

- أغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة، فإني أخاف على ابني من دعوة محمد فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم، وأحدقوا بعتيبة، فجاء أسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله.

فقال حسان بن ثابت - شاعر رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :-

من يرجع العام إلى أهله ::: فما أكيلُ السَّبْعِ بالرّاجعِ

وكان عروة بن الزبير إذا قرأ عروس القرآن:{ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾} [سورة الرحمن الآيات: ١ - ٤]. قال:

- سورة الرحمن سورة مكية كلها إلا آية منها هي قوله تعالى:{يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [سورة الرحمن الآية: ٢٩].

ويقول عروة:

- أول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبي (صلي الله عليه وسلم) ابن مسعود وذلك أن الصحابة قالوا:

- ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط، فمن رجل يسمعهموه؟

فقال عبد الله بن مسعود:

- أنا.

فقالوا:

- إنا نخشى عليك، وإنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه.

فأبى ابن مسعود، ثم قال عند المقام - مقام إبراهيم - فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم:{ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢} [سورة الرحمن الآيتان: ١ - ٢].

ثم تمادى رافعًا بها صوته وقريش في أنديتها، فتأملوا وقالوا:

- ما يقول ابن أم عبد؟

قالوا:

- هو يقول الذي يزعم محمد أنه أنزل عليه.

ثم ضربوه حتى آثروا في وجهه.

وسئل عروة بن الزبير عن قوله تعالى:{وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ۝٢٣} [سورة نوح الآية: ٢٣].

قال عروة بن الزبير:

- اشتكى آدم عليه السلام وعنده بنوه: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق.

- اشتكى آدم عليه السلام وعنده بنوه: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا، وكان ود أكبرهم وأبرهم به.

وقيل: بل كانوا قومًا صالحين بين آدم ونوح، وكان لهم تبع يقتدون بهم، فلما ماتوا زين لهم إبليس أن يصوروا صورهم ليتذكروا بها اجتهادهم، وليتسلوا بالنظر إليها، فصورهم، فلما ماتوا هم وجاء آخرون قالوا:

- ليت شعرنا هذه الصور ما كان آباؤنا يصنعون بها؟

فجاءهم إبليس فقال:

- كان آباؤكم يعبدونها فترحمهم وتسقيهم المطر فعبدوها.

فابتدئ عبادة الأوثان من ذلك الوقت.

وسئل عروة بن الزبير عن قوله تعالى:{فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣)} [سورة النازعات الآية: ٤٣].

فقال:

- لم يزل النبي (صلي الله عليه وسلم) يسأل عن الساعة حتى نزلت هذه الآية:{فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣)} [سورة النازعات الآية: ٤٣].

ولما كان عروة يقرأ قوله تعالى:{ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)} [سورة المسد الآية: ٥].

يقول: سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا تدخل من فيه أم جميل زوجة أبي لهب وتخرج من أسفلها، ويلوى سائرها على عنقها.

من أقوال عروة بن الزبير:

* رب كلمة ذل احتملتها أورثتني عزًا طويلاً.

* إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة فاعلم أن لها عنده أخوات، وإذا رأيته يعمل السيئة فاعلم أن لها عنده أخوات، فإن الحسنة تدل على أختها، وإن السيئة تدل على أختها.

* يا بني تعلموا فإنكم إن تكونوا صغار قوم عسى أن تكونوا كبارهم، واسوأتاه ماذا أقبح من شيخ جاهل.

* رأى عروة رجلاً يصلي فخفف فدعاه وقال:

- أما كانت لك إلى ربك سبحانه وتعالى حاجة أني لأسأل الله تبارك وتعالى في صلاتي حتى أسأله الملح.

* إذا جعل أحدكم لله عز وجل شيئًا فلا يجعل له ما يستحي أن يجعله لكريمه، فإن الله تبارك وتعالى أكرم الكرماء وأحق من اختير له.

* وكان يقول لبنيه: إذا رأيتم خلة - خصلة - شر رائعة من رجل فاحذروه، وإن كان عند الناس رجل صدق فإن لها عنده أخوات، وإذا رأيتم خلة رائعة من رجل فلا تقطعوا عنه أيامكم، وإن كان عند الناس رجل سوء فإن لها عنده أخوات.

* الناس بأزمتهم أشبه منهم بآبائهم وأمهاتهم.

* مكتوب في الحكمة: لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسطًا، تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء.

* إذا رأى أحدكم شيئًا من زينة الدنيا وزهرتها فليأت أهله وليأمرهم بالصلاة وليصطبر عليها، قال الله تعالى لنبيه (صلي الله عليه وسلم) :{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ} [سورة طه الآية: ١٣١].

- والمعنى جعلنا لهم زهرة الحياة الدنيا أي في حالة زهرتها.

وقيل:

{زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا} [طه: ١٣١] يعني زينتها بالنبات.

* لما اتخذ عروة قصره بالعقيق قال له الناس:

جفوت عن مسجد رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

فقال أبو عبد الله:

إنـي رأيـت مسـاجدهم لاهيـة، وأسـواقهم لاغيـة، والفاحشـة فـي فجاجهم عالية، فكان فيما هناك عما هم في عافية.

* يا بنـي لا تكونـون لعـانين فـإن إبـراهيم عليـه السـلام لـم يلعن شيئًا قط.

* أول سيف سل فـي الإسـلام بمكـة سيف الزبيـر، بلغـه أن النبـي (صلى الله عليه وسلم) قُتل فسل سيفه وقال:

- لا ألقي أحدًا إلا قتلته.

فبلغ ذلك النبي (صلي الله عليه وسلم) فأخذ سيفه فمسحه ودعا له، (رواه ابن عامر عن عروة).

لـم يهـاجر أحـد مـن المهـاجرين معـه أمـه إلا الزبيـر، (رواه ابـن عساكر عن عروة).

لم يكن مع النبي (صـلي الله عليـه وسـلم) يـوم بـدر غيـر فرسـين أحدهما عليه الزبير، (رواه ابن سعد، وابن عساكر عن عروة).

* يا بني لا يهدين أحدكم إلى ربه عز وجل مـا يسـتحي أن يهديـه إلى كريمه، فإن الله عز وجل أكرم الكرماء، وأحق من اختير إليه.

* حرق عروة بن الزبير كتب فقه كانت له، فكان يقول بعد ذلك:

- لأن تكون عندي أحب إليَّ من أن يكون لـي مثل أهلي ومالي.

* * *

محمد بن الحنفية

مواقف ومواعظ
مــن حيــاة التابعيـــن

[٥]

محمد بن الحنفية

قال علي بن أبي طالب لصاحب الخلق العظيم (صلي الله عليه وسلم) :

- يا رسول الله إن ولد لي بعدك أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك؟.

قال الذي لا ينطق عن الهوى (صلي الله عليه وسلم) :(**نعم**).

(أخرجه الترمذي في الأدب، وأبو داود في الأدب، والإمام أحمد).

* * *

محمد بن الحنفية

من هو محمد بـن الحنفية؟

هو محمد بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب.

أمه الحنفية خولة بنت جعفر بن قيس.

وقيل: كانت أمه من سبي اليمامة فصارت إلى علي بن أبي طالب.

تقول أسماء بنت أبي بكر: رأيت أم محمد بن الحنفية سندية سوداء.

كانت أمة لبني حنيفة، ولم تكن منهم، وإنما صالحهم خالد بن الوليد على الرقيق ولم يصالحهم على أنفسهم.

ولد محمد بن الحنفية في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

وكان يكنى أبا القاسم.

رخصة من رسول الله (صلي الله عليه وسلم) **لعلي بن أبي طالب:**

قال علي بن أبي طالب لخاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم) :

يا رسول الله إن ولد لي ولد بعدك أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك؟

قال المبعوث رحمة للعالمين (صلي الله عليه وسلم) :

-(نعم).

فكانت رخصة من رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لعلي (أخرجه الترمذي في الأدب، وأبو داود في الأدب، والإمام أحمد في

المسند).

ووقع بين أبي الحسن وطلحة بن عبيد الله كلام فقال له طلحة:

- لا كجرأتك على رسول الله سميت باسمه وكنيت بكنيته، وقد نهى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن يجمعهما أحد من أمته بعده.

فقال علي بن أبي طالب:

- إن الجريء من اجترأ على الله ورسوله.

ثم نظر أبو الحسن حوله وقال لرجل:

- اذهب يا فلان فادع فلانًا وفلانًا - لنفر من قريش -.

فذهب الرجل ثم جاء ومعه رجلان فقال لهما علي بن أبي طالب:

- بم تشهدون.

قالوا:

- نشهد أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال:(أنه سيولد لك بعدي غلام فقد نحلته اسمي وكنيتي ولا تحل لأحد من أمتي بعده).

يوم الجمل:

لما قتل المتمردون أمير المؤمنين عثمان بن عفان بايع المسلمون علي بن أبي طالب، ولكن معاوية بن أبي سفيان والي الشام شق عصا الطاعة هو وبنو أمية وأهل الشام، وخرج طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام إلى الشام ولحقت بهم أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر فخرج أمير المؤمنين علي في أثرهم ليردهم إلى مدينة رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

ولما بلغ أمير المؤمنين علي الربذة جعل راية جيشه مع محمد بن الحنفية، فلما بلغ البصرة علم أن عائشة بنت أبي بكر في هودجها على جمل تحرض المسلمين على الثأر من قتلة عثمان بن عفان.

والتقى الجمعان.. وحمل أمير المؤمنين علي على المارقين حملة رجل واحد وصرع محمد بن الحنفية مروان بن الحكم أحد رءوس الفتنة وقعد على صدره وأراد قتله فقال مروان في تذلل:

- أنشدك الله والرحم.

وأخذ يتذلل له.. فأطلق سبيله.

وعقر أصحاب أبي الحسن الجمل الذي كانت تركبه أم المؤمنين عائشة فأسرها أخوها محمد بن أبي بكر، ولكن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أكرمها وأطلق سراحها وأرسل معها جماعة من النساء يرتدون ملابس الفرسان حتى بلغت مدينة رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

علي بن أبي طالب يوصي ابنه محمد الأكبر:

قال أبو الحسن لولده محمد بن الحنفية:

يا بني احذر من الأمور ثلاثا، ووافق ثلاثا، واستح من ثلاث، وافزع من ثلاث، واهرب من ثلاث، وخالف ثلاثا، وخف ثلاثا، واربح ثلاثا.

فتساءل محمد الأكبر.

- فصلها يا أبي:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

احذر من الكبر والغضب والحرص المذموم.

ووافق كتاب الله وسنة رسوله (صلي الله عليه وسلم) والصالحين من عباده.

وليكن حياؤك من الله ومن الملائكة ومن الصالحين.

وليكن فزعك خوفًا من المعصية، وفزعك إلى التوبة، وفزعك إلى طلب العلم.

واهرب يا بني من الكذب والخيانة والظلم.

واجتنب الشر وأهله، والنفاق وأهله، والحمق وأهله.

وخف الله وممن لا يخاف الله، ومن لدغات لسانك.

واربح الله في غفران ذنوبك، وفي قبول أعمالك، وفي شفاعة نبيك.

عدوان متفاوتان:

سأل محمد بن الحنفية أباه ذات يوم عن الخير فقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

ليس الخير أن يكثر ولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، وأن يعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله.

ورأى محمد بن الحنفية أباه ذات يوم وعليه إزار مرقع فسأله في ذلك فقال أبو الحسن:

يخشع القلب، وتذل به النفس، ويتقدي به المؤمن.

إن الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان، وسبيلان مختلفان، فمن أحب الدنيا وتولاها، أبغض الآخرة وعاداها.

وهما بمنزلة المشرق من المغرب، وماش بينهما، كلما قرب من واحد، بعد من الآخر وهما بعد ضرتان.

لا يترك الناس شيئًا من أمر دينهم لإصلاح دنياهم إلا فتح الله عليهم ما هو أضر منه.

آخر وصايا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

جلس أبو الحسن وحوله أبنائه فقال:

أوصيكم بخمس لو ضربت عليها آباط الإبل لكان قليلاً:

لا يرجون أحد إلا ربه.

ولا يخافن إلا ذنبه.

ولا يستحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم، وإذ لا يعلم الشيء أن يتعلمه.

واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان.

من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً، ولا عن النار مهرباً:

أولها: من عرف الله فأطاعه.

والثانية: من عرف الشيطان فعصاه.

والثالثة: من عرف الحق فاتبعه.

والرابعة: من عرف الباطل فاجتنبه.

والخامسة: من عرف الدنيا فأعرض عنها.

والسادسة: من عرف الجنة فطلبها.

وقال ربيب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

من نصب نفسه للناس إمامًا فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه.

من أمضى يومه في غير حق قضاء أو فرض أداه أو مجد بناه أو حصد حصله أو خير أسسه أو علم اقتبسه فقد عق يومه.

لا تكن ممن يقول بقول الزاهدين ويعمل بعمل الراغبين، يحب الصالحين ولا يعمل بعملهم، ويبغض المذنبين وهو أحدهم.

يعجب بنفسه إذا عوفي ويقنط إذا ابتلى، وإذا أصابه بلاء دعا مضطرًا، وإن ناله رجاء أعرض مغترًا، تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن، يصف العبرة ولا يعتبر، ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ، فهو بالقول مدل ومن العمل مقل، يستعظم من

معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه ويستكثر من طاعته، ما يحضره من طاعة غيره، فهو على الناس طاعن، وللعمل مداهن، اللغو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء، يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره يرشد نفسه ويغوي غيره، يطاع ويعصى ويستوفى ولا يوفى، ويخشى الخلق في غير ربه ولا يخشى ربه في خلقه.

* وبينما كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في طريقه إلى المسجد ومعه ابنه محمد بن الحنفية سأله رجل:

- يا أبا الحسن صف لنا ربك.

فقال أبو الحسن:

- سبحان ربي لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالقياس، فوق كل شيء، وليس تحته وهو في كل شيء، لا شيء في شيء{لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} [سورة الشورى الآية: ١١].

وبعد أن فرغ أبو الحسن من صلاته فحمد الله وأثنى عليه وصلى على خاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم) قال:

لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، لقد رأيت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يمسح على ظاهر خفيه.

مقتل أبي الحسن.. وتفجر أحقاد بني أمية:

خرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من داره، وفي الطريق إلى المسجد ضربه ابن ملجم بسيف مسموم ضربة غادرة.. ولم علم معاوية بموت أبي الحسن ربا طمعه في الخلافة.. ثم صالح الحسن بن علي.. فصارت الخلافة لبني أمية.

وتفجرت أحقاد بني أمية فسب ربيب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) على المنابر.. وصار أهل وأتباع علي بن أبي طالب كبني

إسرائيل وآل فرعون.

إياك أن أكون سابقك إلى الفضل:

جرى بين ريحانة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الحسين بن علي وبين أخيه محمد بن الحنفية كلام، فانصرفا متغاضبين.

فلما بلغ محمد الأكبر إلى داره أخذ رقعة وكتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن علي بن أبي طالب إلى أخيه الحسين بن علي بن أبي طالب.

أما بعد،

فإن لك شرفًا لا أبلغه، وفضلاً لا أدركه، فإذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك وسر إليَّ فترضني، وإياك أن أكون سابقك إلى الفضل الذي أنت أولى به مني والسلام.

فلما قرأ ريحانة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الرقعة لبس رداءه ونعليه ثم انطلق إلى أخيه محمد الحنفية فترضاه.

وقعة الحرة:

ضاقت صدور المسلمين ذرعًا بجور وأفاعيل أبناء الطلقاء - بني أمية - فانفجرت مراجل الصدور بالغضب وكانت أول ثورة وتمرد بمدينة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) سنة ثلاث وستين للهجرة، فقد قام أهل المدينة وأعلنوا خلع أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، وولوا على قريش عبد الله بن مطبع، وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر - ابن غسيل الملائكة -، فقد اجتمعوا عند المنبر فجعل رجل منهم يقول:

- خلعت يزيد كما خلعت عمامتي هذه.

ويلقيها عن رأسه.

ويقول الآخر:

- خلعت يزيد كما خلعت نعلي هذه.

حتى اجتمع شيء كثير من العمائم والنعال هناك.

ثم اجتمعوا على إخراج عامل يزيد بن معاوية من بين أظهرهم، وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان، ابن عم يزيد، وعلى إجلاء بني أمية من مدينة رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، فاجتمعت بنو أمية في دار مروان بن الحكم وأحاط بهم أهل المدينة يحاصرونهم.

وسئل محمد بن الحنفية في ذلك فامتنع من ذلك أشد الامتناع واعتزلهم.

وكتب بنو أمية إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية بما فيهم من الجوع والعطش والإهانة، وإنه إن لم يبعث من ينقذهم مما فيه وإلا استؤصلوا عن آخرهم، وبعثوا ذلك مع البريد.

فلما قرأ يزيد بن معاوية الكتاب انزعج وانتدب اثنى عشر ألفا فارس، وخمسة عشر رجلاً وجعل عليهم مسلم بن عقبة.

ولما سمع محمد بن الحنفية بدنو - قرب - جيش مسلم - مسرف - بن مسلم من مدينة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) رحل إلى مكة فأقام مع عبد الله بن عباس.

ودخل مسرف بن مسلم وأباح مدينة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ثلاثة أيام يقتلون من وجدوا من الناس، ويأخذون الأموال وينهبوا.. فوقع من المفاسد العظيمة في مدينة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ما لا يحد ولا يوصف.

وفر بعض الصحابة: جابر بن عبد الله و.. و..

قال هشام بن حسان:

- ولدت ألف امرأة من أهل المدينة بعد وقعت الحرة من غير

زوج.

ما عند الله خير وأبقى:

قال محمد بن الحنفية:

رحم الله امرأ أغنى نفسه وكف يده وأمسك لسانه وجلس في بيته، لما ما احتسب وهو مع من أحب - في الجنة - ألا إن أعمال بني أمية أسرع فيهم من سيوف المسلمين، ألا إن لأهل الحق دولة يأتي بها الله إذا شاء، فمن أدرك ذلك منكم ومنا كان عندنا في السنام الأعلى، ومن يمت فما عند الله خير وأبقى.

عبد الله بن الزبير.. والبيعة:

لما مات يزيد بن معاوية استفحل أمر عبد الله بن الزبير بالحجاز وما والاها، وبايعه الناس بعد يزيد بيعة هناك، واستناب على أهل المدينة أخاه عبيد الله بن الزبير، وأمره بإجلاء بني أمية عن المدينة.. فأجلاهم فرحلوا إلى الشام وفيهم مروان بن الحكم، وابنه عبد الملك، وبايع لعبد الله بن الزبير النعمان بن بشير بحمص، وبايع له نائل بن قيس بفلسطين، وبايع له زفير بن عبد الله الكلابي بقسرين.

ولما رأى مروان بن الحكم ذلك قرر أن يبايع عبد الله بن الزبير، ولكن عبد الله بن زياد والحصين بن نمير أخذا يُحسّنان لمروان بن الحكم أن يتولى أمر المسلمين حتى ثنوه عن رأيه وحذراه من دخول سلطان عبد الله بن الزبير بملكه إلى الشام وقالا لمروان:

- أنت شيخ قريش وسيدها فأنت أحق بهذا الأمر.

فرجع مروان بن الحكم عن المبايعة لعبد الله بن الزبير.

واجتمع إلى مروان عمرو بن سعيد بن العاص، وحصين بن نمير، وابن زياد، وأهل اليمن وخلق.. وقالوا:

- ابسط يدك نبايعك.

فبسط مروان بن الحكم يده فبايعوه بالجابية في يوم الأربعاء لثلاث من ذي القعدة سنة أربع وستين للهجرة.

محمد بن الحنفية ومروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير:

لما بايع عبد الله بن الزبير لنفسه ودعا الناس له، دعا عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية إلى البيعة له، فأبيا وقالا:

- حتى يجتمع لك البلاد ويتسق لك الناس.

فأقام محمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس على ذلك ما أقاما فمرة يكاشرهما ابن الزبير، ومرة يلين لهما، ومرة يباديهما، ثم غلظ عليهما فوقع بينهم كلام وشر، فلم يزل الأمر يغلظ حتى خافا منه خوفًا شديدًا ومعهما النساء والذرية، فأساء عبد الله بن الزبير جوار محمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس وحصرهم وآذاهم، وقصد لمحمد بن الحنفية فأظهر شتمه وعيبه وأمره وبني هاشم أن يلزموا شعبهم بمكة وجعل عليهم الرقباء وقال لهم فيما يقول:

- والله لتبايعن أو لأحرقنكم بالنار.

فخافوا على أنفسهم.

يقول سلم بن عامر:

- رأيت محمد بن الحنفية محبوسًا في زمزم والناس يُمْنعُون من الدخول عليه.

فقال سلم بن عامر:

- والله لأدخلن عليه.

فدخل سلم بن عامر فقال:

- ما بك وهذا الرجل؟.

فقال محمد بن علي بن أبي طالب:

- دعاني إلى البيعة فقلت: إنما أنا من المسلمين فإذا اجتمعوا فأنا كأحدهم، فلم يرض بهذا مني، فاذهب إلى ابن عباس فأقرئه مني السلام وقل: يقول ابن عمك ما ترى.

فدخل سلم بن عامر على عبد الله بن عباس وهو ذاهب البصر فقال:

- من أنت؟

فقال سلم بن عامر:

- أنصاري.

فقال ترجمان القرآن:

- رب أنصاري هو أشد علينا - بني هاشم - من عدونا.

فقال سلم بن عامر مطمئنًا:

- لا تخف، أنا ممن لك كله.

قال ابن عباس:

- هات.

فأخبره بقول محمد بن الحنفية، فقال عبد الله بن عباس:

- قل له: لا تطعه ولا نعمة عين إلا ما قلت، لا تزد عليه.

وبعث محمد بن الحنفية إلى شيعته بالكوفة فجاء عبد الله الجدلي ومعه أربعة آلاف، فلما دخلوا مكة كبروا تكبيرة سمعها عبد الله بن الزبير فانطلق هاربًا حتى دخل دار الندوة.

ويقال: بل انطلق وتعلق بأستار الكعبة، وقال:

- أنا عائذ بالله.

قال عبد الله الجدلي لمحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس:

- ذرونا نريح الناس من ابن الزبير.

فقال محمد بن علي، وعبد الله بن عباس:

- هذا بلد حرمه الله، ما أحله لأحد إلا للنبي عليه الصلاة والسلام ساعة ما حله لأحد قبله ولا يحله لأحد بعده، فامنعونا وأجيرونا.

فخرجوا بهم حتى أنزلوهم مني فأقاموا ما شاء الله أن يقيموا.

ثم خرج محمد بن الحنفية وأهله، وعبد الله بن عباس وأهله إلى الطائف فأقاموا ما أقاموا.

وتوفي عبد الله بن عباس سنة ثمان وستين للهجرة فصلى عليه محمد بن الحنفية، وجاء رسول عبد الملك بن مروان إلى محمد بن الحنفية يدعوه لمبايعته، فقال محمد بن علي بن أبي طالب:

- إنما أنا رجل من المسلمين فإذا اجتمعوا عليه فأنا كأحدهم.

أربعة ألوية بعرفة:

حج محمد بن الحنفية من الطائف في أصحابه فوقف بعرفة، ووافى نجدة بن عامر الحنفي تلك السنة في أصحابه من الخوارج فوقف ناحية، وحجت بنو أمية على لواء فوقفوا بعرفة فيمن معهم، وحج ابن الزبير من مكة فوافى عرفة في أصحابه ووقف حذاء محمد بن الحنفية، فوقفت في هذه السنة أربعة ألوية بعرفة.

ولما أراد محمد بن الحنفية دخول مكة هو وأصحابه اعترضهم ابن الزبير وقال:

- لا يدخل مكة حتى يبايعني.

فأبى محمد بن الحنفية.

وأراد محمد بن علي بن أبي طالب أهل الشام فمنعه عبد الملك بن مروان أن يدخلها حتى يبايعه فأبى ابن الحنفية عليه.

وبعث عبد الله بن الزبير أخاه عروة إلى محمد بن الحنفية فقال له:

- إن أمير المؤمنين يقول لك: إني غير تاركك أبدًا حتى تبايعني أو أعيدك في الحبس، فبايع لي وإلا فهي الحرب بيني وبينك إن امتنعت.

فقال محمد بن الحنفية لعروة بن الزبير:

ما أسرع أخاك إلى قطع الرحم والاستخفاف بالحق، وأعقله عن تعجيل عقوبة الله، ما يشك أخوك في الخلود هاهنا والله لأخيك قريبًا يطلب مثل ما يطلب أخوك، كلاهما يقاتلان على الدنيا، عبد الملك بن مروان، والله لكأنك بجيوشه قد أحاطت برقبة أخيك، وإني لأحسب أن جوار عبد الملك خير لي من جوار أخيك، ولقد كتب إليَّ يعرض عليَّ ما قبله ويدعوني إليه.

قال عروة بن الزبير:

- وما يمنعك من ذلك؟

قال ابن الحنفية:

- أستخير الله وذلك أحب إليَّ صاحبك.

فقال عروة بن الزبير:

- أذكر ذلك له.

فقال بعض أصحاب محمد بن الحنفية:

- والله لو أطعتنا لضربنا عنقه.

فقال محمد بن علي بن أبي طالب:

- وعلى ما أضرب عنقه؟ جاءنا برسالة من أخيه وجاورنا فجرى بيننا وبينه كلام فرددناه إلى أخيه، والذي قلتم غدر، وليس في الغدر خير، لو فعلت الذي تقولون لكان القتال بمكة وأنتم تعلمون أن رأيي لو اجتمع الناس عليَّ كلهم إلا إنسان واحد لما قاتلته.

فانصرف عروة فأخبر أخاه عبد الله بن الزبير بما قال محمد بن الحنفية.

فقال ابن الزبير:

- والله ما أرى أن تعرض له دعه فليخرج عنك ويغيب وجهه، فعبد الملك أمامه لا يتركه يحل بالشام حتى يبايعه، وابن الحنفية لا يبايعه أبدًا حتى يجتمع الناس عليه، فإن صار إلى كفاكه إما حبسه وإما قتله فتكون أنت قد برئت من ذلك.

فسكت عبد الله بن الزبير عنه.

من أحب رجلاً لله:

قال محمد بن الحنفية:

من أحب رجلاً لله لعدل ظهر منه، وهو في علم الله من أهل النار، آجره الله على حبه إياه كما لو كان أحل رجلاً من أهل الجنة، ومن أبغض رجلاً لله لجور ظهر منه وهو في علم الله من أهل الجنة، آجره الله على بغضه إياه كما لو كان أبغض رجلاً من أهل النار:

ابن الحنفية وعبد الملك بن مروان:

جاء كتاب من عبد الملك بن مروان إلى محمد بن الحنفية فقرأه:

إنه قد بلغني أن ابن الزبير قد ضيق عليك وقطع رحمك واستخف بحقك حتى تبايعه، فقد نظرت لنفسك ودينك وأنت أعرف به حيث فعلت ما فعلت، وهذا الشام فأنزل منه حيث شئت مُكرمُوك وواصلوا رحمك وعارفوا حقك.

فقال محمد بن الحنفية لأصحابه:

- هذا وجه نخرج إليه:

فخرج وخرج معه أصحابه ومعه كثير عزة ينشد:

أنت إمام الحق لسنا نمتري ::: أنت الذي نرضى به ونرتجي

أنت بن خير الناس من بعد النبي ::: يا بن علي سر ومن مثل علي

حتى تحل أرض كلب وبلي

فساروا حتى نزلوا أيلة فجاوروهم أهلها بأحسن جوار وجاورهم محمد بن الحنفية وأصحابه بأحسن من ذلك، وأحب أهل أيلة أبا القاسم حبًا شديدًا وعظموه وأصحابه، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولم يظلم أحد من الناس قربهم ولا بحضرتهم.

فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فشق ذلك عليه وذكره لقبيصة بن ذؤيب وروح بن زنباع وكانا خاصة أمير المؤمنين عبد الملك فقالا له:

- ما نرى أن ندعه يقيم في قربه منك وسيرته سيرته حتى يبايع لك، أو تصرفه إلى الحجاز.

فكتب إليه عبد الملك بن مروان إلى أبي القاسم:

إنك قدمت بلادي فنزلت في طرف منها، وهذه الحرب بيني وبين ابن الزبير كما تعلم، وأنت لك ذكر ومكان، وقد رأيت أن لا تقيم في سلطاني إلا أن تبايع لي، فإن بايعتني فخذ السفن التي قدمت علينا من

القلزم وهي مائة مركب فهي لك وما فيها، ولك ألفا ألف درهم أعجل لك منها خمسمائة ألف وخمسمائة ألف آتيتك مع ما أردت من فريضة لك ولولدك ولقرابتك ومواليك ومن معك، وإن أبيت - رفضت - فتحول عن بلدي إلى موضع لا يكون لي فيه سلطان.

فكتب إليه محمد بن الحنفية:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن علي إلى عبد الملك بن مروان.

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد:

فقد عرفت رأيي في هذا الأمر قديمًا، وإني لست أسفهه على أحد، والله لو اجتمعت هذه الأمة عليَّ إلا أهل الزرقاء ما قاتلتهم أبدًا ولا اعتزلتهم حتى يجتمعوا، نزلت مكة فرارًا مما كان بالمدينة فجاورت ابن الزبير فأساء جواري وأراد مني أن أبايعه فأبيت، ذلك حتى يجتمع الناس عليك أو عليه، ثم أدخل فيما دخل فيه الناس فأكون كرجل منهم، ثم كتبت إليَّ تدعوني إلى ما قبلك فأقبلت سائرًا فنزلت في طرف من أطرافك، والله ما عندي خلاف ومعي أصحابي فقلنا: بلاد رخيصة الأسعار وندنو من جوارك ونتعرض صلتك، فكتبت بما كتبت به، ونحن منصرفون عنك إن شاء الله.

وبعث محمد بن علي بن أبي طالب إلى عبد الملك بن مروان:

- على أن تؤمن أصحابي - كان معه سبعة آلاف -.

ففعل عبد الملك بن مروان.

فقام أبو القاسم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

الله ولي الأمور كلها وحاكمها، ما شاء الله كان وما لا يشأ لم يكن.

كل ما هو آت قريب، عجلتم بالأمر قبل نزوله، والذي نفسي بيده إن في أصلابكم لمن يقاتل مع آل محمد ما يخفى على أهل الشرك أمر آل محمد وأمر آل محمد مستأخر، والذي نفس محمد بيده ليعودن فيكم كما بدأ.

الحمد لله الذي حقن دماءكم وأحرز دينكم، من أحب منكم أن يأتي مأمنه إلى بلده آمنًا محفوظًا فليفعل.

فبقى مع محمد بن الحنفية تسعمائة رجل، فأحرم بعمرة وقلد هديًا وعمدوا إلى البيت الحرام، فلما أرادوا أن يدخلوا الحرم تلقاهم ابن الزبير فمنعهم أن يدخلوا، فأرسل إليه محمد بن علي: لقد خرجت وما أريد أن أقاتلك، ورجعت وما أريد أن أقاتلك، دعنا فلندخل ولنقض نسكنا ثم نخرج عنك.

فأبى عبد الله بن الزبير

فرجع محمد بن الحنفية إلى مدينة رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

كنز أهل بيت النبوة:

كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدده ويتعوده، ويحلف له ليحملن إليه مائة ألف في البر، ومائة ألف في البحر، أو يؤدي الجزية.

فسقط في يد عبد الملك بن مروان، فكتب إلى الحجاج بن يوسف الثقفي أمير العراق فكتب الحجاج بن يوسف:

من الحجاج إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان.

أما بعد

اكتب إلى ابن الحنفية فتهدده وتوعده ثم أعلمني ما يرد وتواعده عليك منه.

ولما بلغ عبد الملك كتاب أبي القاسم كتب إلى الحجاج بن يوسف الثقفي.

فكتب الحجاج إلى ابن الحنفية:

إذا لم تبايع أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان والله لأقتلنك.

فكتب محمد بن علي بن أبي طالب:

إن لله في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة في اللوح المحفوظ، في كل نظرة ثلاثمائة وستون قضية، فلعل الله تعالى أن يجعلني في قضية منها فيكفينيك.

فلما بلغ الحجاج بن يوسف كتاب أبي القاسم كتب لعبد الملك بن مروان بذلك، فأعجبه قوله وكتب إلى الحجاج:

إنه ليس لك على محمد بن الحنفية سلطان، قد عرفنا أن محمدًا ليس عنده خلاف، فارفق به.

وكتب عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم، ما جاء في كتاب محمد بن الحنفية إلى الحجاج بن يوسف فقال ملك الروم:

- ما خرج هذا منك ولا أنت كتبت به، ولا خرج إلا من بيت النوبة.

* وقيل:

كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان: إن هذه والله ما هي من كنزك ولا كنز أهل بيتك ولكنها من كنز أهل بيت النبوة.

أنا مهدي:

كانوا يسلمون على محمد الأكبر.

- سلام عليك يا مهدي.

فيقول محمد بن الحنفية:

- أجل أنا مهدي، أهدي إلى الرشد والخير، إسمي اسم نبي، وكنيتي كنية نبي الله، فإذا سلم أحدكم فليقل: سلام عليك يا محمد، السلام عليك يا أبا القاسم.

لنا فضل على الناس.

جاء رجل إلى ابن الحنفية فسلم عليه فرد عليه السلام.

فقال:

- كيف أنت؟

فحرك يده، فقال:

- كيف أنتم؟ أما آن لكن أن تعرفوه كيف نحن؟ إن مثلنا في هذه الأمة مثل بني إسرائيل في آل فرعون، كان يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم، وإن هؤلاء يذبحون أبناءنا وينكحون نساءنا بغير أمرنا، فزعمت العرب أن لها فضلاً على العجم فقالت العجم: وما ذاك؟ قالوا: كان محمد عربيًا، قالوا: صدقتم، قالوا وزعمت قريش أن لها فضلاً على العرب، فقالت العرب: وبم ذا؟ قالوا: قد كان محمد قرشيًا، فإن كان القوم صدقوا فلنا فضل على الناس.

أول شجرة:

سئل محمد بن علي بن أبي طالب عن أول شجرة نبتت بعد الطوفان - الذي حدث في عهد نبي الله نوح عليه السلام - فقال:

- شجرة الزيتون.

ثم قال ابن الحنفية:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(كلوا الزيتون وادهنوا به

إنه من شجرة مباركة).

وسئل ابن الحنفية عن الثوم فقال:

- قال خاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم) :(كلوا الثوم وتداوا به، فإن فيه شفاء من سبعين داء ولولا أن الملك – جبريل عليه السلام – يأتيني لأكلته) (رواه الديلمي عن علي).

وسئل محمد بن علي عن التين فقال:

قال أبو القاسم (صلي الله عليه وسلم) :(كلوا التين فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة بلا عجم – بذر أو نوى – لقلت هي التين وأنه يذهب بالبواسير وينفع من النقرس) (رواه ابن السني، وأبو نعيم، والديلمي في مسند الفردوس عن أبي ذر الغفاري).

وسئل محمد بن الحنفية عن السلام عقب الانتهاء من الصلاة فقال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم).

مقتل ابن الزبير.. ومبايعة ابن الحنفية عبد الملك بن مروان:

سار محمد بن الحنفية إلى مكة سنة اثنتين وسبعين للهجرة، فوجد الحجاج بن يوسف الثقفي محاصرًا ابن الزبير، فدخل أبو القاسم الشعب فبعث إليه الحجاج أن يبايع عبد الملك بن مروان.

فقال محمد بن الحنفية:

قد عرفت مقامي بمكة وشخوصي إلى الطائف وإلى الشام، كل هذا إباء مني أن أبايع ابن الزبير أو عبد الملك حتى يجتمع الناس على أحدهما، وأنا رجل ليس عندي خلاف، لما رأيت الناس اختلفوا

اعتزلتهم حتى يجتمعوا، فأويت إلى أعظم بلاد الله حرمة، يأمن فيه الطير فأساء ابن الزبير جواري، فتحولت إلى الشام فكره عبد الملك قربي، فتحولت إلى الحرم.

فأبى الحجاج بن يوسف أن يقره على ذلك.

وقتل الحجاج بن يوسف عبد الله بن الزبير، وبعث إلى محمد الحنفية فقال له:

- قد قتل الله عدو الله.

فقال أبو القاسم:

- إذا بايع الناس بايعت.

فلما اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان، وبايع عبد الله بن عمر بن الخطاب، قال محمد بن الحنفية:

- ما بقى شيء.

فبايع الحجاج بن يوسف.. وكتب محمد بن الحنفية إلى عبد الملك بن مروان:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين من محمد بن علي

أما بعد

فإني لما رأيت الأمة قد اختلفت اعتزلتهم، فلما أفضى هذا الأمر إليك وبايعك الناس كنت كرجل منهم أدخل في صالح ما دخلوا فيه، فقد بايعتك وبايعت الحجاج لك وبعثت إليك ببيعتي، ورأيت الناس قد اجتمعوا عليك، ونحن نحب أن تؤمننا وتعطينا ميثاقًا - بنى هاشم وبني عبد المطلب - على الوفاء فإن الغدر لا خير فيه، فإن أبيت فإن أرض الله واسعة.

فلما قرأ عبد الملك الكتاب قال قبيصة بن ذؤيب، وروح بن

زنباع:

- مالك عليه سبيل، ولو أراد فتقًا - فتق الشيء: شقة - لقدر عليه،

ولقد سلم وبايع فنرى أن تكتب إليه بالعهد والميثاق بالأمان له والعهد لأصحابه.

ففعل فكتب إليه عبد الملك:

إنك عندنا محمود، أنت أحب وأقرب بنا رحمًا من ابن الزبير، فلك العهد والميثاق وذمة الله وذمة رسوله، أن لا تهاج، ولا أحد من أصحابك بشيء تكرهه، ارجع إلى بلدك واذهب حيث شئت، ولست أدع صلتك وعونك ما حييت.

وكتب أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان إلى عامله الحجاج بن يوسف يأمره بحسن جوار محمد بن الحنفية وإكرامه.

فرجع محمد بن الحنفية إلى مدينة رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

محمد بن الحنفية يذهب إلى دمشق:

لما صار محمد بن علي إلى المدينة وبنى داره بالبقيع كتب إلى أمير المؤمنين يستأذنه في الوفود عليه.

فكتب إليه عبد الملك يأذن له في أن يقدم عليه.

فوفد أبو القاسم على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان سنة ثمان وسبعين للهجرة - وهي السنة التي مات فيها الصحابي الجليل جابر بن عبد الله -.

قدم محمد بن علي بن أبي طالب على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان بدمشق فاستأذن عليه فأذن له وأمر له بمنزل قريب منه، وأمر أن يجرى عليه نزل يكفيه ويكفي من معه.

فلما قضى محمد بن الحنفية نحو شهر أو قريب منه كلم عبد الملك خاليًا فذكر له قرابته ورحمه، وذكر دينًا عليه فوعده عبد الملك أن يقضي دينه وأن يصل رحمه وأمره أن يرفع حوائجه،

فرفع أبو القاسم دينه وحوائجه وفرائض لولده ولغيرهم من خاصته ومواليه، فأجابه عبد الملك بن مروان إلى ذلك كله بل لم يبق له حاجة إلا قضاها، ثم استأذن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فأذن له.

ثم ناداه:

- يا أبا القاسم أبا القاسم.

فرجع محمد بن الحنفية إليه، فقال عبد الملك بن مروان:

- أين سيف النبي (صلي الله عليه وسلم) ؟

فقدمه إليه محمد بن علي بن أبي طالب، فدعا بصيقل فنظر إليه فقال:

- ما رأيت حديدة قط أجود منها.

قال عبد الملك بن مروان:

- والله ما أرى الناس مثل صاحبها، يا محمد هب لي هذا السيف.

فقال أبو القاسم:

- أينا رأيت أحق به فليأخذه.

قال عبد الملك بن مروان:

- إن كان لك قرابة فلكل قرابة وحق.

فقدم محمد بن الحنفية سيف رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان.

من أقوال محمد الحنفية:

* ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له مخرجًا - فرجًا -.

* من كرمت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قدر.

* إن الله عز وجل جعل الجنة ثمنًا لأنفسكم فلا تبيعوها بغيرها.

* كل ما لا يبتغى به وجهُ الله يضمحل.

* لا تذهب الدنيا حتى تكون خصومات الناس في ربهم.

* من أحبنا - أهل البيت - نفعه الله وإن كان في الديلم.

* رحم الله امرأ أغنى نفسه وكف يده وأمسك لسانه.

* نحن أهل بيتين من قريش نتخذ من دون الله أندادًا، نحن وبنو أمية.

* لم يزل قوم من قبلكم يبحثون وينقرون حتى تاهوا، فكان الرجل إذا نودي من خلفه أجاب من أمامه، وإذا نودي من أمامه أجاب من خلفه.

محمد بن الحنفية وأحاديث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

أسند محمد بن الحنفية الحديث عن جماعة من الصحابة، وعامة حديثه عن أبيه علي بن أبي طالب، وروى عن أبي القاسم أولاده، وعمرو بن دينار، ومنذر الثوري، وعبد الله بن محمد بن عقيل، ومحمد بن قيس بن مخرمة.

قال محمد بن الحنفية عن أبيه علي بن أبي طالب قال:

كثر على مارية - القبطية - أم إبراهيم في قبطي ابن عم لها كان يزورها ويختلف إليها، فقال لي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

- خذا هذا السيف فانطلق إليه فإن وجدته عندها فاقتله.

فقلت:

- يا رسول الله أكون في أمرك، إذا أرسلتني كالسكة المحماة لا يثنيني شيء، حتى أمضي لما أرسلتني به، أو الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟

قال عليه الصلاة والسلام:

- **بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب.**

فأقبلت متوشحًا السيف فوجدته عندها، فاخترطت السيف، فلما أقبلت نحوه عرف أني أريده، فأتى نخلة فرقى فيها ثم رمى بنفسه على قفاه وشغر برجليه - رفعهما أو رفع إحداهما - فإذا هو أجب مجبوب: خصى - أمسح ماله للرجال، لا قليل، ولا كثير، فأغمدت سيفي - السيف - ثم أتيت النبي (صلي الله عليه وسلم)، فأخبرته فقال:

- **الحمد لله الذي يصرف عنا أهل البيت.**

وقال عبد الله والحسن ابنا محمد بن الحنفية عن أبيهما عن علي:

إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) حرم في غزوة خيبر نكاح المتعة (متفق عليه).

قال جعفر بن محمد عن أبيه قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :**(من ذكرت عنده فنسى الصلاة عليَّ خطئ طريق الجنة).**

وفي رواية:**(من ذكرت عنده فلم يصل عليَّ فقد خطئ طريق الجنة).**

وقال إبراهيم بن ياسين العجلي عن إبراهيم بن محمد بن الحنفية عن علي قال: قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :**(المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة - أو قال في يومين -)** رواه ابن ماجه عن علي، والإمام أحمد، وأبو نعيم في الحلية).

وقال يونس بن راشد عن عون بن محمد بن الحنفية عن أبيه عن جده قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**عليكم بالاثمد فإنه منبت للشعر، مذهب للقذا، مصفاة للبصر**) (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقال الحسين بن علي عن محمد بن الحنفية قال:

سمعت أبي عليًا رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول:(**إن الله عز وجل فرض للفقراء في أموال الأغنياء قدر ما يسعهم، فإن منعوهم حتى يجوعوا أو يعروا أو يجهدوا، حاسبهم الله فيه حسابًا شديدًا، وعذبهم عذابًا نكرًا**) (رواه الخطيب في تاريخه، وابن النجار عن علي، وأبو نعيم في الحلية).

وقال أبو جعفر محمد بن علي عن محمد بن الحنفية عن أبيه قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**إن الله تعالى يحب العبد المؤمن المفتقر التواب**) (رواه أبو نعيم في الحلية والإمام أحمد عن علي).

قال حرب بن شريح لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين:

جعلت فداك أرأيت هذه الشفاعة التي تحدث بها أهل العراق أحق هي؟

قال أبو جعفر:

- شفاعة ماذا؟

قال حرب بن شريح:

- شفاعة محمد (صلي الله عليه وسلم).

قال أبو جعفر:

- إى والله، حدثني عمي ابن محمد بن علي بن الحنفية عن علي

رضي الله تعالى عنه أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال:

-(أشفع لأمتي حتى يناديني ربي عز وجل أرضيت يا محمد؟ فأقول نعم يارب رضيت).

ثم أقبل أبو جعفر على حرب بن شريح وقال:

- إنكم تقولون يا معشر أهل العراق: إن أرجى آية في كتاب الله عز وجل:{قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا} [سورة الزمر الآية: ٥٣].

فقال حرب بن شريح:

- إنا لنقول ذلك.

قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين:

- لكنا أهل البيت نقول إن أرجى آية في كتاب الله عز وجل:{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾} [سورة الضحى الآية: ٥]، وهي الشفاعة.

وقال عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد بن الحنفية عن أبيه قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :**(أخرج فأذن في الناس من الله – لا من رسوله – لعن الله قاطع السدر)** (رواه أبو نعيم في الحلية عن علي).

وقال محمد بن علي عن علي قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :**(الكرسي لؤلؤ، والقلم لؤلؤ، وطول القلم سبعمائة سنة، وطول الكرسي حيث لا يعلمه العالمون)** (رواه أبو نعيم في الحلية عن علي).

وقال عبد الله بن محمد بن عقيل عن أبي القاسم عن معاوية قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**العمرى جائزة لأهلها**) (رواه أبو نعيم في الحلية، وأخرجه مسلم في كتاب الهبات وأضاف:(**والرقبى جائزة لأهلها**) وكذلك قاله ابن ماجه، وأبو داود، والترمذي، والنسائي).

محمد بن الحنفية والقرآن العظيم:

سئل محمد بن الحنفية عن قوله تعالى:{ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦} [سورة الفاتحة الآية: ٦].

فقال:

هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره.

وأصل الصراط في كلام العرب: الطريق.

وكان أبو القاسم إذا قرأ آية الكرسي: { ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ } [سورة البقرة الآية: ٢٥٥].

قال:

لما نزلت آية الكرسي خر كل صنم في الدنيا، وكذلك خر كل ملك في الدنيا، وسقطت التيجان عن رءوسهم، وهربت الشياطين يضرب بعضهم على بعض إلى أن أتوا إبليس فأخبروه بذلك، فأمرهم أن يبحثوا عن سبب ذلك، فجاء إلى المدينة فبلغهم أن آية الكرسي قد نزلت.

وسئل محمد بن علي بن أبي طالب عن قوله تعالى:{وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ} [سورة آل عمران الآية: ٧٩].

فقال:

الرباني العالم بالحلال والحرام والأمر والنهي، العارف بأنباء الأمة، وما كان وما يكون.

ويوم أن مات عبد الله بن عباس قال ابن الحنفية:

- **اليوم مات رباني هذه الأمة.**

وسئل ابن الحنفية عن قوله تعالى:{وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ} [سورة النساء الآية: ١٩].

فقال:

هو أن يتصنع لزوجته كما تتصنع له.

وجاء يحيى بن عبد الرحمن الحنظلي إلى محمد بن الحنفية ذات يوم فخرج إليه في ملحفة حمراء ولحيته تقطر من الغالية - نوع من الطيب - فقال يحيى بن عبد الرحمن:

- ما هذا؟

قال أبو القاسم:

- إن هذه الملحفة ألقتها عليَّ امرأتي ودهنتني بالطيب، وإنهن يشتهين منا ما نشتهيه منهن.

سأل الحجاج بن يوسف الثقفي شهر بن حوشب عن قوله تعالى: {وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ} [سورة النساء الآية: ١٥٩].

ثم قال الحجاج:

- إني لأوتي بالأسير من اليهود والنصارى فآمر بضرب عنقه، وأنظر إليه في ذلك الوقت فلا أرى منه الإيمان.

فقال شهر بن حوشب:

- إنه حين عاين أمر الآخرة يقر بأن عيسى عبد الله ورسوله فيؤمن به ولا ينفعه.

فقال الحجاج بن يوسف:

- من أين أخذت هذا؟

قال شهر بن حوشب:

- أخذته من محمد بن الحنفية.

فقال الحجاج:

- أخذته من عين صافية.

وكان محمد بن الحنفية إذا قرأ قوله تعالى:{ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ} [سورة هود الآية: ١٧].

قال:

قلت لأبي أنت الشاهد؟

قال علي بن أبي طالب:

- وددت أن أكون هو، ولكنه لسان رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

قال عبد الله بن عباس:

- هو علي بن أبي طالب.

وسئل ابن الحنفية عن قوله:{ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ} [سورة الإسراء الآية: ٣٦].

فقال أبو القاسم:

- هي شهادة الزور.

وسئل ابن الحنفية عن قوله تعالى:{طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢} [سورة طه الآيتان: ١ - ٢].

قال محمد بن الحنفية:

- طوبى لمن اهتدى.

وقال عبد الله بن عباس:

- هو اسم للنبي (صلي الله عليه وسلم) سماه الله تعالى به كما سماه محمدًا.

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(لي عند ربي عشرة أسماء).

فذكر فيها طه، ويس.

وقال سعيد بن جبير:

- الطاء افتتاح اسمه طاهر وطيب، والهاء افتتاح اسمه هادي.

وقيل: طاء يا طامع الشفاعة للأمة، هاء يا هادي الخلق إلى الله.

وسئل محمد بن الحنفية عن قوله تعالى:{ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ} [سورة النور الآية: ٢٩].

قال محمد بن الحنفية:

- هي الفنادق التي في طرق السابلة.

وقال أبو القاسم أيضًا:

- إن المراد بها دور مكة.

وسئل ابن الحنفية عن قوله تعالى:{يسٓ ۝١} [سورة يس الآية: ١].

فقال:

- يس: يا محمد.

قال علي بن أبي طالب:

- سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول:(إن الله تعالى أسماني في القرآن سبعة أسماء: محمد، وأحمد، وطه، ويس، والمزمل، والمدثر، وعبد الله).

وكان محمد بن الحنفية إذا قرأ قوله تعالى:{ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ

وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ} [سورة النجم الآية: ٣٢].

قال:

- كل ما هممت به خيرًا أو شرًا فهو لمم.

ودليل هذا التأويل قوله عليه الصلاة والسلام: (إن للشيطان لمة وللملك لمة).

وسئل ابن الحنفية عن قوله تعالى: { هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ } [سورة الرحمن الآية: ٦٠].

فقال:

هي مسجلة للبار وللفاجر، أي مرسلة على الفاجر في الدنيا والبر في الآخرة.

وكان ابن الحنفية إذا قرأ قوله تعالى: {بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢} [سورة البروج الآيتان: ٢١ - ٢٢].

توقف قليلاً.. فقد كتب الحجاج بن يوسف الثقفي إلى أبي القاسم يتوعده إن لم يبايع عبد الملك بن مروان، فكتب إليه محمد بن علي:

بلغني أن الله تعالى في كل يوم ثلثمائة وستين نظرة في اللوح المحفوظ، يعز ويذل، ويبتلي ويفرح، ويفعل ما يريد، فلعل نظرة منها تشغلك بنفسك، فتشتغل بها ولا تتفرغ.

وفاته:

لما رجع محمد بن الحنفية من أم القرى إلى مدينة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) سنة إحدى وثمانين للهجرة، وقد قضى مناسك حجه، مكث ثلاثة شهور ثم توفى في المحرم سنة إحدى وثمانين - سنة الحجاف وهو سيل أصاب أهل مكة جحف الحاج -، فلما وضع في البقيع جاء أبان بن عثمان بن عفان وكان والي المدينة لعبد الملك بن مروان ليصلي على محمد بن علي فقال لابنه أبي

هاشم عبد الله بن محمد:

- أخي ما ترى؟

قال أبو هاشم:

- نحن نعلم أن الإمام أولى بالصلاة ولولا ذلك ما قدمناك.

فتقدم أبان بن عثمان فصلى على أبي القاسم.

فقال كثير عزة:

ألا إن الأئمـــة مـــن قـــريش ::: ولاة الحـــق أربعـــة ســـواء

علـــي والثلاثـــة مـــن بنيـــه ::: هم الأسباط لـــيس بهـــم خفـــاء

فســـبط ســـبطًا يمـــان وبـــر ::: وســـبط غيبتـــه كـــربلاء

وســـبط لا تـــراه العـــين ::: تعـــود الخيـــل يقـــدمها لـــواء

* * *

مطرف بن الشخير

مواقف ومواعظ
من حيــاة التابعيــن

[٦]

مطرف بن الشخير

مطرف بن عبد الله بن الشخير

نسبه:

هو: مطرف بن عبد الله بن الشخير بن عوف بن كعب بن وقدان بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

كنيته:

يكنى: أبا عبد الله.

كان من أصحاب الصحابي الجليل عمران بن حصين.

وكان ثقة، له فضل وورع ورواية وعقل وأدب.

كان من كبار التابعين، كان أعبد الناس وأنسكهم، وكان فقيهًا.

كان أكبر من الحسن البصري بعشرين سنة.

كان مستجاب الدعوة، وكان له كرامات، فكان إذا دخل بيته سبحت معه آنيته، وكان هو وصاحب له يسيران في ظلمة فأضاء لهما طرف السوط.

اعتزل فتنة ابن الزبير وقال:

- لبثت في فتنة ابن الزبير تسع أو سبع ما أخبرت فيها بخبر ولا استخبرت فيها عن خبر.

أوحى الله إلى بعض الصديقين:

قيل:

إنَّ الله عز وجل أوحى إلى بعض الصديقين:

أن لي عبادًا من عبادي أحبهم ويحبونني، ويشتاقون إليَّ وأشتاق إليهم، ويذكرونني وأذكرهم، وينظرون إليَّ وأنظر إليهم،

فإن حذوت طريقهم أحببتك، وإن عدلت عنهم مقتك.

قال:

- يا رب: وما علاماتهم؟

قال عز وجل:

يراعون الظلال بالنهار، كما يراعى الراعي غنمه، ويحنون إلى غروب الشمس كما تحت الطير إلى أوكارها، فإذا جن الليل، واختلط الظلام، وخلا كل حبيب بحبيبه، نصبوا إليَّ أقدامهم، وافترشوا إليَّ وجوههم، وناجوني بكلامي، وتملقوا إليَّ بأنعامي، فبين صارخ وباك، وبين متأوه وشاك، بعيني ما يتحملون من أجلي، وبسمعي ما يشتكون من حبي...

أول ما أعطيهم: أقذف من نوري في قلوبهم، فيخبرون عني كما أخبر عنهم.

والثانية: لو كانت السماوات السبع والأرضون وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم.

والثالثة: أقبل بوجهي عليهم، أفترى من أقبلت بوجهي عليه أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه؟

دعوة رجلٍ صالح:

كان بين مطرف بن عبد الله وبين رجلٌ من قومه شيء، فكذب الرجل على مطرف، فقال أبو عبد الله:

- إن كنت كاذبًا فعجّل الله حتفك.

فمات الرجل مكانه.

فاستعدى أهله أمير العراق على مطرف بن عبد الله فقال لهم زياد:

- هل ضربه؟

قالوا:

- لا.

قال أمير العراق:

هل مسه بيده؟

قالوا: لا.

قال زياد:

- **دعوة رجل صالح وافقت قدرًا.**

ولم يجعل لهم أمير العراق شيئًا - دية -.

وقيل:

وقع بين مطرف ورجل من قومه في مسجد البصرة منازعة، فرفع يديه إلى السماء، وقال:

اللهم إني أسألك أن لا يقوم من مجلسه حتى تكفينيه إياه.

فلم يفرغ أبو عبد الله من دعائه حتى صرع الرجل فمات.

فأُخِذَ مطرف وقُدِّمَ إلى القاضي.

فقيل للقاضي:

لم يقتله وإنما دعا عليه فأجاب الله دعوته.

كان بعد ذلك تُتَّقى دعوته.

السوط والنور:

كان مطرف يسكن البادية فإذا كان يوم الجمعة جاء من مبداه. ليشهد الجمعة، فبينما هو يسير ذات ليلة، فلما كان وجه الصبح سطع من رأس سوطه نور له شعبتان.

فقال مطرف لابنه عبد الله الذي كان يسير خلفه:

- يا عبد الله: أتراني لو أصبحت فحدثت الناس بهذا كانوا يصدقوني؟

فلما أصبح ذهب.

إني أكره أن أرى في وجهك ذل السؤال:

قال مطرف بن عبد الله لبعض إخوانه:

يا فلان: إذا كانت لك حاجة، فلا تكلمني فيها، ولكن اكتبها في رقعة ثم ادفعها إلي، فإني أكره أن أرى في وجهك ذل السؤال.

وقد قال الشاعر:

لا تحسبن الموت موت البلى ::: وإنما الموت سؤال الرجال
كلاما موت ولكن ذا أشد ::: من ذاك لذل السؤال

وقال أيضا:

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ::: عرضا وإن نال الغنى بسؤال
وإذا السؤال مع النوال وزنته ::: رجح السؤال وخف كل نوال
فإذا ابتليت ببذل وجهل سائلاً ::: فابذله للمتكرم المفضال

الخروج من البصرة:

أتى القراء: عامر بن شرحبيل الشعبي، وسعيد بن جبير، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، و...، و... إلى مطرف بن الشخير ودعوه إلى الخروج معهم مع ابن الأشعث الذي بايعوه على خلع الحجاج بن يوسف الثقفي.

فقال مطرف بن عبد الله:

- أرأيتم الذي تدعونني إليه! أليس إنما هو جهاد؟

قال القراء:

- بلى.

قال أبو عبد الله:

أخاف أن أكون مأثومًا، فلو كانت لي نفسان بايعتكم بواحدة، فإن كان ما تقولون رشد أتبعتها الأخرى، ولكنها واحدة، فأنا أكره أن أغرر بها - فإني لا أخاطر بين هلكة أقع فيها وبين فضل أصيبه -.

وخرج من البصرة مطرف بن عبد الله بن الشخير إلى الخبرية وهي على ليلتين من البصرة.

وقال:

إن الفتنة لا تجيء حين تجيء لتهدى، ولكن لتقارع المؤمن عن نفسه.

ثلاث خصال:

لما مات عبد الله بن مطرف بن عبد الله، خرج مطرف على قومه في ثياب حسنة وقد دهن فغضبوا وقالوا:

- يموت عبد الله ثم تخرج في ثياب مثل هذه مدهنًا؟

قال أبو عبد الله:

- أفأستكين لها - مصيبة الموت - وقد وعدني ربي تبارك وتعالى ثلاث خصال، كل خصلة منها أحب إليَّ من الدنيا كلها؟

قال الله عز وجل:{ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧} [سورة البقرة الآيتان: ١٥٦ - ١٥٧]، أفأستكين لها بعد هذا.

سلام سلام ليوم صالح:

كان مطرف بن عبد الله يسكن البادية، فإذا كان يوم الجمعة، ركب دابته فيجيء إلى صلاة الجمعة، وذات يوم الجمعة مرَّ بمقابر فنعس فرأى أهل المقابر على أفواه القبور، فقالوا:

- هذا يذهب إلى الجمعة.

فتساءل أبو عبد الله:

- وتعرفون يوم الجمعة من غيره.

قالوا:

- نعم، ونعرف ما يقول الطير في جو السماء يومئذٍ.

فعاد مطرف بن عبد الله يتساءل:

- ما يقول الطير في السماء يومئذٍ؟

قال أصحاب القبور:

- يقول: سلام سلام ليوم صالح.

نور أني أراه!

يقول مطرف بن عبد الله:

قال عبد الله بن شقيق لأبي ذر الغفاري:

- لو رأيت رسول (صلي الله عليه وسلم) لسألته.

قال الصحابي الجليل لعبد الله بن شقيق:

- وما كنت تسأله؟

قال عبد الله بن شقيق:

- كنت أساله هل رأى ربه؟

قال جندب بن جنادة:

- إني قد سألته.

قال عبد الله بن شقيق:

- ماذا قال؟

قال أبو ذر الغفاري:

قال (صلي الله عليه وسلم) :

(قد رأيته نورًا أنى أراه). (رواه مسلم، والإمام أحمد).

احضروا لي قبري:

قالت درة مولاة مطرف بن عبد الله:

اشتكى مطرف بن عبد الله وأخذه اليسر - احتباس البول - فقال:

- ادعوا ابني.

فدعوه له، فقرأ عليه آية الوصية ثم قال:

-{ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾} [سورة آل عمران الآية: ٦٠].

الممترين: الشاكين.

فذهب ابن مطرف وجاء بطبيب، فلما رآه مطرف قال:

- يا بني: من هذا؟

قال ابن مطرف:

- طبيب.

فقال أبو عبد الله:

- احرج عليك أن تحملني على رقية أو تعلق على خرزة؟

ثم قال لبنيه:

- اذهبوا فاحفروا قبري.

فذهبوا فحفروا له قبرًا.

ثم قال مطرف بن عبد الله لبنيه:

- اذهبوا بي إلى قبري.

فذهبوا به إلى قبره فدعا فيه.

ثم ردوه إلى أهله.

من أقوال مطرف بن عبد الله بن الشخير:

* اللهم إني أعوذ بك من شر السلطان، ومن شر ما تجرى به أقلامهم، وأعوذ بك أن أقول بحق أطلب به غير طاعتك، وأعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشيننى عندك، وأعوذ بك أن أستغيث بشيء من معاصيك على ضر نزل بي، وأعوذ بك أن تجعلني عبرة لأحد من خلقك، وأعوذ بك أن تجعل أحدًا أسعد بما علمته مني.

اللهم لا تخزني فإنك بي عالم.

اللهم لا تعذبني فإنك عليَّ قادر.

* كأن القلوب ليست منا، وكأن الحديثُ يعنى به غيرنا.

* لو أتاني آتٍ من ربي فخيرني أفي الجنة أم في النار أم أصير ترابًا، اخترت أن أصير ترابًا.

* ما من الناس أحد إلا وهو أحمق فيما بينه وبين ربه، ولكن بعض الحمق أهون من بعض.

* اللهم تقبَّل مني صوم يوم.

اللهم تقبَّل مني صلاة يوم.

اللهم اكتب لي حسنة.

ثم يقول:

{إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ} [سورة المائدة الآية: ٢٧].

* لو كانت لي نفسان، لقدمت إحداهما على الأخرى، فإن هجمت عليَّ بخير اتبعتها الأخرى، وإلا أمسكتهما، ولكن إنَّما هي نفس واحدة، لا أدري على ما تهجم؟ خير أم شر.

* لو وُزن رجاء المؤمن خوفه، ما رجح أحدهما صاحبه.

* سمع مطرف بن عبد الله رجلاً يدعو ويقول:

اللهم ارض عنا - قالها مرتين أو ثلاثًا -.

فقال أبو عبد الله:

- اللهم إن لم ترض عنا فاعف عنا.

فأبكى القوم بهذه الكلمة.

* هم الناس وهم النسناس، وأناس غمسوا في ماء الناس.

* عقول الناس على قدر زمانهم.

* إن الله ليرحم برحمته العصفور.

* ما مررت بأهل مجلس فسمعت أحدًا يثني عليَّ خيرًا.

فيأخذ ذلك فيَّ.

* خير الأمور أوسطها.

* لو كانت لي الدنيا فأخذها الله مني بشربة ماء يسقيني بها يوم القيامة كان قد أعطاني بها ثمنًا.

* ذكر أصحاب مطرف بن عبد الله ودعوه يومًا، فقال أبو عبد الله:

ولئن كان هذا مما سبق لكم في الذكر لقد أراد الله بكم خيرًا.

وإن كان مما يحدث في الليل والنهار لقد أراد الله بكم خيرًا.

فأي ذلك ما كان فاحمدوا الله عليه.

* إن الحديث وإن اليمين بالله.

* لو كان الخير في كف أحدنا ما استطاع أن يفرغه في قلبه حتى يكون الله هو الذي يفرغه في قلبه.

* لو أن رجلاً رأى صيدًا والصيد لا يراه فختله - خدعه، التخاتل: التخادع - ألم يوشك أن يأخذه؟

قال أصحاب مطرف:

- بلى.

قال أبو عبد الله:

- فإن الشيطان يرانا ونحن لا نراه وهو يصيب منا.

* نظرت في بدء هذا الأمر ممن كان فإذا هو من الله.

ونظرت على تمامه فإذا تمامه على الله.

ونظرت ما ملاكه فإذا ملاكه الدعاء.

* ما أرملة جالسة على ذيلها بأحوج إليَّ من الجماعة مني.

* ما أوتي أحد من الناس أفضل من العقل.

* إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيمًا لا موت فيه.

* إن استوت سريرة العبد وعلانيته قال الله عز وجل:

- هذا عبدي حقًا.

* إذا دخلتم على مريض، فإن استطعتم أن يدعو لكم فإنه قد حرك - أي: أُوقِظَ من غفلته بسبب مرضه - فدعاؤه مُسْتجَاب من أجل كسره ورِقَّة قلبه.

* إن أقبح ما طلبت به الدنيا عمل الآخرة.

* لو أخرج قلبي فجعل في يدي هذه اليسار، وجيء بالخير فجعل في هذه اليمنى ما استطعت أن أولج قلبي منه شيئًا حتى يكون الله يضعه.

* ما مدحني أحد قط إلا تصاغرت إلى نفسي.

* لا يسألني ربي عز وجل يوم القيامة فيقول:

- يا مطرف: ألا فعلت؟

أحب إليَّ من أن يقول:

- لِمَ فعلت؟

* **يا أخوتاه.**

اجتهدوا في العمل فإن يكن الأمر كما نرجو من

رحمة اللَّه وعفوه.

كانت لنا درجات في الجنة.

وإن يكن الأمر شديدًا كما نخاف ونحاذر لم نقل:{رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ} [سورة فاطر الآية: ٣٧].

نقول:

- قد عملنا.

فلم ينفعنا ذلك.

* ما من شيء أعطي به في الآخرة قدر كوز من ماء إلا وددت أنه أخذ مني في الدنيا.

* إني وجدت ابن آدم كالشيء الملقى بين يدي الله تعالى وبين الشيطان، فإن أراد الله أن ينعشه اجتره - جره وأخذه - إليه؛ وإن أراد به غير ذلك خلى بينه وبين عدوه - الشيطان -.

كان إخوان مطرف بن عبد الله عنده، فخاضوا في ذكر الجنة.

فقال مطرف:

- لا أدري ما تقولون؟ حال ذكر النار بيني وبين الجنة.

* لو علمت متى أجلي لخشيت علي ذهاب عقلي، ولكن الله مَنَّ على عباده بالغفلة عن الموت، ولولا الغفلة ما تهنأوا بعيش ولا قامت بينهم الأسواق.

* وجدت الغفلة التي ألقاها الله عز وجل في قلوب الصديقين من خلقه رحمة رحمهم بها، ولو ألقى في قلوبهم الخوف على قدر معرفتهم به ما هنأهم العيش.

* اللهم ارض عنا، فإن لم ترض عنا فاعف عنا.

فإن المولى قد يعفو عن عبده وهو عنه غير راض.

* فضل العلم أحب إليَّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع.

* لأن آخذ بالثقة في العقود، أحبّ إليَّ من أن ألتمس أو أطلب فضل الجهاد بالتغرير.

* قال الصحابي الجليل عمران بن حصين لأبي عبد الله:

- ألا أحدثك حديثًا لعل الله أن ينفعك به في الجماعة، فإني أراك تحب الجماعة؟

قال مطرف بن عبد الله:

- لأنا أحرص على الجماعة من الأرملة لأني إذا كانت الجماعة عرفت وجهي.

* لأن أعافى فأشكر أحبّ إليَّ من أن أبتلى فأصبر.

* كتب مطرف بن عبد الله إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز:

أما بعد:

فإن الدنيا دار عقوبة، لها يجمع من لا عقل له، وبها يغتر من لا علم له، فكن بها - فيها - كالمداوي جرحه، واصبر على شدة الدواء، لِمَا تخاف من عاقبة الداء.

* لو حمدت نفسي، لقليت - قلي: ترك وبغض، القالي: المبغض - الناس.

* قال مطرف لابنه:

- لا تطعم طعامك لمن لا يشتهيه.

إن الله تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب المتيقظين فيملؤها أنواراً فتردّ الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافي إلى قلوب الغافلين.

* وشكا بعض المريدين إلى مطرف بن عبد الله طول سهر الليل، وطلب حيلة يجلب بها النوم.

فقال أبو عبد الله:

إن لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطئ القلوب النائمة، فتعرض لتلك النفحات.

واعلم أن هذه النفحات بالليل أرجى لما في قيام الليل من صفاء القلب.

مطرف بن الشخير والقرآن العظيم:

* كان مطرف بن عبد الله إذا قرأ:{ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧} [سورة غافر الآية: ٧].

قال:

وجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة، ووجدنا أغش عباد الله لعباد الله الشيطان.

* وسأل رجل أبا عبد الله عن قوله تعالى:{يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾} [سورة العنكبوت الآية: ٥٦].

فقال مطرف بن عبد الله:

إن رحمتي واسعة.

ثم قال:

إن رزقي لكم واسع فابتغوه في الأرض - بالهجرة -.

* وكان أبو عبد الله إذا قرأ قوله تعالى:{كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾} [سورة المعارج الآية: ٣٩].

قال:

من القذر فلا يليق بهم هذا التكبّر.

ورأى مطرف بن عبد الله المهلب بن أبي صفرة يتبختر في خز وجبة خز، فقال له أبو عبد الله:

- يا عبد الله: ما هذه المشية التي يبغضها الله؟

فقال المهلب:

- أتعرفني؟

قال مطرف بن الشخير:

- نعم أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة.

فمضى المهلب وترك مشيته.

قال الحسن البصري:

- يرحمك الله وأيّنا يفعل ما يقول؟

ويود الشيطان أنه قد ظفر بهذا، فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر.

وسئل مطرف عن قوله تعالى: { لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً } [سورة التوبة الآية: ١٠].

فقال:

لا يراعوا رحمًا وقرابة، أو حلفًا وعهدًا، أو أمانًا وضمانًا.

وقرأ مطرف:{أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾} [سورة التكاثر الآية: ١].

فقال:

حدثني أبي، فقال:

أتيت النبي (صلي الله عليه وسلم) وهو يقرأ:{أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾}، فقال:

(يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت – وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس –) (رواه مسلم).

* وقرأ مطرف بن عبد الله ذات يوم، قوله:{أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾} [سورة البقرة الآية: ٤٤].

فقال:

هذا استفهام التوبيخ، والمراد: علماء اليهود، كانوا يأمرون الناس ويحضونهم على طاعة الله وكانوا هم يواقعون المعاصي، وكانوا يحضون على الصدقة ويبخلون.

فقال الحسن البصري لمطرف:

يا أبا عبد الله: عظ أصحابك.

فقال مطرف:

إني أخاف أن أقول ما لا أفعل.

وسأل رجلٌ أبا عبد الله عن قوله:{يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ} [سورة النساء الآية: ١٧١].

نهى عن الغلو، والغلو: التجاوز في الحد، والمقصود: غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا أمه مريم بنت عمران، وغلو النصارى فيه حتى جلعوه ربًا، فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر.

قال مطرف بن عبد الله:

- الحسنة بين سيئتين.

وقال الشاعر:

وأوف ولا تستوف حقك كله ::: وصافح فلم يستوف قط كريم

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد ::: كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وقال آخر:

عليك بأوساط الأمور فإنها ::: نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

قالوا عن مطرف بن عبد الله:

* قال سليمان بن المغيرة:

كان مطرف بن عبد الله إذا دخل بيته سبحت معه آنية بيته.

وقال غيلان:

كان مطرف يلبس البرانس، ويلبس المطارف - مفرد مطرف - ويركب الخيل، ويغشي السلطان غير أنك إذا أفضيت إليه أفضيت إلى قرة عين.

* قال ثابت البناني:

كان مطرف يسكن البادية، فإذا أقبل من مبدأه وجعل يسير بالليل أضاء له سوطه.

قال أبو عقيل بشير بن عقبة ليزيد بن عبد الله بن الشخير:

ما كان مطرف يصنع إذا هاج في الناس هيج - فتنة حيث يقاتل الناس بعضهم بعضًا -؟

قال يزيد بن عبد الله بن الشخير:

- كان مطرف يلزم قعر بيته ولا يقرب لهم جمعة ولا جماعة حتى تنجلي لهم عما انجلت.

قال غيلان:

كان مطرف إذا وقع الطاعون يتنحى.

* قالت صافية بنت عبد الله مولاة مطرف:

رأيت على مطرف بردًا قطريًا، ورأيته يخضب رأسه بالحناء والكتم، ورأيته يتوضأ في تور صفر قدر المكوك أو زيادة قليل.

مطرف بن عبد الله وأحاديث رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

أسند مطرف بن عبد الله عن: عثمان بن عفان، وعلى بن أبي طالب، وأبيّ بن كعب، وأبي ذر الغفاري، وأبيه عبد الله بن الشخير.

* قال عبد الله بن المبارك عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن مطرف بن عبد الله ابن الشخير، عن أبيه، قال:

(أتيت النبي (صلي الله عليه وسلم) وهو يصلي ولجوفه أزير كأزير المرجل من البكاء) (رواه الإمام أبو محمد بن حبان البُسْتِيّ).

وفي كتاب أبي داود:

(وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء).

* وقال ابن قتيبة ومطرف بن عبد الله:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(صُوموا لرؤيته - الهلال - وأفطروا لرؤيته، فإن غُـمَّ عليكم فأكملوا العدد).

وفي رواية:

(فإن غمى عليكم الشهر فعدوا ثلاثين).

وقال مطرف وابن قتيبة:

يعول على الحساب عند الغيم بتقدير المنازل واعتبار حسابها في صوم رمضان، حتى إنه لو كان صحوا لرؤي لقوله - عليه السلام -:

(فإذا أغمى عليكم فاقدروا له).

أي: استدلوا عليه بمنازله وقدّروا إتمام الشهر بحسابه.

* وقال حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عليَّ بن يزيد عن مطرف قال:

قال عبد الله بن عمرو:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(أبشروا يا معشر المسلمين، هذا ربكم قد فتح بابًا من أبواب السماء يباهي بكم الملائكة يقول: يا ملائكتي، انظروا إلى عبادي هؤلاء قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى)، (رواه ابن ماجه، والإمام أحمد، والطبراني في المعجم الكبير، عن عبد الله بن عمرو).

وفاة مطرف بن عبد الله:

دخل ثابت البناني ومعه رجل على مطرف بن عبد الله بن الشخير وهو مغمىٌّ عليه، فسطعت منه ثلاثة أنوار:

نور من رأسه، ونور من وسطه، ونور من رجليه.

فهالهما ذلك، فلما أفاق أبو عبد الله قالا:

- كيف تجدك يا أبا عبد الله؟

قال مطرف بن عبد الله بن الشخير:

- صلح.

قالا:

- رأينا شيئًا هالنا.

فتساءل مطرف بن عبد الله:

- وما هو؟

قال ثابت البناني والرجل الذي معه:

- أنوار سطعت منك.

فقال أبو عبد الله:

- وقد رأيتم ذلك؟

قالا:

- نعم.

قال مطرف بن عبد الله بن الشخير:

تلك{الٓمٓ ﴿١﴾} [سورة السجدة الآية: ١] ، وهي ثلاثون آية تسطع أولها من رأسي وأوسطها من وسطي وآخرها من قدمي، وقد صعدت لتشفع لي، وهذه تبارك تحرسني.

وأوصى مطرف بن عبد الله أخاه يزيد بن عبد الله بن الشخير أن لا يؤذن بجنازته أحد.

ومات مطرف بن عبد الله بن الشخير، في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي بالعراق، بعد الطاعون الجارف وذلك سنة سبع وثمانين، في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان.

* * *

[٧]

شميط بن عجلان

شميط بن عجلان

كنيته:

يكنى: أبا عبيد الله.

وقيل:

أبو عبد الله.

وقيل:

أبو همام.

وصف أهل الدنيا:

قال شميط بن عجلان:

حيارى سكارى فارسهم يركض ركضًا، وبيدقهم يسعى سعيًا، عشقوا الدنيا ولزمت بأم رءوسهم يرتضعونها لا ينفطمون من رضاعها، وإذا أحدث الله تعالى لأحدهم نعمة أحدث رياء وسمعة، فعلق من بين أصفر وأحمر وأخضر.

ثم قال للناس:

- تعالوا وانظروا.

فأما المؤمن من يقول:

- لا حسن والله ولا جميل، إن يكن من حلال فقد أسرفت، وإن يكن من حرام فثكلتك أمك.

وأمَّا المنافقون فيقولون:

- يا ويحنا! يا ليت لنا ما أكثر وأطيب.

ذروهم عباد الله وما اختاروا لأنفسهم من فالوذجهم - الفالوذج:

نوع من الحلوى - ورودجهم.

فكل يومًا بقلاً ويومًا خلا ::: ويومًا ملحًا والموعد الله

يطلبون لأولادهم السمن والعسل، ثم يخرجونهم على أيتام المساكين، فيذهب الصبي إلى أمه فيجاذبها خمارها فيقول:

- اطلبي لنا سمنًا وعسلاً، فإني رأيت مع ابن فلان سمنًا وعسلاً.

فتقول له أمه:

- إنه كثير لك من حيث أصبت لك الخبز والملح.

يشترى أحدهم الأمة العجماء من دار المشركين إلى دار المسلمين، فلا يفقهها في الدين ولا يعلمها شيئًا من سنن المرسلين، فتلبس الوشى وتحلى بالذهب، ثم تخطر على فساق أهل الأسواق، فإن جنت جناية تبعه من ذلك ما ساءه.

أولياء الله:

قال أبو عبد الله:

إن أولياء الله آثروا رضى الله عز وجل على هوى أنفسهم.

وإن كانت أهواؤهم محنة لهم، فأرغموا أنفسهم كثيرًا لرضاء ربهم، فأفلحوا وأنجحوا.

يا دواد:

قال أبو همام:

أوحى الله إلى داود - عليه السلام -:

ألا ترى إلى المنافق كيف يخادعني وأنا خادعه، يسبحني بطرف لسانه، وقلبه بعيد عني؟

يا داود:

قل للملأ من بني إسرائيل لا يدعوني والخطايا بين أضبانهم - بين أصلابهم، والضين الحضين أو ما بين الكاشح والإبط - ليلقوها ثم يدعوني أستجيب لهم.

بئس العبد:

قال شميط بن عجلان:

بئس العبد: عبد خلق للعبادة فصدته الشهوات عن العبادة.

بئس العبد: عَبدٌ خلق للعاقبة فصدته العاجلة عن العاقبة.

فزالت العاجلة وشقي بالعاقبة.

دار الحق ودار الغرور:

قال أبو عبد الله:

كل يوم تستوفى من رزقك، قد أعطيت ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك، ولا بقليل تقنع ولا من كثير تشبع، فكيف يستبين للعالم جهل من قد عجز عن شكر ما هو فيه، وهو مغتر في طلب الزيادة؟

أم كيف يعمل للآخرة من لا تنقضي عن الدنيا شهوته، ولا تنقضي فيها رغبته؟

فالعجب كل العجب! لمصدق بدار الحق، وهو يسعى لدار الغرور.

ثلاثة ضعفاء:

قال أبو همام:

يعمد أحدهم فيقرأ القرآن ويطلب العلم، حتى إذا علمه أخذ الدنيا فضمها إلى صدره، وحملها على رأسه.

فنظر إليه ثلاثة ضعفاء: امرأة ضعيفة، وأعرابي جاهل، وأعجمي.

فقالوا:

هذا أعلم بالله منا، لو لم يرَ في الدنيا خيرة ما فعل هذا.

فرغبوا في الدنيا وجمعوها.

فمثله كمثل الذي قال الله تعالى:{وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ} [سورة النحل الآية: ٢٥]. أوزار: آثام وذنوب.

الناس ثلاثة:

قال شميط بن عجلان:

الناس ثلاثة:

فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه، ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا المقرَّب.

ورجل ابتكر عمره بالذنوب وطول الغفلة، ثم راجع بتوبة، فهذا صاحب يمين.

ورجل ابتكر الشر في حداثته، ثم لم يزل فيه حتى خرج من الدنيا، فهو صاحب الشمال.

متى تهرب من النار!

قال أبو همام:

إذا أصبحت آمنًا في سربك - السرب: النفس - معافًا في بدنك عندك قوت يومك، فعلى الدنيا العفاء وعلى من يحزن عليها.

إن المؤمن من يقول لنفسه:

إنَّما هي ثلاثة أيام، فقد مضى أمس بما فيه، وغدًا أمل لعلك تدركه، وإنَّما هو يومك هذا.

فإن كنت من أهل غد، فيسجيء رب غد برزق غد، وإن دون غد يومًا وليلة تخترم - تموت - فيه أنفس كثيرة، فلعلك المخترم - الميت - فيه.

كفى كل يوم همه ثم حملت على قلبك الضعيف هم السنين والدهور والأزمنة وهَمّ الغلاء والرخص وهمَّ الشتاء قبل أن يجيء، وهمّ الصيف قبل أن يجيء، فماذا أبقيت من قلبك الضعيف للآخرة؟

ما تطلب الجنة بهذا؟

متى تهرب من النار؟

أي الرجلين أنت!

قال شميط بن عجلان:

الناس رجلان:

فمتزود من الدنيا، ومتنعم فهيا، فانظر أي الرجلين أنت؟

إني أراك تحب طول البقاء في الدنيا، فلأي شيء تحبه؟

أن تطيع الله عز وجل وتحسن عبادته، وتتقرب إليه بالأعمال الصالحة.

فطوبى لك.

أم لتأكل وتشرب وتلهو وتلعب وتجمع الدنيا وتثمرها وتنعم زوجتك وولدك؟

فلبئس ما أردت له البقاء.

المرآة:

قال أبو عبد الله:

إن المؤمن اتخذ كتاب الله عز وجل مرآة، فمرة ينظر إلى ما نعت - وصف الله تعالى المؤمنين -.

ومرة ينظر إلى ما نعت الله عز وجل به المغترين.

ومرة ينظر إلى الجنة وما وعد - أعد - الله تعالى فيها.

ومرة ينظر إلى النار وما أعد الله عز وجل فيها.

تلقاه حزينًا كالسهم المرمى به شوقًا إلى ما شوقه الله تعالى إليه وهربًا مما خوفه الله عز وجل منه.

رحم الله عبداً:

قال أبو عبد الله:

أيها المغتر بطول صحته: أما رأيت ميتًا قط من غير سقم؟

أيها المغتر بطول المهلة: أما رأيت مأخوذًا قط من غير عدة؟

أبالصحة تغترون؟ أم بطول العافية تمرحون؟

إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك - حشدوا: جمعوا - أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب شديد وغصص وندامة على التفريط؟

رحم الله عبدًا عمل ساعة الموت.

رحم الله عبدًا عمل بعد الموت.

رحم الله عبدًا نظرًا لنفسه قبل نزول الموت.

الحمد لله الذي اختار لي:

قال أبو همام:

تلقى - تجد - أحدهم عنده فضول - ما يزيد على حاجته من الطعام والشراب - يغلق بابه دون جاره وذوى رحمه، ثم يخرج على القوم يحدثهم بما أكل وبما شرب، ولعل جاره الفقير وذا رحمه

المحتاج يكون في القوم يسمع ما يقول:

- ويحك! ما كفاك أن أغلقت بابك دونه فلم تواسه ولم تذكره حتى قعدت فأخبرته بما أكلت وبما شربت؟

فإذا أنت جمعت إساءة بعد إساءة.

إن المؤمن من أبصر بالدنيا فأنزلها منزلتها، فإن هي أقبلت عليه قال:

- لا مرحبًا ولا أهلاً، والله ما أراك جئت بخير، وما فيك من خير، إلا أن تطلب بك الجنة، ويفتدى بك من النار.

فإن هي أدبرت عنه - أولته ظهرها - قال:

- الحمد لله الذي خار - اختار - لي وصرف عني فتنتك وشغلك.

هذا نظر من الله عز وجل لي:

قال شميط بن عجلان:

إن العافية سترت البر والفاجر، فإذا جاءت البلايا، استبان - ظهر عندها - الرجلان:

فجاءت البلايا إلى المؤمن فأذهب ماله وخادمه ودابته حتى جاع بعد الشبع، ومشى بعد الركوب، وخدم نفسه بعد أن كان مخدومًا.

فصبر ورضي بقضاء الله عز وجل وقال:

- هذا نظر من الله عز وجل لي، هذا أهون لحسابي غدًا.

وجاءت البلايا إلى الفاجر فأذهبت ماله وخادمه ودابته، فجزع وهلع وقال:

- والله ما لي بهذا طاقة، والله لقد عودت نفسي عادة ما لي عنها صبر من الحلو والحامض والحار والبارد ولين العيش.

فإن أصابه من الحلال، وإلا طلبه من الحرام والظلم ليعود إليه ذلك العيش.

شميط بن عجلان وأحاديث المبعوث رحمة للعالمين (صلي الله عليه وسلم) :

أسند شميط بن عجلان عن جماعة من التابعين، وهو قليل الرواية.

* حدثنا عبد الله بن جعفر عن يونس بن حبيب عن أبي داود عن عبيد الله بن شميط، عن أبيه عن أبي بكر عن أنس قال:

إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) باع حلسًا - حلس البيت: كساء يُبسط من حر الثياب - وقد حار فيمن يزيد وقال:

(من يشترى هذا؟).

فقال رجلٌ:

بدرهم.

فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(من يزيد؟) (رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس).

* وقال أبو بكر بن خلاد عن الحارث بن أبي سلمة، عن عبد الوهاب بن أبي عطاء عن أخضر بن عجلان - أخو شميط بن عجلان - عن أبي بكر الحنفى عن أنس بن مالك قال:

جاء رجلٌ إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) وشكى إليه الفاقة - الفقر -.

فأتي بحلس وقدح فقال عليه الصلاة والسلام:

(من يأخذهما منى بدرهم؟).

فقال رجل:

أنا آخذهما.

فقال عليه الصلاة والسلام:

(من يزيد على هذا؟).

فقال رجل:

أنا آخذهما بدرهمين.

فقال (صلي الله عليه وسلم) :

(هما لك) (رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس بن مالك).

* يقول عبيد الله بن شميط: حدَّثنى أبى وعمى الأخضر عن عطاء بن زهير العامري عن أبيه قال:

قلت لعبد الله بن عمر:

ما تقول في الصدقة؟ أي مال هي؟

قال ابن عمر:

- شر مال إنَّما هي للعميان والعرجان والمنقطع بهم.

قلت:

- فأخبرني عن العاملين عليها والمجاهدين في سبيل الله عز وجل ما أحلَّ لهم؟

قال عبد الله بن عمر:

للعاملين عليها بقدر عمالتهم، وللمجاهدين في سبيل الله ما أحلّ لهم، إن الصدقة لا تحل لغنى ولا لذي مرة سوى - الرجل القوى -.

* قال عبد الله بن جعفر عن إسماعيل بن عبد الله بن المبارك عن الصديق بن حزن عن شميط بن عجلان قال:

حدث مؤذن بني كعب قال:

بينما أنا أسير في أرض فقراء؛ إذ أذنت فقال لي قائل من خلفي:

- نعم، ما أدبك الله؟

فالتفت إذا أبو برزة الأسلمي فقال:

سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول:

(ما من عبد أذن في أرض قيٍّ – قفر القفر: الأرض القفر الخالية فتبقى – شجر ولا مدر ولا سراب ولا شيء إلا استجلاه البكاء لقلة ذاكر الله في ذلك المكان) (رواه سمويه والديلمي وأبو نعيم في الحلية عن أبي برزة الأسلمى).

من أقوال شميط بن عجلان:

قال أبو همام:

* رأس مال المؤمن: دينه حيث ما زال معه، لا يخلفه في الرحال ولا يأمن عليه الرجال.

* بادروا بالصحة السقم، وبالفراغ الشغل، وبادروا بالحياة الموت.

* إن لله عز وجل جعل قوة المؤمن في قلبه ولم يجعلها في أعضائه، ألا ترون الشيخ يكون ضعيفًا يصوم الهواجر ويقوم الليل والشاب يعجز عن ذلك؟

* من رضى بالفسق فهو من أهله، ومن رضى أن يعصي الله عز وجل لم يرفع له عمل.

* وقالت امرأة شميط بن عجلان له:

- يا أبا همام: إنا نعمل الشيء فيبرد فنشتهي أن تأكل منه معنا فلا تجيء حتى يفسد ويبرد؟

فقال أبو عبد الله:

- والله إن أبغض ساعاتي إلاً الساعة التي آكل فيها.

* من جعل الموت نصب عينيه، لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها.

* إن الله عز وجل وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المطيعين به.

* إن المنافق عبد هواه وعبد بطنه، وعبد فرجه، وعبد جلده، وعبد الدنيا وعبد أهل الدنيا.

* وقال شميط بن عجلان في وصف المؤمنين:

أتاهم عن الله تبارك وتعالى أمر وقذهم - صرفهم بشدة - عن الباطل فأسهروا الأعين وأجاعوا البطون وأظمأوا الأكباد وأنفقوا الأموال التالد - المال القديم الأصل الذي ولد عندك والطارف - المال المستحدث وهو ضد التالد - في طلب ما يقربهم إلى الله عز وجل وفي طلب النجاة مما خوفهم به.

* إن المتقين أتاهم من الله أمر أقلقهم، فأكلوا على تبغض، وباتوا على تصون.

* إن المتقين هم الأكياس، أكلوا طيب رزق الله، وعاشوا في فضل نعيم الآخرة.

* إن المتقين أتاهم وعيد الله فناموا على خوف، وقاموا على وقار.

* ويصف شميط بن عجلان أهل الدنيا فيقول:

دائم البطنة - يأكل كثيرًا - قليل الفطنة، إنَّما همه بطنه وفرجه وجلده، ويقول:

متى أصبح فآكل وأشرب وألهو وألعب؟ ومتى أمسى فأنام؟

جيفة بالليل بطال بالنهار.

* صم عن الدنيا واجعل غاية إفطارك في الدنيا الموت.

* يا ابن آدم: الدنيا غداء وعشاء، فإن أخرت غداءك إلى عشائك أمسى ديوانك في ديوان الصائمين.

* دعا بعض الأمراء شميط بن عجلان إلى طعام، فاعتلّ عليه - ادَّعى المرض - ولم يأته فقيل له:

- كيف ترفض طعام الأمير؟

فقال أبو همام:

- فقد أكله أيسر من بذل ديني لهم - السلاطين -، ما ينبغي أن تكون بطن المؤمن أعز عليه من دينه.

* إن الدينار والدرهم أزمة المنافقين، بهما يقادون إلى السواءات.

* علامة المنافق قلة ذكر الله عز وجل.

* يا ابن آدم: إنك ما دمت ساكتًا فإنك سالم، فإذا تكلمت فخذ حذرك.

* نظر شميط بن عجلان إلى الناس يوم عيدهم في محشرهم ومجمعهم فقال:

هل ترى الأخرقة تبلى ولحمًا يأكله الدود غدًا؟

* أوحى الله تعالى إلى داود - عليه السلام -:

إنك إذا استنقذت هالكًا من هلكته سميتك جهبذا.

* عجبًا لابن آدم، بينما قلبه في الآخرة، إذا حكه برغوث أو قملة فنسى الآخرة.

* رجلان معذبان في الدنيا: رجل أعطى الدنيا فهو معتوب فيها ومشغول بها، وفقير زويت عنه فنفسه تتقطع عليها حسرات.

* إني والله ما رأيت أبدانكم إلا مطايا إلى ربكم عز وجل، ألا فانضوها - أنضى بعيره: هزله - في طاعة الله يبارك الله فيكم.

* قد أفلح من جعل الله تعالى له عينين بصيرتين، ولسانًا فصيحًا، وقلبًا واعيًا يعي الخير ويعمل به.

* كان أبو همام يقول لجلسائه:

ساعة للدنيا، وساعة للآخرة، وقولوا في خلال الحديث: اللهم اغفر لنا.

من دعاء شميط بن عجلان:

* كان أبو عبيد الله يدعو فيقول:

اللهم اجعل القليل من الدنيا يكفينا، كما يكفي الكثير أهله.

اللهم ارفع رغبتنا إليك واقطع رجاءنا ممن سواك.

اللهم اجعل طاعتك ألذ عندنا من الطعام عند الجوع ومن الشراب عند الظمأ.

اللهم اجعل غفلة الناس لنا ذكرًا ومرح الناس لنا شكرًا.

اللهم إذا تنعم المتنعمون بالدنيا فاجعلنا نتنعم بذكرك.

اللهم اجعل أحب ساعات الدنيا إلينا ساعات ذكرك وعبادتك، واجعل أبغض ساعاتها إلينا ساعات أكلنا وشربنا ونومنا.

* * *

الأوزاعي

مواقف ومواعظ

من حياة التابعين

[٨]

الأوزاعي

الأوزاعـــي

نسبه:

هو: عبد الرحمن بن عمرو.

كنيته:

يكنى: أبا عمرو.

مولده:

ولد سنة ثمان وثمانين من الهجرة.

سكن بيروت.

كان ثقة مأمونًا صدوقًا فاضلاً خيرًا كثير الحديث والعلم والفقه حجَّة.

كان إمام عصره وأوانه، وكان ممن لا يخاف في الله لومة لائم، لا يخاف سطوة العظائم.

والأوزاع: بطن من همدان، وهو من أنفسهم.

وقال البخاري في تاريخه: الأوزاع: قرية بدمشق إذا خرجت من باب الفراديس.

رأيت رب العزة في المنام:

قال الأوزاعي:

رأيت رب العزة في المنام فقال لي:

- يا عبد الرحمن أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟

قلت:

- بفضلك يا رب.

ثم قلت:

- يا رب أمتني على الإسلام.

فقال:

- وعلى السنة.

وقال أبو عمرو:

رأيت كأن ملكين عرجا بي وأوقفاني بين يدي - أمام - رب العزة فقال لي:

- أنت عبدي عبد الرحمن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟

فقلت:

- بعزتك أي رب أنت أعلم.

قال: فهبطا بي حتى رداني إلى مكاني.

زمان قد ولى عفوه:

وعظ الأوزاعي فقال في موعظته:

أيها الناس:

تقووا بهذه النعم التي أصبحتم فيها على الهرب من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، فإنكم في دار الثواء فيها قليل وأنتم فيها مؤجلون خلائف من بعد القرون الذين استقبلوا من الدنيا أنفها وزهرتها، فهم كانوا أطول منكم أعمارًا، وأمد أجسامًا، وأعظم آثارًا فخددوا الجبال، وجابوا الصخور، ونقبوا في البلاد مؤيدين ببطش شديد، وأجسام كالعماد - بالكسر: الأبنية الرفيعة -، فما لبثت الأيام والليالي أن طوت مددهم، وعفت آثارهم، وأخوت - جعلتها خالية - منازلهم، وأنست ذكرهم، فما تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزًا - صوتًا -،

كانوا بلهو الأمل آمنين لبيات قوم غافلين أو لصباح قوم نادمين.

ثم إنكم قد علمتم الذي نزل بساحتهم بياتًا من عقوبة الله عز وجل، فأصبح كثير منهم في ديارهم جاثمين، وأصبح الباقون ينظرون في الآثار نقمة وزوال نعمة، ومساكن خاوية فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم، وعبرة لمن يخشى.

وأصبحتم من بعدهم من أجل منقوص، ودينا مقبوضة في زمان قد ولى عفوه وذهب رخاؤه فلم تبق منه إلا حمة - الحمة: بضم الحاء وتخفيف الميم المفتوحة: السم أو إبرة الزنبور والعقرب ونحو ذلك مما يلدغ - شر وصبابة - الصبابة: البقية - كدر، وأهاويل - جمع الجمع لأهوال، ومفردها: هول - عبر، وعقوبات غير وأرسال - الأرسال: الجماعات، مفردها: رَسل بفتح الراء والسين - فتن، وتتابع زلازل ورذالة خلف بهم. ظهر الفساد في البر والبحر.

يضيقون الديار ويغلون الأسعار بما يرتكبونه من العار والشنار، فلا تكونوا أشباها لمن خدعه الأمل وغرَّه طول الأجل ولعبت به الأمانيّ.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن إذا دعى بَدَر، وإذا نهى انتهى، وعقل مثواه، فمهد لنفسه.

إنَّما الأعمال بالنيات:

لما دخل عبد الله بن عليّ - عم السفاح الذي أجلى بني أمية عن الشام وأزال الله عز وجل دولتهم على يده - دمشق، فطلب الأوزاعي فتغيب عنه ثلاثة أيام، ثم حضر بين يده.

يقول أبو عمرو:

دخلت عليه وهو على سرير وفي يده خيزرانة والمسودة عن يمينه وشمال معهم السيوف مصلته - والغمد: الحديد - فسلمت عليه فلم يرد عليَّ.

ونكت بتلك الخيزرانة التي في يده ثم قال:

- يا أوزاعي: ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدي أولئك الظلمة - يعني: بني أمية - عن العباد والبلاد؟ أجهادًا أو باطلاً هو؟

قال أبو عمرو:

- أيها الأمير: سمعت يحيى بن سعيد الأنصاري يقول: سمعت علقمة بن وقاص يقول: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول:

(إنَّما الأعمال بالنيات وإنَّما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هو إليه).

فنكت الخيزرانة أشد مما كان ينكت، وجعل من حوله - المسودة - يقبضون أيديهم على قبضات سيوفهم، ثم قال:

- يا أوزاعي: ما تقول في دماء بني أمية؟

قال الأوزاعي:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(لا يحل دم امرئ مسلم إلا بثلاث: النفس بالنفس، والثيِّبُ الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة). (رواه الطبراني في المعجم الكبير عن عمار).

فنكت أشد من ذلك، ثم تساءل:

- ما تقول في أموالهم؟

قال أبو عمرو:

- إن كانت في أيديهم حرامًا فهي حرام عليك أيضًا، وإن كانت حلالاً فلا تحل لك إلا بطريق شرعي.

فنكت أشد مما كان ينكت قبل ذلك، ثم قال:

- ألا نوليك القضاء؟

فقال الأوزاعي:

- إن أسلافك لم يكونوا يشقون عليَّ في ذلك، وإني أحب أن يتم ما ابتدؤني به من الإحسان.

فقال:

- كأنك تحب الانصراف؟

قال أبو عمرو:

- إن ورائي حرمًا وهم محتاجون إلى القيام عليهن وسترهن، وقلوبهن مشغولة بسببي.

يقول الأوزاعي:

- وانتظرت رأسي يسقط بين يدي - أمامي -.

ولكنه أمرني بالانصراف.

ولما خرج أبو عمرو لم يصدق عينيه أنه خرج وما زال يمشي على قدميه، وإذا برسول من ورائه ومعه مائتا دينار، فقال:

يقول لك الأمير استنفق هذه.

فتصدق بها - أخذها خوفًا -.

الأوزاعي في بيت المقدس:

لما قدم أبو عمرو ذات يوم بيت المقدس توضأ ثم جعل الصخرة وراء ظهره وصلَّى ثمان ركعات.

وصلى الخمس صلوات في المسجد الأقصى.

ثم قال:

- هكذا فعل عمر بن عبد العزيز.

كل عمى ولا عمى القلب:

قال الأوزاعي:

قال سليمان - عليه السلام - لابنه:

- يا بني: عليك بخشية الله فإنها غلبت كل شيء.

وقال سليمان بن داود - عليهما السلام -:

- يا معشر الجبابرة: كيف تصنعون إذا رأيتهم الجبار؟

أترون قضاء؟

يا معشر الجبابرة، كيف تصنعون إذا وضع الميزان لفصل القضاء؟

من عمل سوءًا فبنفسه بدأ.

كل عمى ولا عمى القلب.

لهو العلماء خير من حكمة الجهلاء.

نسأل الله أن يرزقنا وإياك علماً نافعاً:

كتب أبو عمرو والي الحكم بن غيلان القيسي:

قد أحببت - رحمنا الله وإياك - أن تقف ما عملت من المراء وإن كان على ما تعلم فيه، وأن تجعل لمعادك في طرفي نهارك نصيبًا، ولا يستفرغنك إيثار غيره، ودع امتحان من اتهمت، وضع أمره على

ما قد ظهر لك منه، فإن ستر عنك خلاقًا فاحمد الله على عافيته، وإن عرض لك ببدعة فأعرض عن بدعته، ودع من الجدال ما يفتن القلب، وينبت الضغينة، ويجفي القلب، ويرق الورع في المنطق والفعل، ولا تكن ممن يمتحن من لقى بالأبد، وما عسى أن يفتري به أحد وليكن ما كان منك على سكنية وتواضع تريد به الله عز وجل، وليعنك ما عنى الصالحين قبلك، فإنه قد أعظمهم ثقل الساعة، فجرت على خدودهم من الخشوع دموعهم، وطووا من خوف على ظمأ مناهلهم، عناهم على أنفسهم وراحتهم على الناس.

نسأل الله أن يرزقنا وإياك علمًا نافعًا، وخشوعًا يؤمننا به يوم الفزع الأكبر.

إنه أرحم الراحمين.

والسلام عليك.

فليتق الله أمير المؤمنين:

لما خرج إبراهيم ومحمد على أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور، أراد أهل الثغور أن يعينوه عليهما، فأبى ذلك، فوقع في يد ملك الروم الألوف من المسلمين أسرى - وكان ملك الروم يحب أن يفادى بهم ولكن أبا جعفر رفض -.

فكتب الأوزاعي إلى أبي جعفر كتابًا:

أما بعد:

فإن الله تعالى استرعاك أمر هذه الأمة لتكون فيها بالقسط قائمًا، وبنبيّه (صلي الله عليه وسلم) في خفض الجناح والرأفة متشبهًا.

وأسأل الله تعالى أن يسكن على أمير المؤمنين دهماء هذه الأمة، ويرزقه رحمتها، فإن سايحة المشركين غلبت عام أول، وموطؤهم حريم المسلمين، واستنزالهم العواتق والذراري من المعاقل

والحصون، وكان ذلك بذنوب العباد - عباده - وما عفا الله عنه أكثر.

فبذنوب العباد استنزلت العواتق والذراري من المعاقل والحصون، لا يلقون لهم نصرًا، ولا عنهم مدافعًا، كاشفات عن رءوسهن وأقدامهن، فكن ذلك بمرأى ومسمع، وحيث ينظر الله إلى خلقه، وإعراضهم عنه.

فليتق الله أمير المؤمنين وليتبع بالمفادات بهم من الله سبيلاً، وليخرج من محجة الله تعالى، فإن الله تعالى قال لنبيه (صلي الله عليه وسلم) :

{وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا (٧٥)} [سورة النساء الآية: ٧٥].

{ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨)} [سورة النساء الآية: ٩٨].

والله يا أمير المؤمنين، ما لهم يومئذ فيء موقوف، ولا ذمة تؤدى خراجًا إلا خاصة أموالهم، وقد بلغني عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أنه قال:

(إني لأسمع بكاء الصبي خلفي في الصلاة فأتجوز – أتخفف – فيها مخافة أن تفتن أمه).

فكيف بتخليتهم يا أمير المؤمنين في أيدي عدوهم يمتهنونهم ويتكشفون منهن ما لا نستحله نحن إلا بنكاح؟ وأنت راعي الله، والله تعالى فوقك ومستوف منك يوم:{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧)} [سورة الأنبياء الآية: ٤٧].

فلما قرأ أبو جعفر المنصور كتاب الأوزاعي أمر بالفداء.

الأوزاعي يكتب إلى والي بعلبك:

أهدى نصراني إلى أبي عمرو جرة عسل وقال له:

- يا أبا عمرو: تكتب لي إلى والي بعلبك - مدينة بعلبك بالشام - فقال الأوزاعي:

- إن شئت رددت الجرة وكتبت لك، وإلا قبلت الجرة ولم أكتب لك.

فردّ أبو عمرو الجرة إلى النصراني وكتب له.

فوضع والي بعلبك عن النصراني ثلاثين دينارًا.

هذا مجلس مثوبة لا عقوبة:

بعث أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور إلى الأوزاعي وهو بالساحل فأتيه، ولما وصل إليه سلم عليه بالخلافة فرد عليه واستجلسه وسأله:

- ما الذي أبطأ بك عنا يا أوزاعي؟

فقال أبو عمرو:

- وما الذي تريد يا أمير المؤمنين؟

قال أمير المؤمنين أبو جعفر:

- أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم.

قال الأوزاعي:

- يا أمير المؤمنين: انظُر ولا تجهل شيئًا مما أقول لك.

قال أبو جعفر:

- وكيف أجهله وأنا أسألك عنه وقد وجهت فيه إليك وأقدمتك له؟

قال أبو عمرو:

أن تسمعه ولا تعمل به.

فصاح بـه الربيـع حاجـب أبـي جعفـر المنصـور وأهـوى بيـده إلـى السيف فانتهره أمير المؤمنين، وقال:

- هذا مجلس مثوبة لا عقوبة.

فطابت نفس أبي عمرو وانبسط في الكلام فقال:

- يا أمير المؤمنين حدّثني مكحول عن عطية بن بسر قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فإنها نعمة من الله سـقيت إليـه، فإن قبلها بشكر وإلا كانت حجة عليه من الله ليزداد بها إثـمًا ويـزداد الله بهـا عليه سخطه) (رواه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر).

يا أمير المؤمنين: حدَّثني مكحول عن عطية بن بسر قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(أيما والٍ بات غاشًا لرعيته، حرَّم الله عليه الجنـة) (رواه أبـو نعـيم فـي الحلية).

يـا أميـر المـؤمنين: مـن كـره الحـق فقـد كـره الله إن الله هـو الحـق المبين.

يـا أميـر المـؤمنين: إن الـذي يلـين قلـوب أمـتكم لكـم حـين ولاكـم أمرهم لقرابتكم من النبي (صلي الله عليه وسلم) فقد كان بكم رءوفًا رحيمًا.

يا أمير المؤمنين: قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك، عـن عامـة النـاس الـذي أصـبحت تملكهـم، أحمـرهم وأسـودهم، ومسـلمهم وكـافرهم، فكل عليـك نصـيبه مـن العدل، فكيـف إذا اتبعـك مـنهم فئـام - الفئام: الجماعة من الناس - ووراءهم فئـام، لـيس مـنهم أحـد إلا وهـو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها إليه.

يا أمير المؤمنين: حدَّثني مكحول عن عروة بن رُوَيِّم، قال:

كانت بيد النبي (صلي الله عليه وسلم) جريدة يستاك بها - جعل منها سواكًا - ويروع بها المنافقين، فأتاه جبريل - عليه السلام - فقال:

يا محمد: ما هذه الجريدة التي كسرت بها قرون أمتك وملأت قلوبهم رعبًا؟

فكيف بمن شق أبشارهم وسفك دماءهم وخرَّب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه؟

يا أمير المؤمنين: حدَّثني مكحول عن زياد بن جارية، عن حبيب بن مسلمة، أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) دعا إلى القصاص من نفسه في خدشة خدش أعرابيًا لم يتعمدها فأتاه جبريل، فقال:

يا محمد: إن الله لم يبعثك جبارًا ولا مستكبرًا.

فدعاء النبي (صلي الله عليه وسلم) الأعرابي، وقال له:

(اقتص مني).

فقال الأعرابي:

قد أحللتك بأبي أنت وأمي، ما كنت أفعل ذلك أبدًا، ولو أتت على نفسي.

فدعا له بخير.

يا أمير المؤمنين: إن الملك لو بقى لمن قبلك لم يصل إليك، وكذلك لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك.

يا أمير المؤمنين: تدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك؟{مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا} [سورة الكهف الآية: ٤٩].

الصغيرة: التبسم، والكبيرة: الضحك، فكيف بما عملته الأيدي وحدثته الألسن؟

يا أمير المؤمنين: بلغني أن عمر بن الخطاب قال:

لو ماتت سخلة - السخلة: ولد الغنم من الضأن والمعز ساعة وضعه ذكرًا كان أو أنثى وجمعه: سخل - على شاطئ الفرات ضيعة لخِفْتُ أن أُسأل عنها.

فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك؟

يا أمير المؤمنين: أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عند جدك: {إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ} [سورة ص الآية: ٢٦].

يا داود: إذا قعد الخصمان بين يديك - أمامك - فكان لك في أحدهما هوى فلا تمنين في نفسك أن يكون له الحق فيفلح - فيظفر ويفوز - على صاحبه، فأمحوك من نبوتي، ثم لا تكون خليفتي ولا كرمة.

يا داود: إنَّما جعلت رسلي إلى عبادي رعاء كرعاء الإبل، لعلهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير، ويدلوا الهزيل - من الإبل - على الكلأ والماء.

يا أمير المؤمنين: إنك قد بليت بأمر عظيم، لو عرض على السماوات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه.

يا أمير المؤمنين حدَّثني يزيد بن يزيد عن جابر عن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، قال:

إن عمر بن الخطاب استعمل من الأنصار رجلاً على الصدقة،

فرآه بعد أيام مقيمًا، فقال له:

- ما منعك من الخروج إلى عملك؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله؟

قال:

- لا.

قال عمر:

- وكيف ذاك؟

قال الرجل:

لأنه بلغني أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال:

(ما من والٍ يلي من أمور الناس شيئًا إلا أتى به يوم القيامة فيوقف على جسر من نار فينتفض به الجسر انتفاضًا يزيل كل عضو منه عن موضعه، ثم يعاد فيحاسب، فإن كان محسنًا نجا بإحسانه وإن كان مسيئًا انخرق به ذلك الجسر فهوى به في النار سبعين خريفًا).

فقال عمر:

- ممن سمعت هذا؟

قال الرجل:

- من أبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي.

فأرسل إليهما عمر، فسألهما فقالا:

- نعم سمعناه من رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

فقال عمر:

- واعمراه من يتوالها بما فيها؟

فقال أبو ذر:

- من سلت الله أنفه، وألصق خده بالأرض.

فأخذ أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور المنديل فوضعه على وجهه فبكى وانتحب حتى أبكى الأوزاعي، فقال:

يا أمير المؤمنين: قد سأل جدك العباس بن عبد المطلب النبي (صلي الله عليه وسلم) إمارة على مكة والطائف، فقال له:

(يا عباس: يا عم النبي، نفس تحييها خير من إمارة لا تحصيها).

هي نصيحة منه لعمه وشفقة منه عليه؛ لأنه لا يغني عنه من الله شيئًا.

أوحى الله تعالى إليه:{وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾} [سورة الشعراء الآية: ٢١٤].

فقال عليه الصلاة والسلام:

(يا عباس يا صفية عمة النبي إني لست أغني عنكم من الله شيئًا، ألا لي عملي ولكم عملكم).

وقال عمر:

لا يقيم أمر الناس إلا حصيف - الحصيف: الحكيم - العقل أريب العقدة، لا يطلع منه على عورة، ولا يحنو على حوبة ولا تأخذه في الله لومة لائم.

السلطان أربعة أمراء:

فأمير قوى ظلف نفسه - ظلف العيش أي: شدته وخشونته، وظلف نفسه عن الشيء: منعها عن هواها - وعماله فذاك المجاهد في سبيل الله يد الله عليه بالرحمة.

وأمير ضعيف ظلف نفسه وأرتع عماله فضعف فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله.

وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه فذلك في الحطمة - النار - الذي قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(شر الرعاة: الحطمة).

وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعًا.

وقد بلغني يا أمير المؤمنين: أن جبريل - عليه السلام - أتى النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال:

أتيتك حين أمر الله عز وجل بمنافيخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة.

فقال له:

(يا جبريل صف لي النار؟).

فقال:

(إن الله أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرّت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرّت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودَّت، فهي سوداء مظلمة لا يضيء لهبها ولا جمرها، والذي بعثك بالحق لو أن ثوبًا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعًا، ولو أن ذنوبًا – دلو – من شرابها صب في ماء الأرض لقتل من ذاقه، ولو أن ذراعًا من السلسلة التي ذكرها الله تعالى وضع على جبال الأرض جميعًا لذابت وما استقرت، ولو أن رجلاً دخل النار ثم أخرج منها، لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه).

فبكى النبي (صلي الله عليه وسلم) وبكى جبريل بكائه، وقال:

(أتبكي يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر).

قال النبي (صلي الله عليه وسلم) :

(ألا أكون عبدًا شكورًا؟ ولم بكيت يا جبريل وأنت الروح الأمين، أمين الله على وحيه؟).

قال:

(أخاف أن أبتلي بها ابتلى به هاروت ومـاروت، فهـو الـذي منعنـى مـن اتكالي على منزلتي عند ربي فأكون قد أمنت مكره).

فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء:

أن يـا جبريـل ويـا محمـد: إن الله تعـالى قـد أمّنكمـا أن تعصـياه فيعذبكما.

ففضل محمد (صلي الله عليه وسلم) على الأنبياء كفضل جبريل على ملائكة السماء كلهم.

وقد بلغني يا أمير المؤمنين: أن عمر بن الخطاب قال:

اللهم إن كنت تعلم أني أبالي إذا قعد الخصمان بين يدي علـى من قال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلني طرفة عين.

يا أمير المؤمنين، إن أشد الشدة: القيام لله بحقه، وأن أكرم الكرم عند الله التقوى، إنه من طلب العزّ بطاعة الله رفعه الله، ومن طلبه بمعصية الله أذلَّه الله ووضعه، هذه نصيحتي.

والسلام عليك.

ثم نهض أبو عمرو، فقال له أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور:

- إلي أين؟

فقال الأوزاعي:

- إلى البلد والوطن بإذن أمير المؤمنين إن شاء الله.

قال أمير المؤمنين أبو جعفر:

- قد أذنـت وشـكرت لـك نصـيحتك وقبلتهـا بقـول، والله الموفـق للخيـر والمعين عليـه، وبـه أسـتعين وعليـه أتوكـل وهـو حسـبي ونعـم الوكيـل، فـلا تخلنـي مـن مطالعتـك إيـاي بمثلهـا، فإنـك المقبـول غيـر

المتهم في النصيحة.

قال الأوزاعي:

أفعل إن شاء الله.

فلهذا أكرهه:

بعد أن اجتمع الأوزاعي بأمير المؤمنين أبي جعفر المنصور ووعظه، أحبه وعظَّمه، ولما أراد أبو عمرو الانصراف استأذن أمير المؤمنين أن يلبس السواد فأذن أبو جعفر المنصور له، ولكن الأوزاعي لم يترد السواد، فقال أمير المؤمنين للربيع الحاجب:

- الحقه فاسأله لِمَ كره لبس السواد؟ ولا تعلمه أني قلت لك.

فانطلق الربيع ولحق الأوزاعي فسأله:

- لِمَ لَمْ ترتدِ السواد؟

قال أبو عمرو:

- لأني لم أر محرمًا أحرم فيه، ولا ميتًا كفن فيه، ولا عروسًا جليت فيه، فلهذا أكرهه.

إن كنت تريد الخراب فأمامك:

رحل الأوزاعي من دمشق، فنزل بيروت مرابطًا بأهله وأولاه.

يقول أبو عمرو:

وأعجبني في بيروت أني مررت بقبورها فإذا امرأة سوداء في القبور.

فقلت لها:

- أين العمارة يا هنتاه؟

فقالت:

- إن أردت العمارة فهي هذه.

وأشارت إلى القبور.

ثم أردفت:

وإن كنت تريد الخراب فأمامك.

وأشارت إلى البلد.

فعزمت على الإقامة بها - القبور -.

الكذب:

خرج أبو عمرو يومًا من باب مسجد بيروت، وهناك وجد رجلاً يبيع الناطف - نوع من الحلواء وهو القبيط - وإلى جانبه رجلاً يبيع البصل وهو يقول:

- يا بصل أحلى من العسل.

أو قال:

- يا بصل أحلى من الناطف.

فقال الأوزاعي:

سبحان الله! أيظن هذا أن شيئًا من الكذب يباح؟

فكأن هذا ما يرى في الكذب بأسًا.

لعلك كرهت ما قلت:

تناظر الأوزاعي وسفيان الثوري في مسجد الخيف - بمنى - في مسألة رفع اليدين في الركوع والرفع منه.

فاحتج الأوزاعي على الرفع في ذلك بما رواه عن الزهري، عن سالم بن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عن أبيه:

أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كان يرفع يديه في الركوع والرفع منه.

واحتج سفيان الثوري على ذلك بحديث يزيد بن أبي زياد.

فغضب أبو عمر وقال:

تعارض حديث الزهري بحديث يزيد بن أبي زياد وهو رجل ضعيف؟

فاحمرَّ وجه سفيان الثوري وكأن خلاً سكب عليه فقال الأوزاعي:

- لعلك كرهت ما قلت؟

قال سفيان الثوري:

- نعم.

قال أبو عمرو:

قم بنا حتى نلعتن - نطلب لعنة الله على الكاذب - عند الركن أيّنا على الحقّ.

فسكت سفيان الثوري.

الأوزاعي ومالك بن أنس:

حج أبو عمرو فدخل مكة وسفيان الثوري آخذ بزمام جَمَلِه، ومالك بن أنس يسوق به وسفيان الثوري يقول:

- افسحوا للشيخ.

حتى أجلساه عند الكعبة وجلسا بين يديه يأخذان عنه.

وتذاكر مالك بن أنس والأوزاعي مرة بمدينة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) من الظهر حتى صليا العصر، ومن العصر حتى صليا المغرب، فغمره الأوزاعي - غلبه - في المغازي، وغمره مالك بن أنس في الفقه، أو في شيء من الفقه.

من أقوال الأوزاعي:

قال أبو عمرو:

* لهو العلماء خير من حكمة الجهلة.

* من ذكر الموت كفاه اليسير، ومن علم أن منطقه من عمله قلَّ كلامه.

* لو قبلنا من الناس لكما يعطونا لَهُنَّا عليهم.

* إن المؤمن يقول قليلاً ويعمل كثيرًا، وأن المنافق يقول كثيرًا ويعمل قليلاً.

* بلغني أن في السماء ملكًا ينادي كل يوم:

- ألا ليت الخلائق لم يخلقوا، ويااليتهم إذا خلقوا عرفوا ما خلقوا له، وجلسوا مجلسًا فذكروا ما عملوا.

* كان يُقال: خمس كان عليها أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) والتابعون بإحسان:

لزوم الجماعة.

واتباع السنة.

وعمارة المسجد.

وتلاوة القرآن.

والجهاد في سبيل الله.

* كتب الأوزاعي إلى أخ له:

أما بعد:

فإنه قد أحيط بك من كل جانب، واعلم أنه يسار بك كل يوم وليلة.

فاحذر الله بين يديه، وأن يكون آخر عهدك به.

والسلام.

* بلغني أنه ما وعظ رجل قومًا لا يريد به وجه الله إلا ذلت عنه القلوب كما زل الماء عن الصفا - جمع ومفرد: الصفا: وهي الصخرة الملساء -.

* ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة على العبد يوم القيامة يومًا فيومًا وساعة فساعة، ولا تمر به ساعة لم يذكر الله تعالى فيها ولا تقطعت نفسه عليها حسرات، فكيف إذا مرت به ساعة من ساعة ويوم مع يوم وليلة مع ليلة؟

* اصبر نفسك على السنَّة.

وقف حيث وقف القوم.

وقل بما قالوا.

وكف عما كفّوا عنه.

واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم.

لا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم القول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بالنية موافقة للسنَّة.

* من أطال قيام الليل، هوَّن عليه يوم القيامة.

* كنا نمرح ونضحك، فأما إذا صرنا يهتدي بنا ما أرى يسعنا التبسم.

* عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وأقوال الرجال وإن زخرفوه وحسنوه، فإن الأمر ينجلي وأنت منه على طريق مستقيم.

* العلم ما جاء عن أصحاب محمد (صلي الله عليه وسلم) وما لم يجيء عنهم فليس بعلم.

* لا يجتمع حب عليٍّ وعثمان إلا في قلب مؤمن.

* إذا رأيت الله بقوم شرًا، فتح عليهم باب الجدل، وسدّ عنهم باب العلم والعمل.

* كان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل، العمل من الإيمان والإيمان من العمل، وإنَّما الإيمان اسم جامع كما يجمع هذه الأديان اسمها، ويصدقه العمل، فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق ذلك بعمله فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدقه بعمل لم يُقبل منه، وكان في الآخرة من الخاسرين.

* العافية عشرة أجزاء، تسعة منها صمت، وجزء منها هرب من الناس.

* كان يُقال: يأتي على الناس زمان أقل شيء في ذلك الزمان أخ مؤنس أو درهم من حلال أو عمل في السنَّة.

* كان السلف إذا صدع الفجر أو قبله بشيء كأنما على رؤوسهم الطير مقبلين على أنفسهم حتى لو أن حميمًا - صديقًا أو قريبًا تهتم بأمره - لأحدهم غاب عنه حينا ثم قدم ما التفت إليه، فلا يزالون كذلك حتى يكون قريبًا من طلوع الشمس، ثم يقوم بعضهم إلى بعض فيتحلقون، وأول ما يفيضون فيه أمر معادهم وما هم صائرون إليه، ثم يتحلقون إلى الفقه والقرآن.

الأوزاعي وأحاديث المبعوث للناس كافة (صلي الله عليه وسلم) :

أسند الأوزاعي عن محمد بن علي بن الحسين، ويحي بن أبي كثير، والزهري، ومحمد بن المنكدر، وأبي الزبير... وغيرهم.

* قال سليمان بن أحمد عن أحمد بن مسعود الدمشقي عن عمرو بن أبي سلمة عن صدقة بن عبد الله عن الأوزاعي عن أبي الزبير عن جابر قال:

إن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:

(من أبلى خيرًا فلم يجد إلا الثناء فقد شكره، من كتمه فقد كفره، ومن تحلَّى بباطل فهو كلابس ثوبيْ زور) (رواه أبو نعيم في الحلية عن جابر بن عبد الله).

* قال حبيب بن الحسن عن أبي مسلم الكشي عن أبي عاصم النبيل عن الأوزاعي عن محمد بن موسى - أو ابن أبي موسى - عن القاسم بن مخيمرة: أن أبا موسى قال:

أتى النبي (صلي الله عليه وسلم) بنبيذ ينش - النشيش: أول أخذ العصير في الغليان والخمر تنش إذا أخذت في الغليان، والحديث: إذا نش فلا تشرب -.

فقال (صلي الله عليه وسلم) :

(اضرب بهذا الحائط، فإنما يشرب هذا من لا يؤمن بالله واليوم الآخر) (رواه أبو يعلى في مسنده والطبراني في المعجم الكبير وابن عساكر، عن أبي موسى).

* قال الأوزاعي:

قدمت المدينة في خلافة هشام بن عبد الملك فقلت:

- مَنْ هاهنا من العلماء؟

قالوا:

- هاهنا: محمد بن المنكدر، ومحمد بن كعب القرظي، ومحمد بن علي بن عبد الله ابن عباس، ومحمد بن علي بن الحسين بن فاطمة بنت رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

فقلت:

- والله لأبدأن بهذا قبلكم.

فدخلت المسجد فسلمت، فأخذ بيدي فأدناني منه ثم قال:

- من أي إخواننا أنت؟

قلت:

- رجل من أهل الشام؟

فقال محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب:

- من أي أهل الشام؟

قلت:

رجلٌ من أهل دمشق.

قال محمد بن علي بن الحسين:

- نعـم أخبرنـي أبـي عـن جـدي أنـه سـمع رسـول الله (صـلي الله عليه وسلم) يقول:

(النـاس ثلاثـة معاقـل: فمعقلهـم مـن الملحمـة الكـبرى التـي يكـون بعمق أنطاكية دمشـق، ومعقلهـم مـن الملحمـة بيـت المقـدس، ومعقلهـم مـن يـأجوج ومـأجوج طـور سـيناء) (رواه أبـو نعيم فـي الحليـة وابـن عساكر عن الحسين بن علي).

* قال أحمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبـي داود عـن محمـد بـن آدم المصيصي عن عبد الله بن المبارك عن الأوزاعي عن أبي جعفر عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال:

قال النبي (صلي الله عليه وسلم) :

(مثل الذي يرجع في صدقته كمثل الكلب يعود في قيئه فيأكلـه) (رواه مسلم، والنسائي، وابن ماجه عن عبد الله بن عباس).

وسُئِلَ الأوزاعي:

- كيف الاستغفار؟

قال:

- استغفر الله استغفر الله. (رواه مسلم، باب استحباب الذكر بعد الصلاة).

* قال أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن ومحمد بن علي بن حبيش عن أبي شعيب الحراني عن مسكين بن بكير عن الأوزاعي عن الزهري عن أنس بن مالك قال:

(**إن النبي** (صلي الله عليه وسلم) **شرب قائمًا**) (رواه أبو نعيم في الحلية).

* قال محمد بن إبراهيم عن محمد بن الحسن بن قتيبة عن محمد بن أيوب بن سويد عن الأوزاعي عن محمد بن المنكدر عن ثوبان - مولى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال - قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(**إذا مات العبد كانت الصلاة عند رأسه، والصدقة عن يمينه، والصيام عند صدره**) (رواه أبو نعيم في الحلية عن ثوبان).

قال أبو عبد الله بن أحمد بن علي بن مخلد عن يوسف بن الطباع عن محمد بن مصعب عن الأوزاعي عن محمد بن المنكدر عن جابر قال:

قيل:

- يا رسول الله: ما بر الرجل؟

قال عليه الصلاة والسلام:

(**إطعام الطعام، وطيب الكلام – أطعموا الطعام وأطيبوا الكلام**) (رواه أبو نعيم في الحلية والطبراني في المعجم الكبير).

قال أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن علي عن إبراهيم بن الهيثم عن محمد بن كثير عن الأوزاعي عن محمد بن عجلان عن سعيد

عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(الإيــمان بضـعٌ وسـبعون خصــلة أكبرهــا شــهادة أن لا إلــه إلا الله، وأصــغرها إماطــة الأذى عــن الطريــق) (رواه أبـو نعـيم فـي الحليـة، عن أبي هريرة).

الأوزاعي والقرآن العظيم:

* سـأل رجـلٌ أبـا عمـرو عـن قولـه تعـالى:{انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَـالًا }

[سورة التوبة الآية: ٤١].

فقال الأوزاعي:

الخفاف: الرجال.

والثقال: الفرسان.

وقيل:

الخفاف: الذين يسبقون إلى الحرب كالطليعة، وهو مقدم الجيش.

والثقال: الجيش بأسره.

وقيل:

الخفيف: الغني.

والثقيل: الفقير.

وقيل:

الخفيف: الشاب.

والثقيل: الشيخ.

وقيل: الخفيف: الذي لا عيال له.

الثقيل: الذي له عيال.

قال رجل لأبي عمرو:

- رأينا طيورًا تخرج من البحر تأخذ ناحية الغرب بيضًا صغارًا فوجًا فوجًا، لا يعلم عددها إلا الله، فإذا كان العشاء رجعت مثلها سودًا.

قال الأوزاعي:

- تلك الطيور في حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار غدوًا وعيشًا - ما دامت الدنيا أي من أيام الدنيا -، فترجع إلى أوكارها وقد احترقت رياشها وصارت سودًا، فينبت عليها من الليل رياشها بيضًا وتتناثر السود، ثم تغدو فتعرض على النار غدوًا وعشيًا، ثم ترجع إلى أوكارها فذلك دأبها ما كانت في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى:{أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ } [سورة غافر الآية: ٤٦].

وهو: الهاوية.

ثم قال أبو عمرو:

بلغنا أنهم ألف ألف.

وكان الأوزاعي إذا قرأ:{فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ} [سورة الدخان الآية: ٢٩].

قال:

حدثني عطاء الخراساني قال:

ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة، وبكت عليه يوم يموت.

وقيل:

بكاؤهما: حمرة أطرافهما.

وقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

ما من مؤمن إلا وله في السماء بابان:
باب ينزل منه رزقه وباب يدخل منه كلامه وعمله.
فإذا مات فقداه، فبكيا عليـه، ثـم تـلا:{فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ} [سورة الدخان الآية: ٢٩].
وسـئل الأوزاعـي عـن قولـه تعـالى:{فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا} [سورة الكهف الآية: ١١٠].
قال أبو عمرو:
من قرأ آخر سورة الكهف لساعة يريد أن يقوم من الليل قامها.
فقال السائل:
- أمن عندك هذا يا أبا عمرو؟
قال الأوزاعي:
- عن خـاتم النبيين (صـلي الله عليـه وسـلم)، وجربنـاه فوجـدناه كذلك.
وسـأل رجـل أبـا عمـرو عـن قولـه جـل وعـلا:{ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ} [سورة الحج الآية: ٩].
قال الأوزاعي.
هو صاحب البدعة.
وسئل الأوزاعي عن قوله تعالى:{هَيۡتَ لَكَۚ} [سورة يوسف الآية: ٢٣].
فقال:
كلمة سريانية تدعوه لنفسها.
ومعناها بالقبطية: هلم لك.
وبلغة الحجاز:
تعال.

وقال الشاعر في علي بن أبي طالب:

أبلـــغ أمـــير المؤمنـــ :::: ـــين أخـا العـراق إذا أتينـا
إن العـــــراق وأهلـــه :::: سـلم إليـك فهيـت هيتـا

وكـان أبـو عمـرو إذا قـرأ:{ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾} [سورة آل عمران الآية: ٤٣].

قال:

لما قالت الملائكة ذلك، قامت في الصلاة حتى ورمت قدماها وسالت دمًا وقيحًا.

وسئل أبو عمرو عن قول السميع العليم:{وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ} [سورة ق الآية: ٤٠].

فقال:

أدبار السجود: الركعتان بعد المغرب، وأدبار النجوم: الركعتان قبل الفجر.

وكان الأوزاعي إذا قرأ:{هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ} [سورة النجم الآية: ٣٢].

قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(عرض عليَّ الأولون والآخرون بين يدي حجرتي هذه الليلة).

فقال قائل:

- يا رسول الله ومن مضى من الخلق؟

قال عليه الصلاة والسلام:

(نعم عرض عليَّ آدم فمن دونه فهل كان خُلقَ أحد؟).

قالوا:

- ومن أصلاب الرجال وبطون الأمهات؟

قال (صلي الله عليه وسلم) :

(نعم مثلوا في الطين فعرفتهم كما علم آدم الأسماء كلها).

وسأل رجل الأوزاعي عن قوله تعالى:{فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾} [سورة الرحمن الآية: ٧٠].

فقال أبو عمرو:

لو أن خيرة من{فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾} اطلعت من السماء لأضاءت لها، ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر، ولنصيف تكساه خيرة خير من الدنيا وما فيها.

وكان إذا قرأ:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾} [سورة المرسلات الآية: ٤٨].

قال لأصحابه:

كان إذا قيل لهؤلاء المشركين:{ٱرْكَعُواْ }، أي: صلوا،{لَا يَرْكَعُونَ}، أي: لا يصلون.

وقد نزلت هذه الآية في ثقيف، امتنعوا عن الصلاة فنزل ذلك فيهم.

قال لهم النبي (صلي الله عليه وسلم) :

(أسلموا).

وأمرهم بالصلاة فقالوا:

- لا ننحني فإنها مسبة علينا.

فقال عليه الصلاة والسلام:

(لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود).

يذكر أن مالك بن أنس دخل المسجد بعد صلاة العصر، وهو ممن لا يرى الركوع بعد العصر فجلس ولم يركع فقال له صبي:

- يا شيخ قم فاركع.

فقام مالك وركع ولم يحاجه بما يراه مذهبًا.

فقيل له في ذلك فقال:

خشيت أن أكون من الذين:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾} [سورة المرسلات الآية: ٤٨].

وسئل أبو عمرو عن:{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ} [سورة الحديد الآية: ١].

فقال الأوزاعي:

قعد نفر من أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فتذاكروا، فقالوا:

لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله تعالى لعملناه.

فأنزل السميع البصير:{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ} [سورة الحديد الآية: ١].

فقرأها عليهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، (رواه الدارمي في مسنده).

وسئل الأوزاعي عن قوله تعالى:{وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ} [سورة يوسف الآية: ٧٢].

قال أبو عمرو:

لما فقد صواع الملك أذن الزعيم أو المؤذن أو الكفيل والضمين:{أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ} [سورة يوسف الآية: ٧٠].

فالآية تجيز الكفالة على الرجل؛ لأن المؤذن الضامن هو غير يوسف - عليه السلام -.

فإذا تكفل بنفسه وعليه مال، فإنه إن لم يأت به غرم المال، ويرجع به على المطلوب، فإن اشترط ضمان نفسه أو وجهه وقال:

لا أضمن المال، فلا شيء عليه من المال، والحجَّة لمن أوجب غرم المال أن الكفيل قد علم أن المضمون وجهه لا يطلب بدم، وإنَّما يطلب بمال، فإذا ضمنه له ولم يأته به فكأنه فوته عليه وعزه منه، فلذلك لزمه المال.

وسئل الأوزاعي عن قوه: {يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ} [سورة الأعراف الآية: ١٨٧].

فقال:

كان اليهود يسألون النبي (صلي الله عليه وسلم) عن الساعة متى تقوم؟

(حفي عنها) باحث عنها عالم بها.

وسأل رجل أبا عمرو عن قوله تعالى:{فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ} [سورة الروم الآية: ١٥].

أي: ينعمون ويكرمون ويسرون.

فقال الأوزاعي:

ليس أحد من خلق الله أحسن صوتًا من إسرافيل، فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سماوات صلاتهم وتسبيحهم.

وكان أبو عمرو إذا قرأ:{وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ} [سورة البقرة الآية: ١٨٥].

قال:

إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كان يكبر يوم الفطر حين يخرج من بيته حتى يأتي المصلى.

وكان ابن عمر إذا غدا يوم الأضحى ويوم الفطر يجهر بالتكبير حتى يأتي ثم يكبر حتى يأتي الإمام.

وسئل أبو عمرو عن قوله تعالى:{هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ} [سورة البقرة الآية: ١٨٧].

قال:

الأصل في اللباس: الثياب.

فالزوجة ستر لزوجها، والزوج ستر لزوجته، ثم سمى امتزاج كل واحد من الزوجين بصاحبه لباسًا؛ لانضمام الجسد وامتزاجها وتلازمها، تشبيهًا بالثوب.

فيُقال للمرأة: هي لباسك وفراشك وإزارك.

قال النابغة الجعدي:

إذا ما الضجيع ثنى جيدها ::: تداعت فكانت عليه لباسًا

ويقول الأوزاعي:

قدمت المدينة فسألت محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن قوله: عز وجل:{يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾} [سورة الرعد الآية: ٣٩].

فقال: نعم، حدثنيه أبي عند جده علي بن أبي طالب - كرَّم الله وجهه - قال:

سألت عنها رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقال:

(لأبشرنك بها يا علي، فبشر بها أمتي من بعدي، الصدقة على وجهها، واصطناع المعروف، وبر الوالدين، وصلة الرحم تحول

الشـقاء سـعادة، وتزيـد في العمـر، وتقـي مصـارع السـوء) (رواه أبـو نعيم في الحلية).

قالوا عن الأوزاعي:

* أقال أبو زرعة:

أصـل الأوزاعـي مـن السـند فنـزل الأوزاع، فغلـب عليـه النسـبة إليها.

* وقال غيره:

ولـد الأوزاعـي ببعلبـك، ونشـأ بالبقـاع يتيمًـا فـي حجـر أمـه، وكانـت تنتقل بـه من بلـد إلـى بلـد وتـأدب بنفسـه، فلـم يكـن فـي أبنـاء الملـوك والخلفـاء والـوزراء والتجـار وغيـرهم أعقـل منـه، ولا أورع ولا أعلـم، ولا أفصـح ولا أوقـر ولا أحلـم، ولا أكثـر صـمتًا منـه، مـا تكلّـم بكلمـة إلا كـان المتعـين علـى مـن سـمعها مـن جلسائه أن يكتبها عنه من حسنها.

ثم جاء فنزل دمشق بمحلة الأوزاع، خارج باب الفراديس، وساد أهلها في زمانه وسائر البلاد في الفقه والحديث والمغازي وغير ذلك من علوم الإسلام.

* قال سفيان بن عيينة:

كان الأوزاعي إمام أهل زمانه.

* قال مالك بن أنس:

كان الأوزاعي إمامًا يُقتدَى به.

* قال عقل بن زياد:

أفتى الأوزاعي في سبعين ألف مسألة.

* وقال أبو زرعة:

روى عنه ستون ألف مسألة.

* وقال غيرهما:

أفتى الأوزاعي في سنة ثلاث عشرة ومائة وعمره إذا ذاك خمس وعشرين سنة، ثم لم يزل يفتي حتى مات.

* قال مالك بن أنس:

اجتمع عندي الأوزاعي وسفيان الثوري وأبو حنيفة، فقال لي يحي القطان:

- أيهم أرجح؟

قلت:

- الأوزاعي.

* قال محمد بن عجلان:

- لم أر أنصح للمسلمين من الأوزاعي.

* قال يحيى بن معين:

العلماء أربعة: الثوري، وأبو حنيفة، ومالك، والأوزاعي.

* وقال غيره:

ما رؤي الأوزاعي ضاحكًا مقهقهًا قط، ولقد كان يعظ الناس فلا يبقى أحد في مجلسه إلا بكى بعينه أو بقلبه، وما رأيناه يبكي في مجلسه قط، وكان إذا خلى بكى حتى يُرحم.

* قال أبو حاتم:

كان ثقة لِمَا سمع.

وكان الأوزاعي لا يلحن في كلامه، وكانت كتبه ترد على أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور فينظر فيها ويتأملها ويتعجب من فصاحتها وحلاوة عبارتها.

قال أبو جعفر المنصور يومًا لأحد كتابه عنده وهو سليمان بن مخلد:

ينبغي أن نجيب الأوزاعي على ذلك دائمًا، لنستعين بكلامه فيما نكتب إلى الآفاق إلى من لا يعرف كلام الأوزاعي.

فقال سليمان بن مخلد:

- والله يا أمير المؤمنين: لا يقدر أحد من أهل الأرض على مثل كلامه، ولا على شيء منه.

* قالت امرأة الأوزاعي:

دخلت امرأة عليَّ فرأت الحصير الذي كان يصلي عليه أبو عمرو مبلولاً فقالت:

لعل الصبي بال هاهنا.

فقلت:

هذا أثر دموع الشيخ من بكائه في سجوده، هكذا يصبح كل يوم.

* وقالوا:

كان الأوزاعي من أكرم الناس وأسخاهم، وكان له في بيت المال على الخلفاء أقطاع صار إليه من بني أمية وقد وصل إليه من خلفاء بني أمية وأقاربهم وبنى العباس نحو من سبعين ألف دينار، فلم يمسك منها شيئًا، ولا اقتنى شيئًا من عقار ولا غيره، ولا ترك يوم

مات سوى سبعة دنانير كانت جهازه، بل كان ينفق ذلك كله في سبيل الله وفي الفقراء والمساكين.

* قال بشر بن الوليد:

رأيت الأوزاعي كأنه أعمى من الخشوع.

* قال عبد الملك بن محمد:

كان الأوزاعي لا يكلم أحدًا بعد صلاة الفجر حتى يذكر الله، فإن كلمه أحد أجابه.

* قال مروان:

ما أحسب الأوزاعي أخذه إلا من هذه الآية:{وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا} [سورة الإنسان الآيتان: ٢٦ - ٢٧].

وفاة الأوزاعي:

كان أبو عمرو يسكن بيروت، وبها مات سنة سبع وخمسين ومائة، في آخر خلافة أبي جعفر.

وكان عُمر الأوزاعي سبعين سنة.

يقول يزيد بن مذكور:

رأيت الأوزاعي في منامي فقلت:

- يا أبا عمرو دلني على أمر أتقرب به إلى الله تعالى؟

فقال لي:

- ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلم.

فقلت:

- ثم من بعدها؟

قال:

- درجة المحزونين.

* * *

[٩]

عبد الرحمن بن مهدي

عبد الرحمن بن مهدي

عبد الرحمن بن مهدي

كنيته:

يكنى: أبا سعيد العنبري.

مولده:

ولد سنة خمس وثلاثين ومائة.

وهو مولى للأزد.

أملى عشرين ألف حديث حفظًا.

أرجع إلى قولك وأنا صاغر:

قال عبد الرحمن بن مهدي:

كنا في جنازة فيها عبيد الله بن الحسن العنبري، وهو يومئذٍ قاضي البصرة، وموضعه في قومه وقدره عند الناس، فتكلم في شيء فأخطأ.

فقلت وأنا يومئذٍ حدث:

- يا أبي: عليك بالأثر.

فتزايد الناس عليَّ.

فقال عبيد الله بن الحسن العنبري:

- دعوه.

ثم سألني:

- وكيف هو؟

فأخبرته:

فقال عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة:

- صدقت يا غلام، إذًا أرجع إلى قولك وأنا صاغر.

لو حلفت لكفرت:

ضحك رجل في مجلس عبد الرحمن بن مهدي فتساءل:

- من الذي يضحك؟

فأعاد أبو سعيد مرارًا فأشاروا إلى رجل.

فأقبل عبد الرحمن بن مهدي على الرجل وهو يقول:

- تطلب العلم وأنت تضحك؟ تطلب العلم وأنت تضحك؟ لا حدثتكم شهرين.

فقام الناس وانصرفوا.

فحدَّث رجل أبا سعيد فقال:

- لا أفعل.

ثم عاد الرجل يحدث عبد الرحمن بن مهدي فقال:

- إني قلت لا أفعل.

فقال الرجل:

- إنك لم تحلف.

فقال أبو سعيد:

- لو حلفت لكَفَّرت.

لأنه كافر بالقرآن:

سأل إبراهيم بن زياد - سبلان - أبا سعيد:

- ما تقول فيمن يقول القرآن مخلوق؟

قال عبد الرحمن بن مهدي:

- لو كان لي سلطان لقمت على الجسر فكان لا يمر بي أحد إلا سألته فإذا قال:

- مخلوق.

ضربت عنقه وألقيته في الماء.

فقال إبراهيم بن زياد:

- إن أصحاب الأهواء والجهمية يزعمون أن القرآن مخلوق.

قال أبو سعيد:

- من زعم أن القرآن مخلوق استتبته، فإن تاب وإلا ضربت عنقه لأنه كافر بالقرآن.

قال تعالى:{وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا } [سورة النساء الآية: ١٦٤]، إنهم يريدون أن ينفوا عن الله عز وجل الكلام، وأن يكون القرآن كلام الله، وأن الله تبارك وتعالى كلم موسى - عليه السلام -، وقد ذكره السميع البصير فقال:{وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا }.

رجعت عن ذلك وأستغفر الله:

لما تفرَّق أصحاب أبي سعيد، قال عبد الرحمن بن مهدي لفتى من ولد جعفر بن سليمان الهاشمي:

- مكانك.

فقعد الفتى حتى تفرق باقي أصحاب ابن مهدي ثم قال له:

- يا بني: تعرف ما في هذه الكورة من الأهواء والاختلاف وكل ذلك يجري منك على بال رخى إلا أمرك، وما بلغني فإن الأمر لا يزال هينًا ما لم يصل إليكم - يعني السلطان - فإذا صار إليكم جل وعظم.

قال الفتى:

- يا أبا سعيد: وما ذاك؟

قال عبد الرحمن بن مهدي:

- بلغني أنك تتكلم في الرب وتصفه وتشبه.

قال الفتى:

- نعم يا أبا سعيد: نظرنا فلم نر من خلق الله شيئًا أحسن وأولى من الإنسان.

وأخذ الفتى يتكلم في الصفة فقال أبو سعيد:

- رويدك يا بني: حتى نتكلم أول شيء في المخلوق **فإن عجزنا** عن المخلوق فنحن عن الخالق **أعجز**، أخبرني عن حديث شعبة عن الشيباني، قال: سمعت سعيد بن جبير قال: قال عبد الله بن مسعود في قوله:{ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾} [سورة النجم الآية: ١٨]، رأى جبريل - عليه السلام - له ستمائة جناح.

فنظر الفتى إلى عبد الرحمن بن مهدي في عجب فقال أبو سعيد:

- يا بني فإني أهون عليك المسألة، وأضع عنك خمسمائة وسبعًا وتسعين جناحًا، صف لي خلقًا بثلاثة أجنحة، ركب الجناح الثالث منه موضعًا غير الموضعين اللذين ركبهما الله عز وجل حتى أعلم.

قال الفتى:

- يا أبا سعيد قد عجزنا عن وصف المخلوق ونحن عن وصف الخالق أعجز، فأشهدك أني قد رجعت عن ذاك وأستغفر الله.

عبد الرحمن بن مهدي وأحاديث الشافع المشفع (صلي الله عليه وسلم) :

أسند عبد الرحمن بن مهدي عن الأئمة والأعلام وأدرك من التابعين عدة، منهم: المثنى، وسعيد، وأبو خلدة، ويزيد بن أبي

صالح، وداود بن قيس، وصالح بن درهم، وجرير بن حازم.

وحدَّث عنه الأئمة الذين حدَّث عنهم، وحدَّث عن: شعبة، والثوري، وحدثنا عنه، وحدث عن مالك بن أنس، وحماد بن زيد.

وحدث عنه من الأعلام: عبد الله بن المبارك، ويحيى القطان، وأبو داود الطيالسي، وعبد الله بن وهب والفرياني.

* قال عبد الله بن محمد بن جعفر عن عباس بن محمد بن مجاشع عن محمد بن أبي يعقوب عن عبد الرحمن بن مهدي عن أبان بن يزيد، عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة، عن أبي سعيد الخدري قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(ليحجن هذا البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج) (رواه الإمام أحمد، والبخاري، عن أبي سعيد الخدري).

* قال محمد بن علي بن حبيس عن القاسم بن زكريا عن يعقوب الدورقي عن عبد الرحمن بن مهدي عن إبراهيم بن سعيد عن أبيه عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(نفس المؤمن معلقة بِدَيْنِهِ حتى يُقضَى عنه) (رواه الترمذي، كتاب الجنائز، والإمام أحمد، وابن ماجه، والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة).

* قال عبد الله بن محمد عن عباس بن محمد بن مجاشع عن محمد بن أبي يعقوب، عن عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الأعمش عن أبي سفيان عن أبي سعيد، عن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:

(إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده، فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته،

فإن الله تعالى جاعل في بيته من صلاته خيرًا) (أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، والإمام أحمد، وابن ماجه، عن جابر، والدارقطني في الأفراد عن أنس).

* قال محمد بن المظفر عن محمد بن سليمان عن بندار بن بشار عن عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني) (رواه مسلم، والنسائي، عن أبي هريرة).

* قال حبيب بن الحسن عن يوسف القاضي عن محمد بن أبي بكر عن عبد الرحمن ابن مهدي، عن زائدة، عن السدي، عن عبد الله البهي، عن عائشة عن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال لها:

(ناوليني الخمرة - هي مقدار ما يضع الرجل وجهه في سجوده من حصير أو نسيجة خوص ونحوه من النبات، وسميت خمرة لأن خيوطها مستورة بسعفها – **من المسجد)**.

قلت:

- أنا حائض.

قال عليه الصلاة والسلام:

(إن حيضتك ليست في يدك) (رواه أبو نعيم في الحلية وعبد الرزاق في الجامع).

* قال أبو بكر بن مالك، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبي عن عبد الرحمن ابن مهدي عن الربيع بن أسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**) (رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة).

* قال سليمان بن أحمد وأحمد بن جعفر، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبي عن عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن أبي إسحاق عن الأغر قال:

أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على أن رسول الله قال:

(**ما جلس قوم يذكرون الله تعالى إلا غيشتهم الرحمة وحفت بهم الملائكة وذكرهم الله فيها عنده**) (رواه ابن حبان، عن أبي سعيد وأبي هريرة).

* قال سليمان بن أحمد، عن علي بن عبد العزيز، عن أبي عبيد، عن ابن مهدي، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن أبي كريب، عن جابر بن عبد الله، قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(**ويلٌ للأعقاب – العراقيب – من النار**) (رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي، وأخرجه مسلم كتاب الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما، وابن ماجه، عن أبي هريرة).

* قال عبد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن العباس بن أيوب، عن عمرو بن علي، عن عبد الرحمن بن مهدي عن سليمان بن المغيرة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال:

أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال:

(**ليس أحد يشهد أن لا إلـه إلا الله فتأكله أو تطعمه النار**) (رواه أبو نعيم في الحلية).

* قال أبو العباس أحمد بن محمد بن الهيثم التستري عن يحيى بن معاذ عن عمرو الشعثاء عن أبيه عن مسروق عن عائشة قالت:

سُئِلَ النبي (صلي الله عليه وسلم) عن الالتفات في الصلاة.

فقال عليه الصلاة والسلام:

(هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد). (أخرجه البخاري كتاب مواقيت الصلاة، باب الالتفات في الصلاة، والإمام أحمد، وأبو داود، والنسائي، عن عائشة).

* قال أبو بكر بن مالك عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه عن عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله بن جعفر عن يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن عامر بن سعيد، عن العباس بن عبد المطلب، عن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:

(إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب - الآرب بالكسر: العضو - وجهه وكفاه وركبتاه وقدماه) (أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب الركوع في الصلاة، والإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وأبو داود، والنسائي).

* قال عبد الله بن محمد بن جعفر عن عباس بن مجاشع عن محمد بن أبي يعقوب عن عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - قالت:

إن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:

(الخيل في نواصيها الخير معقودًا إلى يوم القيامة فمن ربطها عدة في سبيل الله وأنفق عليها احتسابًا في سبيل الله فإن شبعها وجوعها وريها وظمأها وإروائها وأبوالها فلاح في ميزانه يوم القيامة، ومن ربطها مرحًا وفرحًا ورياء وسمعة فإن شبعها وجوعها وريها وظمأها وأروائها وأبوالها خسران في ميزانه يوم القيامة) (رواه الإمام أحمد، والعسكري في الأمثال، وأبو نعيم في الحلية عن أسماء بن يزيد).

* قال عبد الله بن محمد بن جعفر عن عباس بن محمد بن مجاشع عن محمد بن يعقوب عن عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم، عن عثمان الخرساني، عن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:

(من صلى العشاء في جماعة فهو كمن قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فهو كمن قام الليل كله) (رواه مسلم، والإمام أحمد، وأبو نعيم في الحلية، عن عثمان).

* قال عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي عن أبي حنيفة محمد بن ماهان عن أحمد بن سالم عن عبد الرحمن بن مهدي عن عثمان الخرساني عن أبيه قال:

سمعت معاذ بن جبل يقول:

سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول:

(فضل العالم على العباد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب) (رواه أبو نعيم في الحلية عن معاذ بن جبل).

* قال أبو بكر بن مالك عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه عن عبد الرحمن بن دي، عن موسى بن علي، عن أبيه، عبد العزيز بن مروان، عن أبي هريرة عن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:

(شر ما في الرجل: شح - بخل - هالع وجبن خالع) (رواه البخاري في التاريخ، وأبو داود، وأبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة).

(جبن خالع): أي شديد كأنه يخلع فؤاده من شدة خوفه.

من أقوال عبد الرحمن بن مهدي:

كان أبو سعيد العنبري يقول:

* لولا أني أكره أن يُعصى الله أن لا يبقى في هذا المصر - البصرة والكوفة - أحد إلا وقع فيَّ واغتابني، فأي شيء أهنأ من

حسنة يجدها الرجل في صحيفته يوم القيامة لم يعملها ولم يعلم بها.

* كنت أماشي عبد الله بن المبارك فأذاكره بالحديث فيقول:

- لا تبرح حتى أكتبه.

* احفظ لا يجوز أن يكون الرجل إمامًا حتى يعلم ما يصح مما لا يصح، وحتى يحتج بكل شيء، وحتى يعلم بمخارج العلم.

* يحرم على الرجل أن يقول في أمر الدين إلا شيئًا سمعه من ثقة - يعني بذلك: أصحاب الرأي -.

* إذا لقيَ الرجل الرجل فوقه في العلم، كان يوم غنيمة، وإذا لقيَّ من هو مثله دراسة وتعلم منه، وإذا لقيَ من هو دونه تواضع له وعلمه، ولا يكون إمامًا في العلم من يحدث بكل ما سمع، ولا يكون إمامًا في العلم من يحدث عن كل واحد، ولا يكون إمامًا في العلم من يحدث بالشاذ من العلم والحفظ والإتقان.

* يحرم على الرجل أن يروي حديثًا في أمر الدين حتى يتقه ويحفظه كالآية من القرآن أو كاسم الرجل.

* سئل أبو سعيد عن رجل محدث ثقة هو؟

فقال عبد الرحمن بن مهدي:

- دعه، لا تزيده ولا تحدثني عنه.

فقيل له:

- لِمَ؟

قال أبو سعيد:

- تولدت أحاديثه - يعني زادت -.

* وَذُكِرَ المحدثون عند أبي سعيد فقال:

- لهذا الأمر قوم.

* العلم كثير والعلماء قليل.

* مسألة حديث أحب إليَّ من أن أستفيد عشرة أحاديث.

* يحرم على الرجل أن يفتي إلا في شيء سمعه من ثقة.

* فتنة الحديث أشد من فتنة المال، وفتنة الولد تشبه فتنته، كم من رجل يظن به الخير قد حملته فتنة الحديث على الكذب.

* من قال: القرآن مخلوق، فلا تصل خلفه، ولا تمش معه في طريق، ولا تناكحه.

عبد الرحمن بن مهدي والقرآن العظيم:

كان أبو سعيد العنبري يقرأ كل ليلة نصف القرآن، وكان يختم في كل ليلتين.

سأل رجل أبا سعيد عن قول الحق جل وعلا:{إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا} [سورة النبأ الآية: ٣٨].

قال عبد الرحمن بن مهدي:

من قال: لا إله إلا الله.

وسئل عبد الرحمن بن مهدي، عن قوله:{ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ } [سورة الإسراء الآية: ٢٠].

قال أبو سعيد:

كلا نرزق في الدنيا البر والفاجر.

وكان عبد الرحمن بن مهدي، إذا قرأ قول السميع العليم:{مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} [سورة الأنعام الآية: ١٦٠].

قال:

لا إله إلا الله.

وسأل رجل أبا سعيد:

ما معنى قوله تعالى:{ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ} [سورة البقرة الآية: ٣].

قال عبد الرحمن بن مهدي.

قال ابن مسعود: ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب، ثم قرأ:{ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ} [سورة البقرة الآية: ٣].

وسئل أبو سعيد، عن قوله:{مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ} [سورة المائدة الآية: ٨٩].

فقال:

قال ابن عباس:

كان الرجل يقوت أهله قوتًا فيه سعة وكان الرجل يقوت أهله قوتًا فيه شدة، فنزلت:{مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ} [سورة المائدة الآية: ٨٩]
وهذا يدل على أن الوسط ما ذكرناه وهو ما كان بين شيئين.

وسأل علي بن المديني أبا سعيد عن القدر، فقال عبد الرحمن بن مهدي:

كل شيء بقدر، والطاعة والمعصية بقدر، وقد أعظم الفرية من قال: إن المعاصي ليست بقدر.

وكان أبو سعيد إذا قرأ:{فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ} [سورة إبراهيم الآية: ٩].

قال ابن مهدي:

عضوا عليها غيظًا.

وقال الشاعر:

لو أن سلمى أبصرت تخددي ::: ودقة في عظم ساقي ويدي
وبُعد أهلي وجفاء عودي ::: عضت من الوجد بأطراف اليد

قالوا عن عبد الرحمن بن مهدي:

* قال علي بن المديني:

كان علم عبد الرحمن بن مهدي في الحديث كالسحر.

* قال نعيم بن حماد لابن مهدي:

- كيف تعرف صحيح الحديث من سقيمه؟

قال عبد الرحمن بن مهدي:

- كما يعرف الطبيب المجنون.

* قال الهناء بن يحيى:

سألت أحمد بن حنبل:

- أيهما أفقه: عبد الرحمن بن مهدي أو يحيى بن سعيد؟

فقال أحمد بن حنبل:

- عبد الرحمن بن مهدي، كأن عبد الرحمن بن مهدي خُلِقَ للحديث.

* قال عبيد الله بن عمر القواريري:

كان عبد الرحمن بن مهدي يعرف حديثه وحديث غيره، وكان يحيى بن سعيد يعرف حديثه.

* جاء عبد الرحمن بن مهدي فجلس في مجلس حماد، ثم قام فقال حماد:

هذا من الذين لو أدركوا أيوب - عليه السلام - لأكرمهم.

* سُئِل حماد عن مسألة فقال:

- أين ابن مهدي؟ مَنْ لِهَذا إلا ابن مهدي؟

فأقبل ابن مهدي فسأله عن ذلك فأجاب، فلما قام عبد الرحمن بن مهدي من عند حماد قال:

- هذا سيد - أو: فتى - البصرة منذ ثلاثين سنة أو نحو هذا.

وفاة عبد الرحمن بن مهدي:

توفى الإمام الرضي، ناقد الآثار، وحافظ الأخبار عبد الرحمن بن مهدي، بالبصرة في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائة من الهجرة.

وهو ابن ثلاث وستين سنة.

* * *

معروف الكرخي

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[١٠]

معروف الكرخي

معروف الكرخي

نسبه:

هو: معروف بن الفيرزان الكرخي.

كنيته:

يكنى: أبا محفوظ.

وهو منسوب إلى: كرخ بغداد.

إسلامه:

يقول أبو صالح عبد الله بن صالح:

كان معروف الكرخي قد ناداه الله عز وجل بالاجتباء - اجتباه: اصطفاه - في حال الصبا.

ويقول عيسى بن الفيرزان الكرخي:

كنت أنا وأخي معروف في الكُتَّاب، وكنَّا نصارى، وكان المعلم يعلم الصبيان: أب، وابن فيصيح أخي معروف:

- أحَدٌ أحَدٌ.

فيضربه المعلم على ذلك ضربًا شديدًا، حتى ضربه يومًا ضربًا عظيمًا، فهرب على وجهه.

فكانت أمي تبكي وتقول:

- لئن ردَّ الله عليَّ ابني معروفًا لأتبعه على أي دين.

فقدم عليها معروف بعد سنين كثيرة فقالت له:

- يا بني: على أي دين أنت؟

قال معروف:

- على دين الإسلام.

قالت أمي:

- **أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.**

فأسلمت أمي وأسلمنا كلنا.

وقيل:

قال عيسى أخو معروف الكرخي:

كنت أنا وأخي معروف في المكتب حين كنَّا نصارى، فكان المعلم يعلمنا فيقول:

بسم الأب والابن وروح القدس.

فيقول معروف:

- أَحَدٌ أَحَدٌ.

فيضربه المعلم ضربًا شديدًا، فلما طال ذلك هام على وجهه.

وكانت أمه تقول:

- لئن رد الله عليَّ ولدي لاتبعته على أي دين كان عليه.

فبعد سنين.. قدم علينا، فقالت له أمه:

- على أي دين أنت يا ولدي؟

قال معروف:

- على دين الإسلام.

فأسلمت أمي ثم أسلمنا كلنا.

وقيل:

كان أبواه نصرانيين، فأسلماه إلى مؤدبهم وهو صبي، فكان المؤدب يقول له:

قل: ثالث ثلاثة.
فيقول معروف:
- بل هو أحَدٌ أحَدٌ.
فضربه المؤدب على ذلك ضربًا مبرحًا فهرب منه.
وكان أبواه يقولان:
- ليته يرجع إلينا على أي دين شاء فنوافقه عليه.
ثم إنه أسلم على يد عليّ بن موسى الرضا.
ورجع إلى أبويه فدق الباب فقيل له:
- مَنْ بالباب؟
فقال:
- معروف.
فقيل له:
- على أي دين؟
فقال:
- على الإسلام؟
فأسلم أبواه.

الضيف:

قال ابن أخت معروف:
قلت لخالي معروف يومًا:
- يا خال أراك تجيب كل من دعاك.
قال معروف الكرخي:
- يا بني إنَّما خالك ضيف ينزل حيث ينزل.

وقيل:

قيل لمعروف الكرخي:

- كل من دعاك تمر إليه؟

قال أبو محفوظ:

- أنا ضيف أنزل حيث أنزلوني.

سر الله أفشيته:

قال محمد بن منصور الطوسي:

كنا عند معروف الكرخي وجاءت امرأة سائلة فقالت:

- أعطوني شيئًا أفطر عليه فإني صائمة.

فدعاها معروف الكرخي وقال لها:

- يا أختي سر الله أفشيته وتأملين أن تعيشي إلى الليل؟

ورع العارفين:

دخل رجل على أبي محفوظ في ليلة شديدة البرد، فوجده يلبس قميصًا واحدًا وجسده يرتعد من البرد فقال له:

- يا أبا محفوظ لماذا ترتعد من البرد وعندك من الثياب ما يدفئ جسمك؟

فقال معروف الكرخي:

- تذكرت حال الفقراء، وليس عندي من الثياب ما أتصدق به، فلم أجد أقل من أن أشاركهم قسوة البرد.

طول الأمل يمنع خير العمل:

قال السري بن سفيان - يوسف - الأنصاري:

أقام معروف الصلاة، ثم قال لمحمد بن أبي توبة:

- تقدم فصلِّ بنا - وذلك أن معروفًا كان لا يؤم إنَّما يؤذن ويقيم الصلاة ويقدم غيره -.

قال محمد بن أبي توبة:

- إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصلِّ بكم صلاة أخرى.

قال أبو محفوظ:

وأنت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى؟ نعوذ بالله من طول الأمل، طول الأمل يمنع خير العمل.

صاحب المقثأة:

ذات يوم، كان معروف الكرخي سائحًا في البادية، فرأى شابًا حسن الوجه له ذؤبتان حسنتان، وعلى رأسه رداء قصب وعليه قميص كتان، وفي رجله نعل طاق - نوع من النعال - فتعجب منه في مثل ذلك المكان ومن زيه فقال:

- السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فقال الشاب:

- وعليك السلام ورحمة الله يا عم.

فقال أبو محفوظ:

- الفتى من أين؟

قال الفتى:

- من مدينة دمشق.

فقال معروف الكرخي:

- ومتى خرجت منها؟

قال الفتى:

- ضحوة النهار.

فتعجب معروف الكرخي فقد كان بينه وبين الموضع الذي رأى فيه الشاب مراحل كثيرة.

فعاد يتساءل:

- وأين المقصد؟

قال الشاب:

- مكة.

فعلم أبو محفوظ أن الشاب محمول، فودعه ومضى ولم يره.

وانصرمت ثلاث سنين، وذات يوم بينما كان معروف الكرخي جالسًا في منزله يتفكر في أمر ذلك الشاب وما كان منه؛ إذ بإنسان يدق الباب، فخرج أبو محفوظ ليرى الطارق، فإذا هو بصاحبه الشاب، فسلم عليه وقال له:

- مرحبًا وأهلاً.

وأدخله المنزل، فرآه منقطعًا والهًا قلقًا عليه زرمانقة - الزرمانقة: بضم الزاي وسكون الراء: جبة من صوف، والكلمة معربة - حافيًا حاسرًا.

قال له أبو محفوظ:

- هيه! أي شيء الخبر؟

فقال الشاب:

- يا أستاذ: لاَطَفَنِي حتى أدخلني الشبكة ورماني، فمرة يلاطفني ومرة يهددني، ويجيعني مرة ويكرمني أخرى، فليته وقفني على

بعض أسرار أوليائه ثم ليفعل بي ما شاء.

فأبكى كلام الشاب معروف الكرخي.

ثم قال أبو محفوظ:

- حدثني ببعض ما جرى عليك منذ فارقتني.

فتنهد الشاب، وقال:

- هيهات ما أن أبديه وهو يريد أن يخفيه؟ ولكن بديا - البدىء: العجيب البديع - ما فعل، في طريقي إليك مولاي وسيدي.

ثم استفرغه البكاء - بكى كثيرًا حتى نفد دمعه -.

فتساءل معروف الكرخي:

- وما فعل بك؟

قال الفتى:

- جوعني ثلاثين يومًا ثم جئت إلى قرية فيها مقثأة - موضع القثاء ومنبته - قد نبذ منها المدود - القثاء الذي أصابه الدود - وطرح، فقعدت آكل منه، فبصر بي صاحب المقثأة، فأقبل إليَّ يضرب ظهري وبطني ويقول:

- يا لص، ما خرب مقثأتي غيرك، منذ كم أنا أرصدك حتى وقعت عليك؟

فبينما هو يضربني؛ إذ أقبل فارس نحوه مسرعًا إليه وقلب السوط وضربه على رأسه، وقال:

- تعمد إلى ولي من أولياء الله عز وجل فتقول له: يا لص؟

فأخذ صاحب المقثأة بيدي وذهب بي إلى منزله فما أبقى من الكرامة شيئًا إلا عمله واستحلني - طلب مني أن أعفو عنه - وجعل

مقتأته لله عز وجل ولأصحاب معروف الكرخي.

فقال الشاب:

- صف لي معروفًا؟

فوصف صاحب المقتأة لي، فعرفتك بما كنت شاهدته من صفتك.

يقول معروف الكرخي:

فما استتم كلامه حتى دق الباب.

فإذا بصاحب المقتأة، فدخل، وكان موسرًا فأخرج جميع ماله وأنفقه على الفقراء.

فأخذ صاحب المقتأة الشاب وخرجا إلى الحج، فماتا بالربذة - قرية من قرى مدينة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) على ثلاثة أيام منها -.

أوصني:

قال رجل لمعروف الكرخي:

- يا أبا محفوظ: أوصني.

قال معروف الكرخي:

توكّل على الله حتى يكون جليسك وأنيسك وموضع شكواك.

وأكثر من ذكر الموت حتى لا يكون لك جليس غيره.

واعلم أن الشفاء لما نزل بك كتمانه.

وإن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك، ولا يعطونك، ولا يمنعونك.

ادع عليهم:

ذات ضحى، كان معروف الكرخي جالسًا على شاطئ دجلة ببغداد؛ إذ مرَّ به أحداث - صبيان - في زورق يضربون الملاهي

ويشربون فقال له إبراهيم الأطرش:
- أما ترى أن هؤلاء في الماء يعصون الله، ادع عليهم.
فرفع أبو محفوظ يديه إلى السماء وقال:
إلـهي وسيدي: أسألك أن تفرحهم في الجنة كما فرحتهم في الدنيا.
فقال أصحابه:
- إنَّما قلنا لك ادع عليهم لم نقل لك ادع الله لهم.
فقال معروف الكرخي:
- إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا ولم يضركم بشيء.

ما مشيت قط على الماء:

ذا يوم كان ابن شيرويه جالسًا مع أبي محفوظ وجماعة من أصحابه، فلما انصرف أصحاب معروف الكرخي وخلا وجهه قال به ابن شيرويه:
- يا أبا محفوظ بلغني أنك تمشي على الماء.
فقال معروف الكرخي:
- ما مشيت قط على الماء، ولكن إذا هممت بالعبور يجمع لي طرفاها - شاطئاها - فأتخطاها.

أثر شجة:

يقول محمد بن منصور:
مضيت يومًا إلى معروف الكرخي، ثم عدت إليه من غد، فرأيت في وجهه أثر شجة - جرح - فهبت أن أسأله عنها.
وكان عند أبي محفوظ رجلٌ أجرأ عليه من محمد بن منصور،

فقال له الرجل:

- يا أبا محفوظ كنا عندك البارحة فلم نر في وجهك هذا الأثر - هذه الشجة -.

فقال معروف الكرخي:

- خذ فيما تنفع به - دعك من حالك -.

فقال الرجل:

- أسألك بحق الله.

فانتفض معروف الكرخي ثم قال له:

- وما حاجتك إلى هذا؟

مضيت البارحة إلى البيت الحرام، ثم صرت إلى زمزم فشربت منها فزلت رجلي فنطح وجهي الباب فهذا الذي ترى من ذلك.

دعوة مستجابة:

قال خليل الصياد:

غاب ابني محمد فجزعت أمه عليه جزعًا شديدًا، فأتيت معروف الكرخي فقلت له:

- يا أبا محفوظ:

فقال معروف الكرخي:

- ما تشاء؟

قال خليل الصياد:

- ابني محمد غاب، فوجدت - حزنت وجزعت - أمه عليه جزعًا شديدًا، فادع الله أن يرده عليها.

فقال أبو محفوظ:

- اللهم إن السماء سماؤك، والأرض أرضك، وما بينهما لك، فأت به.

يقول خليل الصياد:

فأتيت باب الشام، فإذا ابني محمد قائم منبهر فقلت له:

- محمد؟

قال:

- يا أبت: كنت الساعة بالأنبار.

موعظة ابن سماك:

يقول أبو محفوظ:

كنت مارًا بالكوفة، فوقف على رجل يقال له: محمد بن صبيح بن سماك، وهو يعظ الناس فقال في خلال كلامه:

من أعرض عن الله بكليته أعرض الله عنه جملة، ومن أقبل على الله بقلبه أقبل الله تعالى عليه برحمته عليه، وأقبل بوجوه الخلق إليه، ومن كان مرة ومرة فالله تعالى يرحمه وقتًا ما.

فوقع كلامه في قلبي، وأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا.

يقول معروف الكرخي:

فذكرت هذا الكلام لمولاي علي بن موسى فقال:

- يكفيك هذا موعظة إن اتعظت.

لعلي لا أعيش حتى أبلغه:

خرج معروف الكرخي يومًا ليصلي الظهر فجلس أبو محفوظ على شط نهر دجلة، فتيمم فقيل له:

- يا أبا محفوظ: الماء قريب منك.

قال معروف الكرخي:

- لعَلّي لا أعيش حتى أبلغه.

معروف في أهل الأرض معروف في أهل السماء:

مرَّ معروف الكرخي بطريق ملقى عليه خشبة فمشى عليها.

فقيل له:

- ما أردت بذلك؟

قال أبو محفوظ:

- مشيت عليها لئلا يخرج صاحبها.

وجاء رجل من الشام إلى معروف الكرخي يسلم عليه وقال له:

- إني رأيت في المنام يُقال لي:

اذهب إلى معروف فسلم عليه فإنه معروف في أهل الأرض، معروف في أهل السماء.

اذكر القطن إذا وضعوه على عينيك:

ذات ضحى كان معروف الكرخي يحدّث أصحابه، فسمع رجلاً يغتاب رجلاً، فجعل أبو محفوظ يقول له:

- اذكر القطن إذا وضعوه على عينيك، اذكر القطن إذا وضعوه على عينيك.

القميص:

كان معروف الكرخي في طريقه إلى داره عندما رأى محمد بن منصور الطوسي ومعه ثوب له فسأله:

- يا محمد: ما تصنع بهذا؟

قال محمد بن منصور الطوسي:

- أقطعه قميصًا.

قال أبو محفوظ:

- اقطعه قصيرًا تربح فيه ثلاث خصال:

أولها: اللحوق بالسنَّة، والثاني يكون ثوبك نظيفًا، والثالث: تربح خرقة.

لعل الله أن يستجيب له:

ذات يوم كان معروف الكرخي صائمًا، فمرَّ على سقَّاء يسقي الماء وهو يقول:

- رحم الله من شرب.

فشرب أبو محفوظ وقال لنفسه:

- لعل الله أن يستجيب.

وقيل:

مرَّ معروف الكرخي بسقاء يقول:

- رحم الله من شرب.

فتقدم أبو محفوظ الكرخي فشرب.

فقيل له:

- أما كانت صائمًا؟

قال معروف الكرخي:

- بلى ولكني رجوت دعاءه.

اليتيم:

تبدل الحال وصار سري رجلاً موسرًا بعد أن كان فقيرًا معدمًا، فتطلعت إليه العيون متسائلة.

فقال سري:

- هذا الذي أنا فيه من بركات معروف الكرخي.

انصرفت من صلاة العيد، فرأيت مع معروف صبيًا شعثًا فقلت له:

- من هذا؟

قال أبو محفوظ:

رأيت الصبيان يلعبون وهذا واقف منكسر فسألته:

- لِمَ لا تعلب؟

قال الصبي:

- أنا يتيم.

فقال سري لمعروف الكرخي:

- فما ترى أنك تعمل به؟

قال أبو محفوظ:

- لعلي أخلو فأجمع له نوى يشترى به جوزًا يفرح به.

فقال له سري:

- أعطينه أغير من حاله.

فقال له معروف الكرخي:

- أو تفعل؟

قال سري:

- نعم.

فقال له محفوظ وهو يدفع إليه الصبي اليتيم:

- خذه أغنى الله قلبك.

يقول سري:

فساوت الدنيا - أي: عادلت - عندي أقل من كذا.

أنت تعمل وأنا لا أعمل:

ذات يوم كان حجَّام يأخذ من شارب معروف الكرخي، وكان أبو محفوظ يُسبِّح فقال له الحجام:

- لا يتهيأ أخذ الشارب وأنت تسبِّح.

فقال معروف الكرخي:

- أنت تعمل وأنا لا أعمل.

جاء الغلام:

ذات ضحى أرسل مردويه الصائغ إلى أبي محمد الضرير جاره، فأتاه فقال أبو بكر لأبي محمد الضرير:

- إن ابني قد غاب عنا منذ أيام، وقد ضيقوا على النساء لما يبكين، فاغد بنا إلى معروف.

فغدا إلي أبي محفوظ فوجداه في المسجد فسلَّما عليه.

فقال معروف الكرخي لمردويه الصائغ:

- ما الذي جاء بك يا أبا بكر؟

قال مردويه الصائغ:

- إن ابني قد غاب عنا منذ أيام وقد ضيقوا على النساء لما يبكين.

فقال معروف الكرخي:

- يا عالمًا بكل شيء، ويا من لا يخفى عليه شيء، ويا من علمه محيط بكل شيء أوضح لنا من أمر ذا الغلام.

قالها ثلاث مرات.

ثم انصرف أبو محمد الضرير ومردويه الصائغ.

يقول أبو محمد الضرير:

فلما أن أصبحت قبل صلاة الفجر؛ إذ رسول مردويه قد جاءني فقلت:

- إيش الخبر؟

فقال رسول مردويه:

- جاء الغلام.

فانطلق أبو محمد الضرير إلى جاره مردويه، فإذا الغلام قاعد بين يدي والده.

فقال مردويه لأبي محمد الضرير وهو يشير نحو الغلام:

- اسمع العجب.

فقال الغلام:

كنت أمشي بالكوفة، فأتاني نفسان فأخذا بيدي فأخرجاني من الكوفة وقالا لي:

- امض إلى بيتكم.

فلم أقعد ولم آكل ولم أشرب، ومررت ببئر تسع، فأطعموني فإني ما أكلت شيئًا حتى جئتكم.

أنفق هذه الصرة في الأمر الذي ذكرت له:

ولد لأبي الحجاج المقري مولود، وكان بيته خاليًا، فقال له أخوه:

- ادع الله.

فجعل أبو الحجاج المقري يدعو وأخوه يؤمّن، وأخوه يدعو وأبو الحجاج يؤمّن، فلما طال على أبي الحجاج المقري قام، فانسلَّ من بيته فإذا راكب ينادي من خلفه:

- يا هذا؟

فالتفت أبو الحجاج المقري، فإذا مع الراكب صرة وقال له وهو يقدمها إليه:

- يقول لك أبو محفوظ: أنفق هذه الصرة في الأمر الذي ذكرت له.

يقول أبو الحجاج المقري:

فإذا هي مائة دينار أو نحوه.

الوليمة:

ذات ليلة دعا معروفًا الكرخي أخًا من إخوانه إلى وليمة، وكان قدامه بعض السياح، فأخذ أبو محفوظ بيده، فلما رأى السائح تلك الألوان من الطعام أنكرها وقال:

- يا أبا محفوظ: أما ترى ما هاهنا؟

قال معروف الكرخي:

- ما أمرتهم بشواء.

فلما رأى السائح الحلواء قال:

- سبحان الله! يا أبا محفوظ أما ترى ما هاهنا؟

قال أبو محفوظ:

- ما أمرتهم بصنعة.

فلما رأى القصور والملاحات من الحلواء قال:

- أما ترى أصحابنا؟

الحبر:

سأل ابن عيينة نفرًا من أهل بغداد:

- من أين أنتم؟

قالوا:

- من أهل بغداد.

قال ابن عيينة:

- فما فعل ذلك الحبر؟

فتساءلوا:

- مَنْ؟

قال ابن عيينة:

- معروف.

قالوا:

- معروف الكرخي؟

قال ابن عيينة:

- مَنْ غيره؟ لا يزالون - أهل بغداد - بخير ما دام فيكم.

عندما يؤذن معروف الكرخي:

يقول أبو بكر بن أبي طالب:

دخلت مسجد معروف - وكان في منزله - فخرج إلينا ونحن

جماعة فقال:

- السلام عليكم ورحمة الله.

فرددنا:

- عليك السلام.

فقال أبو محفوظ:

- حياكم الله بالسلام، ونعمنا وإياكم في الدنيا بالأحزان.

ثم أذن.

فلما أخذ معروف الكرخي في الأذان اضطرب وارتعد حين قال:

أشهد أن لا إله إلا الله.

فقام شعر حاجبيه ولحيته حتى خفت أن لا يتم أذانه.

وانحنى معروف الكرخي حتى كاد أن يسقط.

يقول يحيى ابن جعفر:

رأيت معروف الكرخي يؤذن فلما قال:

أشهد أن لا إله إلا الله.

رأيت شعر لحيته وصدغيه قائمًا كأنه زرع.

قلوب المشتاقين

قال معروف الكرخي:

أوحى الله عز وجل إلى داود - عليه السلام -:

بلغ أهل الأرض عني أني حبيب من أحبَّنِي، وجليس لمن جالسني، وأنيس لمن أنس بي، مصاحب لمن صاحبني، ومختار من اختارني، ومطيع لمن أطاعني، فإني خلقت طينة

أحبابي من طينة إبراهيم وموسى ومحمد (صلي الله عليه وسلم)، ونورت قلوب المشتاقين من نوري، ونعمتها بجلالي.

من أقوال معروف الكرخي:

قال معروف الكرخي:

* من بلغ أهل الخير وأعانهم عليه أصلحنا وأعاننا عليه.

* وقال معروف الكرخي لرجل:

توكّل على الله حتى يكون معلمك وأنيسك وموضع شكواك.

وليكن ذكر الموت جليسك لا يفارقك.

واعلم أن الشفاء من كل بلاء نزل بك كتمانه، فإن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك ولا يمنعونك ولا يعطونك.

* إنَّما الدنيا قدر يغلى وكنيف - مرحاض - يرمي.

* إذا أراد الله بعبد شرًا أغلق عليه باب العمل - العمل الصالح - وفتح عليه باب الجدل.

* كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله تعالى.

* وكان أبو محفوظ يقول عند ذكر السلطان:

اللهم لا ترنا وجه من لا تحب النظر إليه.

* وسُئِلَ معروف الكرخي عن حقيقة الوفاء فقال:

إفاقة السر عن رقدة الغفلات، وفراغ الهمَّ عن فضول الآفات.

* طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق.

* وسُئِلَ أبو محفوظ:

- بم نخرج الدنيا من القلب؟

قال معروف الكرخي:

- بصفاء الود، وحُسْن المعاملة.

وللصفاء علامات ثلاث: وفاء بلا خوف، وعطاء بلا سؤال ومدح بلا جود.

وعلامة الأولياء ثلاثة: همومهم لله، وشغلهم فيه، وفرارهم إليه.

* ليس للعارف نعمة وهو في كل نعمة.

وكان معروف الكرخي كثيرًا ما يعاتب نفسه ويقول:

يا مسكين: كم تبكي وتندب؟ اخلص وتخلَّص.

* السخاء إيثار ما يحتاج إليه عند الإعسار.

* قال رجل لأبي محفوظ:

ما شكرت معروفي.

فقال معروف الكرخي:

كان معروفك من غير محتسب، فوقع عند غير شاكر.

* من عمل للثواب فهو من التجار، ومن عمل خوفًا من النار فهو من العبيد، ومن عمل لله فهو من الأحرار.

* وسأل سري أبا محفوظ، عن الطائعين لله بأي شيء قدروه على الطاعة لله عز وجل؟

فقال معروف الكرخي:

بخروج الدنيا من قلوبهم، ولو كانت في قلوبهم ما صحت لهم سجدة.

* وجاء قوم إلى معروف الكرخي فأطالوا عنده الجلوس، فقال:

أما ترون أن تقوموا وملك الشمس ليس يفتر عن سوقها؟

* يقول القاسم بن محمد البغدادي:

كنت جار معروف الكرخي فسمعته في السحر ينوح ويبكي وينشد:

أي شيء تريد مني الذنوب ::: شغفت بي فليس عني تغيب
ما يضر الذنوب لو أعتقني ::: رحمة لي؟ فقد علاني المشيب

من دعاء معروف الكرخي:

كان أبو محفوظ يدعو فيقول:

اللهم إني أعوذ بك من طول الأمل، فإن طول الأمل يمنع خير العمل.

ولا تجعلنا بين الناس مغرورين.

ولا بالستر مفتونين.

اجعلنا ممن يؤمن بلقائك ويرضى بقضائك.

ويخشاك حق خشيتك.

وكان يقول:

من قال في كل يوم عشر مرات:

اللهم أصلح أمة محمد.

اللهم فرج عن أمة محمد.

اللهم ارحم أمة محمد.

كتب من الأبدال.

وقال معروف الكرخي:

ودَّعَ رجلٌ البيتَ - البيت الحرام - فقال:

اللهم لك الحمد عدد عفوك عن خلقك.

ثم رجع من قابل فقالها فسمع صوتًا:

ما أحصينا منذ قلتها عام أول.

ويقول أبو محفوظ:

من قال حين يتعارى من فراشه:

سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، وأستغفر الله.

اللهم إني أسألك من فضلك ورحمتك، فإنهما بيدك لا يملكهما أحد سواك.

إلا قال الله عز وجل لجبريل - عليه السلام - وهو ملك موكل بقضاء حوائج العباد -:

- يا جبريل، اقض حاجة عبدي.

معروف الكرخي وأحاديث الصادق المصدوق (صلي الله عليه وسلم) **:**

على الرغم من أن أبا محفوظ الكرخي كان على علم كثير، إلا أنه شغلته الوعاية عن الرواية، إلا أنه أسند عن بكر بن خنيس، وعبد الله بن موسى، وابن سماك.

ومن مسانيد حديثه:

* قال معروف الكرخي، عن بكر بن خنيس، عن ضرار بن عمرو، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال:

إن رجلاً أتى النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال:

دلني على عمل يدخلني الجنة.

فقال (صلي الله عليه وسلم) :

(لا تغضب) (رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، والترمذي كتاب البر والصلة، والحاكم في المستدرك، والإمام أحمد في مسند).

قال الرجل:

- فإن لن أطق ذلك يا رسول الله؟

قال عليه الصلاة والسلام:

(تستغفر الله كل يوم بعد صلاة العصر سبعين مرة يغفر لك ذنوب سبعين عامًا).

فقال الرجل:

- فإن مت قبل سبعين عامًا؟

قال عليه الصلاة والسلام:

(يغفر لأمك).

قال الرجل:

وإن ماتت أمي ولم يأت على ذنوب سبعين عامًا؟

قال (صلي الله عليه وسلم) :

(يغفر لأقاربك) (رواه أبو نعيم في الحلية، عن أنس بن مالك).

* وقال معروف الكرخي، عن عبد الله بن موسى، عن يحيى بن أبي كثير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة قالت:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء، وأدناه أن تحب على شيء من الجوار، وتبغض على شيء من العدل، وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله؟)

قـال تعـالى:{ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ } [سـورة آل عمـران الآية: ٣١]. (رواه الحكيم، والحاكم في المستدرك، وأبو نعيم في الحلية، عن عائشة).

وفاة معروف الكرخي:

دخل رجل على معروف الكرخي في مرضه الذي مات فيه فقال له:

- يا أبا محفوظ: أخبرني عن صومك؟

قال معروف الكرخي:

- كان عيسى - عليه السلام - يصوم كذا.

قال الرجل:

- أخبرني عن صومك؟

قال أبو محفوظ:

- كان دواد - عليه السلام - يصوم كذا.

قال الرجل:

- يا أبا محفوظ، أخبرني عن صومك؟

قال معروف الكرخي:

- كان النبي (صلي الله عليه وسلم) يصوم كذا؟

قال الرجل:

- أخبرني عن صومك؟

قال أبو محفوظ:

- أما فكنت أصبح كله صائمًا فإن دعيت إلى الطعام أكلت ولم أقل إني صائم.

فقالوا:

- أوص.

فقال معروف الكرخي:

- إذا مِتُّ فتصدقوا بقميصي هذا، فإني أحب أن أخرج من الدنيا عريانًا كما دخلت إليها عريانًا.

وتوفى معروف الكرخي سنة مائتين فدُفِنَ ببغداد.

وقيل:

إحدى ومائتين.

وقيل:

أربع ومائتين.

رأينا معروفًا الكرخي في المنام:

* قال أبو بكر الخياط:

رأيت كأني دخلت المقابر فإذا أهل القبور جلوس على قبورهم، بين أيديهم الريحان، وإذا أنا بمعروف أبي محفوظ قائمًا فيما بينهم، يذهب ويجيء فقلت:

- أبا محفوظ، ما صنع بك ربك؟ أو ليس قد مت؟

قال معروف الكرخي:

- بلى:

ثم أنشأ يقول:

موت التقى حياة لا نفاد لها ::: قد مات قوم وهم في الناس أحياء

* وقال عبد الله بن سعيد الأنصاري:

رأيت معروفًا الكرخي في المنام كأنه تحت العرش فيقول الله عز وجل:

- ملائكتي: من هذا؟

فقالت الملائكة:

- أنت أعلم هذا معروف الكرخي، وقد سكر من حبك لا يفيق إلا بلقائك.

* وقال أحمد بن الفتح:

رأيت بشر بن الحارث - الحافي، وكان يكنى: أبا نصر - في منامي وهو قاعد في بستان وبين يديه مائدة وهو يأكل منها فقلت:

- يا أبا نصر: ما فعل الله بك؟

قال بشر بن الحارث:

غفر لي ورحمني وأباحني الجنة بأسرها، وقال لي: كُلْ من جميع ثمارها واشرب من أنهارها وتمتع بجميع ما فيها كما كنت تحرم نفسك الشهوات في دار الدنيا.

فقلت:

- فأين أخوك أحمد بن حنبل؟

قال أبو نصر:

- هو قائم على باب الجنة يشفع لأهل السنة ممن يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق.

فقلت له:

- فما فعل معروف الكرخي؟

فحرك رأسه ثم قال لي:

- هيهات، حالت بيننا وبينه الحجب، إن معروفًا لم يعبد الله شوقًا إلى جنته ولا خوفًا من ناره، وإنَّما عبده شوقًا إليه فرفعه الله إلى الرفيق الأعلى ورفع الحجب بينه وبين ذاك

الترياق المقدس المجرب.

* يقول محمد بن الحسين:

سمعت أبي يقول: رأيت معروفًا الكرخي في النوم بعد موته فقلت له:

- ما فعل الله بك؟

قال:

- غفر لي.

فقلت:

- بزهدك وورعك؟

فقال:

- لا بل بقول موعظة ابن سماك ولزومي الفقر، ومحبتي الفقراء.

رحم الله معروفًا الكرخي الملهوف إلى المعروف، عن الفاني مصروف، وبالباقي مشغوب، وبالتحف محفوف، وللطف مألوف، الكرخي أبو محفوظ معروف.

* * *

شعبة بن الحجاج

مواقف ومواعظ

من حياة التابعين

[١١]

شعبة بن الحجاج

شعبة بن الحجاج

أمير المؤمنين في الحديث

نسبه:

هو: شعبة بن الحجاج بن ورد الأزدي.

كنيته:

يكنى: أبا بسطام الواسطي.

مولى للأشاقر عتاقة.

كان ثقة مأمونًا ثبتًا صاحب حديث حتى لُقّبَ بأمير المؤمنين في الحديث.

رأى أبو بسطام الحسن البصري ومحمد بن سيرين.

روى عنه: أمم من التابعين. وحدَّث عنه: خلق من مشايخه وأقرانه وأئمة الإسلام.

فهو شيخ المحدِّثين الملقَّب فيهم بـ " بأمير المؤمنين ".

القميص:

ذات يوم لقيَّ شعبة بن الحجاج أبا نوح يرتدي قميصًا فسأله:

- بكم اشتريت هذا؟

قال أبو نوح:

- بثمانية دراهم.

قال أبو بسطام:

- ويحك أما تتقي الله؟ تلبس قميصًا بثمانية دراهم؟ ألا اشتريت قميصًا بأربعة وتصدقت بأربعة كان خيرًا لك؟

قال أبو نوح:

- يا أبا بسطام: أنا مع قوم نتجمل لهم.

فقال شعبة بن الحجاج:

- إيش نتجمل لهم؟

الحمار:

ركب شعبة بن الحجاج يومًا حمارًا له فلقيه سليمان بن المغيرة فشكى إليه الفقر والحاجة.

فقال له شعبة بن الحجاج:

- والله لا أملك إلا هذا الحمار.

ثم نزل عنه ودفعه إليه، فابتيع بستة عشر درهمًا.

اذهب فاسمع منها:

ذات ضحى رجع أبو بسطام إلى داره فقالت له أمه:

- هاهنا امرأة تحدث عن عائشة فاذهب فاسمع منها.

فانطلق شعبة بن الحجاج إليها فسمع منها ثم قال لأمه:

- قد سمعت منها.

قالت الأم:

- لا يسألك الله.

ادفعوا إليه أخاه:

قدم شعبة بن الحجاج بغداد مرتين، كان قدومه إحدى المرتين بسبب أخ له كان قد حبس في دين كان عليه، فجاء إلى أمير المؤمنين المهدي في شأن أخيه.

فقال سفيان الثوري:

- هو ذا شعبة قد جاء إليهم.

فبلغ شعبة بن الحجاج فقال:

- هو لم يُحْبَسْ أخوه.

وكان أخوه اشترى طعامًا من طعام السلطان، فخسر هو وشركاؤه، فحبس بستة آلاف دينار بحصته، فلما دخل شعبة بن الحجاج على أمير المؤمنين المهدي قال له:

يا أمير المؤمنين: أنشدني قتادة لأمية بن الصلت بقول لعبد الله بن جُدعان:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ::: حياؤك إن شيمتك الحياء
كريم لا يعطله صباح ::: عن الخلق الكريم ولا مساء
فأرض أرض مكرمة بنوها ::: بنو تميم وأنت لهم سماء

فقال أمير المؤمنين المهدي:

- لا يا أبا بسطام: لا تذكرها - حاجتك وهي فك حبس أخيك - قد عرفناها وقضيناها لك.

ثم نظر إلى من حوله وقال:

- ادفعوا إليه أخاه ولا تلزموه شيئًا.

ووهب لأبي بسطام ثلاثين ألف درهم.

فقسَّمها.

لو صح هذا الحديث كان أحب إليَّ من . . . . :

ذات يوم سمع أبو بسطام نصر بن حماد البجلي يحدّث عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر قال:

كنا نتناوب رعية الإبل فتوضأت، ثم جئت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وإذا أصحابه حوله، فدنوت منه فسمعته يقول:

(من توضأ ثم دخل المسجد فصلى ركعتين، غفر الله له ما تقدم من ذنبه).

فقلت:

- بخ بخ.

وذكر الحديث.

فلطم شعبة بن الحجاج نصر بن حماد فتنحى في ناحية يبكي فتساءل أبو بسطام:

- ما له يبكي؟

قال ابن إدريس:

- إنك أسأت إليه.

فقال شعبة بن الحجاج:

- انظر ما يحدِّث عن إسرائيل عن أبي إسحاق أنا قلت لأبي إسحاق: من حدَّثك بهذا الحديث؟

فقال: حدَّثني عبد الله بن عطاء عن عقبة.

فقلت: سمع عبد الله بن عطاء من عقبة ومسعر حاضر؟

فقال مسعر: عبد الله بن عطاء بمكة، فرحلت إليه ولم أرد الحج أردت الحديث، فسألت عبد الله بن عطاء عن الحديث.

فقال: سعد بن إبراهيم حدَّثني.

فقال مالك بن أنس: سعد بالمدينة لم يحج العام، فرحلت إلى المدينة فسألت عنه سعدًا فقال:

- الحديث من عندكم، زياد بن مخاريق حدَّثني.

فقلت:

- أي شيء هذا الحديث؟ بينما هو كوفي إذا صار مكيًا، إذا صار مدنيًا، إذ صار بصريًا؟

فأتيت البصرة فسألت زياد بن مخراق، فقال:

- ليس الحديث من بابتك.

فقلت:

- لا بد أن تخبرني به.

فقال زياد بن مخراق:

- حدَّثني شهر بن حوشب عن أبي ريحانة عن عقبة بن عامر.

قال شعبة بن الحجاج:

- والله لو صح لي هذا الحديث عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كان أحب إليَّ من أهلي ومالي ومن الناس أجمعين.

ما لي صديق يُقال له أنا:

قدم عليٌّ بن عاصم الواسطي البصرة، فأتى منزل شعبة بن الحجاج، فدقَّ عليه الباب.

فقال أبو بسطام:

- من هذا؟

قال عليٌّ بن عاصم الواسطي:

- أنا.

قال شعبة بن الحجاج:

- يا هذا ما لي صديق يُقال له: أنا.

ثم خرج أبو بسطام وفتح الباب وقال لعليّ بن عاصم:

- حدَّثني محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال:

أتيت النبي (صلي الله عليه وسلم) في حاجة فطرقت عليه الباب فقال:

-(من هذا؟).

فقلت:

- أنا.

فقال عليه الصلاة والسلام:

-(أنا... أنا).

كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، كَرِهَ قولي هذا (ذكره الخطيب البغدادي في جامعه).

من أقوال شعبة بن الحجاج:

كان أبو بسطام يقول:

* اعلموا يا قوم أنكم كلما تقدمتم في الحديث تأخرتم من القرآن.

وربما ضرب بيديه رأسه وهو يقول:

* خاك بسر شعبة - يعني التراب على رأس شعبة -.

* لولا حوائج لي إليكم ما جلست معكم.

وكانت حوائجه: أن يسأل لجيرانه الفقراء.

* اختلفت إلى عمرو بن دينار خمسمائة مرة، وما سمعت منه إلا مائة حديث، في كل خمسة مجالس حديثًا.

* ما سمعت من رجل عدد حديث إلا اختلفت إليه أكثر من عدد ما سمعت منه الحديث.

* سأل أبو الوليد أبا بسطام عن حديث.

فقال شعبة بن الحجاج:

- والله لأحدثنَّك به ولم أسمعه إلا مرة.

* قال ابن عيينة:

لقيت شعبة في يوم مطير على حمار أبتر - مقطوع الذنب، أي: الذيل -، فقلت له:

- إلى أين؟

قال أبو بسطام:

- أذهب إلى الأسود بن قيس فقد حدَّثنا عام كذا بأحاديث أبصر بحفظها العام.

* لقي أبو بسطام أبا إسحاق، فقال له حديث الصحابي الجليل عقبة بن عامر الجهني:

-(كنا نتناول الرعية).

فسأله شعبة بن الحجاج:

- ممن سمعته؟

قال أبو إسحاق:

من عبد الله بن عطاء.

فأتى أبو بسطام، عبد الله بن عطاء فقال له:

- ممن سمعته؟

قال عبد الله بن عطاء:

- من زياد بن مخراق.

فأتى شعبة بن الحجاج زياد بن مخراق فسأله:

- ممن سمعته؟

قال زياد بن مخراق:

- من شهر بن حوشب.

* قال شعبة بن الحجاج:

- كل حديث ليس فيه حدثنا وأخبرنا فهو خل وبقل، وإذا كان في الحديث حدثني وسمعت فهو دست بدست.

* رؤي شعبة بن الحجاج متقنعًا في شدة الحر فقيل له:

- إلى أين يا أبا بسطام؟

قال:

- أستعدي على رجل يكذب على رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

* قال أبو بسطام:

- لأن أزني أحب إليَّ من أروي - أقول - قال فلان ولم أسمع منه -.

* لا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يطلب الإسناد.

* كان شعبة بن الحجاج يأتي عمران بن جدير فيقول:

- تعال يا عمران نغتاب في الله ساعة نذكر مساوئ أصحاب الحديث.

* قيل لشعبة بن الحجاج:

- لِمَ تركت حديث أبي الزبير؟

قال أبو بسطام:

- رأيته يزن بميزان فاسترجع في الميزان فتركته.

* سأل رجلٌ شعبة بن الحجاج عن حرف.

فقال أبو بسطام:

- لأن أخرّ من السماء إلى الأرض أحبٌّ إليَّ من أن أدلس.

* اكتبوه عن قرة بن خالد، وسلمان بن المغيرة، والأسود بن شيبان، وابن عون، ولوددت أن آخذ كل يوم لابن عون بالركاب.

* كان شعبة بن الحجاج يأتي قتادة فيسأله عن حديثين ثم يقول له قتادة:

- أريدك.

فيقول أبو بسطام:

- لا حتى أحفظها وأتقنها.

* كل من سمعت منه حديثًا فأنا له عبد.

* كان قتادة يسألني عن الشعر.

فأقول:

- أنشدك بيتًا وتحدثني حديثًا.

* إن حدثتكم عن طلحة - طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة - إلا حديثًا واحدًا فاذهبوا بي إلى السجن.

* من حدثكم أني سمعت من علي بن بديمة إلا حديثين فكذِّبُوه.

* رأيت أبا المهزم في مجلس ثابت البناني ولو أعطاه إنسان فلسًا لحدَّثه بتسعين حديثًا.

* قال أمية بن سليمان لأبي بسطام:

- لِمَ لا تحّدث عن محمد العزرمي وعن عبد الملك بن أبي سليمان، فإنه حسن الحديث؟

قال شعبة بن الحجاج:

- من حسنهما فررت.

* إني لأذاكر بالحديث قد فاتني فأمرض - كم من حديث قد فاتني -.

* حدثوا عن الأشراف، فإنهم لا يكذبون.

* إن الذين يطلبون الحديث على الدواب لا يفلحون.

* لو أتيت محدثًا عنده أربعة أحاديث لأصبت فيه ثلاثة لم أسمعها.

* ما شيء أخوف عندي من أن يدخلني النار من الحديث.

* ما رأيت أحدًا من أهل العلم إلا وقد أكل بعلمه.

* لولا حوائج لي ما حدثتكم.

وكان يسأل لنسوة ضعاف.

* ما رأيت مثل إمامنا هذا يقرأ عليَّ القرآن ولا أحفظه وأقرأ عليه الحديث فلا يحفظه.

* لو صحت الإجازات بطلت الرحل.

شعبة بن الحجاج والقرآن العظيم:

سأل رجلٌ شعبة بن الحجاج:

- يا أبا بسطام: هل نُسر ببسم الله الرحمن الرحيم مع الفاتحة؟

قال أبو بسطام:

ندب الشرع إلى ذكر البسملة في أول كل فعل؛ كالأكل والشرب والنحر والجماع والطهارة وركوب البحر.

قال تعالى: {فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ} [سورة الأنعام الآية: ١١٨].

وقال تعالى: {ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ} [سورة هود الآية: ٤١].

وقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(غلق بابك واذكر اسم الله، وأطفئ مصباحك واذكر اسم الله، وخمِّر - غط إناءك واذكر اسم الله، وأوك - اربط - سقاءك واذكر اسم الله).

وقال (صلي الله عليه وسلم) لعمر بن أبي سلمة:

(يا غلام! سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك) (أخرجه مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام، وابن ماجه، عن عمر بن أبي سلمة).

قال أبو بسطام:

قال ثابت: سمعت أنس بن مالك يقول:

(صليت خلف رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وخلف أبي بكر وعمر، فلم أسمع أحدًا منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم).

وسمع أبو بسطام رجلاً يقرأ قوله تعالى:{فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟} [سورة البقرة الآية: ١٣٧].

فقال شعبة بن الحجاج:

لا تقولوا: فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فإن الله ليس له مثل، ولكن قولوا: بالذي آمنت به؛ أي: فإن آمنوا بنبيكم وبعامة الأنبياء ولم يفرقوا بينهم كما لم تفرقوا فقد اهتدوا، وإن أبوا إلا التفريق فهم الناكبون عن الدين إلى الشقاق.{فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ} [سورة البقرة الآية: ١٣٧].

وسأل رجلٌ أبا بسطام عن قوله تعالى:{وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ} [سورة البقرة الآية: ٢٢١].

فقال شعبة بن الحجاج:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(لا نكاح إلا بولي) (أخرجه ابن ماجه، كتاب النكاح، والإمام أحمد، والحاكم في المستدرك، عن أبي موسى، وابن عباس).

وسأل رجل شعبة بن الحجاج عن قوله تعالى:{وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا} [سورة البقرة الآية: ٢٣٤].

قال أبو بسطام:

ثبت عن النبي (صلي الله عليه وسلم) أنه قال للفريعة بنت مالك بن سنان وكانت متوفى عنها:

(امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله) (أخرجه الترمذي كتاب الطلاق، باب ما جاء أن تعتدّ المتوفى عنها زوجها، وأبو داود، وابن ماجه، والنسائي، والحاكم في المستدرك عن الفريعة بن مالك بن سنان).

وكان أبو بسطام إذا قرأ قول الحق جل وعلا:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾} [سورة آل عمران الآية: ٢١].

قال:

كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم سبعين نبيًا ثم تقوم سُوقُ بَقلِهم من آخر النهار.

فإن قال قائل: الذين وعظوا بهذه يقتلوا نبيًا.

فالجواب عن أنهم رضوا فعل من قتل فكانوا بمنزلته.

وأيضًا، فإنهم قاتلوا النبي (صلي الله عليه وسلم) وأصحابه وهمُّوا بقتلهم، قال عز وجل:{ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ } [سورة الأنفال الآية: ٣٠].

وسئل أبو بسطام عن قوله تعالى:{وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ} [سورة آل عمران الآية: ٧٩].

فقال شعبة الحجاج:

حكماء علماء.

فالرباني العالم بدين الرب الذي يعمل بعلمه؛ لأنه إذا لم يعلم بعلمه فليس بعالم.

وسئل أبو بسطام عن قوله تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ} [سورة الأنعام الآية: ١٥٩].

قال شعبة بن الحجاج:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لعائشة:

(إن الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعًا إنَّما هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة، يا عائشة إن لكل صاحب ذنب توبة غير أصحاب البدع وأصحاب الأهواء ليس لهم توبة وأنا بريء منهم وهم منا برآء).

وكان شعبة بن الحجاج إذا قرأ قوله تعالى:{ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ} [سورة يوسف الآية: ٧٢].

قال:

كان صواع الملك شيء من فضة يشبه المكوك، من فضة مرصع بالجوهر، يجعل على الرأس.

وقيل:

كل شيء يشرب به فهو صواع.

نشرب الخمر بالصواع جهارا.

وسأل رجل أبا بسطام عن قول تعالى:{ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ } [سورة إبراهيم الآية: ٢٧].

قال شعبة بن الحجاج:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(إذا قعد المؤمن في قبره أتاه آت ثم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فذلك قوله:{ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ } [سورة إبراهيم الآية: ٢٧].

وكان أبو بسطام إذا قرأ قوله تعالى:{وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا } [سورة مريم الآية: ٧١].

قال:

- هذا خطاب للكفار.

أي: يردون النار.

يقول شعبة بن الحجاج:

سمعت عليًا - رضى الله عنه - أنه صعد منبر الكوفة فقال:

لا تسألوني عن آية في كتاب الله تعالى ولا عن سنة عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إلا نبأتكم بذلك.

فقام إليه ابن الكواء، فقال:

- يا أمير المؤمنين: ما معنى قول تعالى:{وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴿١﴾} [سورة الذاريات الآية: ١].

فقال علي بن أبي طالب:

- الريح.

فقال ابن الكواء:

{فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ﴿٢﴾} [سورة الذاريات الآية: ٢].

قال أبو الحسن:

- السحاب.

قال ابن الكواء:

{فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ﴿٣﴾} [سورة الذاريات الآية: ٣].

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

- السفن.

قال ابن الكواء:

{فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴿٤﴾} [سورة الذاريات الآية: ٤].

قال علي بن أبي طالب:

الملائكة.

وسأل رجلٌ أبا بسطام، عن قوله تعالى:{ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ } [سورة لقمان الآية: ٦].

فقال شعبة بن الحجاج:

قال عبد الله بن مسعود:

الغناء والله الذي لا إله إلا هو - رددها ثلاث مرات - الغناء ينبت النفاق في القلب.

وكان شعبة بن الحجاج إذا قرأ قول الحق جل وعلا:{وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ } [سورة غافر الآية: ٤٦].

قال أبو بسطام:

أخبرني يعلى بن عطاء، قال: سمعت ميمون بن مهران يقول:

- كان أبو هريرة إذا أصبح ينادى: أصبحنا والحمد لله وعرض آل فرعون على النار.

فإذا أمسى نادى: أمسينا والحمد لله وعرض آل فرعون على النار.

فلا يسمع أبا هريرة أحدًا إلا تعوذ بالله من النار.

وقرأ أبو بسطام قوله تعالى:{أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ } [سورة الجاثية الآية: ٢١].

الاجتراح: الاكتساب.

نزلت في جماعة من المشركين قالوا: إنهم يعطون في الآخرة خيرًا مما يُعطاه المؤمن.

يقول شعبة بن الحجاج:

قال رجلٌ من أهل مكة:

هذا مقام تميم الداري لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله ويركع ويسجد ويبكي{أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ } [سورة الجاثية الآية: ٢١].

وكانت هذه الآية تسمى مكابدة العابدين؛ لأنها محكمة.

وسُئِلَ شعبة بن الحجاج عن قول الحق جل وعلا:{ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾} [سورة محمد الآية: ٢٢].

فهل عسيتم إن توليتم الحكم فعلتم حكامًا أن تفسدوا في الأرض بأخذ الرشا.

فهل عسيتم إن توليتم أمر الأمة أن تفسدوا في الأرض بالظلم.

قال أبو بسطام:

فهل عسيتم إن توليتم عن الطاعة أن تفسدوا في الأرض بالمعاصي وقطع الأرحام.

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(إن للرحم لسانًا يوم القيامة تحت العرش يقول: يا ربُ قطعتُ! يا رب ظُلمت! يا رب أُسيءَ إليَّ فيجيبها ربها: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك) (رواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن أبي هريرة).

قال شعبة بن الحجاج:

سمعت قتادة يقول:

قال أنس:{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾} [سورة الفتح الآية: ١].

وكان شعبة بن الحجاج إذا قرأ:{وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا} [سورة الحجرات الآية: ١٢].

قال:

قال لي معاوية بن قرة: لو مر بك رجلٌ أقطع فقلت: هذا أقطع كان غيبة.

فذكرته لأبي إسحاق، فقال:

- صدق معاوية بن قرة.

وكان إذا قرأ:{إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦} [سورة العاديات الآية: ٦].

قال:

- طبع الإنسان على كفران النعمة.

وقيل:

كنود: كفور وجحود لنعم الله.

وقيل:

لكنود: يذكر المصائب وينسى النعم.

وسئل شعبة بن الحجاج عن قول تعالى:{وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝١٩} [سورة الذاريات الآية: ١٩].

قال أبو بسطام:

الحق هنا: الزكاة المفروضة.

قال الرجل:

- من هو المحروم؟

قال شعبة بن الحجاج:

- من وجبت نفقته في مال غيره، أو الذي يحرم الرزق.

وقال رجل:

يا أبا بسطام:

ما معنى:{إِلَّا ٱللَّمَمَ} [سورة النجم الآية: ٣٢].

قال شعبة بن الحجاج:

- هو أن يلم العبد بالذنب ثم لا يعاوده.

قال الشاعر:

إن تغفر اللهم تغفر جما ::: وأي عبد لك لا ألما

وكان أبو بسطام إذا قرأ قوله تعالى:{وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣)} [سورة البروج الآيتان: ٢ - ٣].

قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(اليوم الموعود: يوم القيامة، واليوم المشهود: يوم عرفة، والشاهد: يوم الجمعة).

قالوا عن شعبة بن الحجاج:

* قال سفيان الثوري:

هو إمام المتقين.

* قال الشافعي:

لولاه ما عرف الحديث بالعراق.

* قال الإمام أحمد:

كان شعبة بن الحجاج أمة وحده في هذه الشأن - الحديث -، ولم يكن في زمانه مثله.

* قال محمد بن سعد:

كان ثقة مأمونًا، حجّة، صاحب حديث.

* وقال وكيع:

إني لأرجو أن يرفع الله لشعبة في الجنة درجات بذبِّه - الذب: المنع والدفع - عن حديث رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

* وقال صالح بن محمد بن حرزة:

كان شعبة أول من تكلَّم في الرجال، وتبعه يحيى القطان ثم أحمد، وابن معين.

* وقال ابن مهدي:

ما رأيت أعقل من مالك، ولا أشد تقشفًا من شعبة، ولا أنصح للأمة من ابن المبارك، ولا أحفظ للحديث من الثوري.

* وقال مسلم بن إبراهيم:

ما دخلت على شعبة في وقت صلاة إلا ورأيته يصلي، وكان أبًا للفقراء وأما لهم.

* وقال يحيى القطان:

ما رأيت أعبد منه لقد عَبَدَ الله حتى لصق جلده بعظمه.

* وقال يحيى بن معين:

هو إمام المتقين، وكان في غاية الزهد والورع والتقشف والحفظ وحُسْن الطريقة.

* وقال عمرو بن هارون:

كان شعبة يصوم الدهر كله لا يُرى عليه، وكان سفيان الثوري يصوم ثلاثة من الشهر ترى عليه.

* قال أبو قطن - عمرو بن الهيثم -:

ما رأيت شعبة ركع قط إلا ظننت أنه قد نسى، ولا قعد بين السجدتين إلا ظننت أنه قد نسى.

* وقال أبو بحر البكراوي:

ما رأيت أعبد من شعبة، لقد عَبَدَ الله حتى جف جلده على عظمه ليس بينهما لحم.

* وقال أبو قطن - عمرو بن الهيثم -:
كانت ثياب شعبة لونها لون التراب، وكان كثير الصلاة، كثير الصيام، سخيّ النفس.
* وقال عبد العزيز بن داود:
كان شعبة إذا حك جلده انتثر من التراب.
* وقال أبو دواد الطيالسي:
كنا عند شعبة بن الحجاج، فجاء سليمان بن المغيرة يبكي، فقال له شعبة:
- ما يبكيك يا أبا سعيد؟
قال سليمان بن المغيرة:
- مات حماري وذهبت منى الجمعة وذهب حوائجي.
فقال أبو بسطام:
- فبِكَم أخذته؟
قال سليمان بن المغيرة:
- بثلاثة دنانير.
قال شعبة:
فعندي ثلاثة دنانير والله لا أملك غيرها يا غلام: هات تلك الصرة.
فإذا فيها ثلاثة دنانير، فدفعها إلى سليمان بن المغيرة وقال له:
- اشتر بها حمارًا ولا تبك.
* وقال النضر بن شميل:
ما رأيت أرحم لمسكين من شعبة إذا رأى المسكين لا يزال ينظر إليه حتى يغيب عن وجهه.

* قال عبدان بن عثمان:

قوَّمْنَا حمار شعبة وسرجه ولجماه بضعة عشر درهمًا.

* وقال محمد بن عروة:

وهب المهدي لشعبة ثلاثين ألف درهم، فقسمها وأقطعه ألف جريب بالبصرة، فقدم البصرة فلم يجد شيئًا يطيب له فتركها.

* وقال سفيان الثوري:

شعبة أمير المؤمنين في الحديث.

* وقال أبو النضر:

كان شعبة إذا قعد في زورق، أعطى عن جميعهم.

* وقال يحيى بن سعيد:

كان شعبة من أرق الناس، كان ربما مر به السائل فيدخل بيته فيعطيه ما أمكنه.

* وقال يحيى بن سعيد القطان:

لزمت شعبة عشرين سنة فما كنت أرجع من عنده إلا بثلاثة أحاديث، أكثر ما كنت أسمع منه في كل يوم.

* قال حماد بن زيد:

ما أبالي من خالفني في حديث إلا أن يكون شعبة، فإن شعبة كان معينًا بالحديث، كان يأتي الشيخ يكرر عليه:

أو كلاما هذا معناه.

* وكان سليمان بن المغيرة إذا ذكر شعبة بن الحجاج قال:

سيد المحدِّثين.

وكان أبو بسطام إذا ذكر سليمان بن المغيرة، قال:

سيد القرَّاء.

* قال يحيى بن سعيد القطان:

كنت عند شعبة ورجل يسأله عن حديث فامتنع فقلت له:

- لِمَ لا تحدِّثهُ؟

قال أبو بسطام:

- هؤلاء قصاص يزيدون في الحديث.

* قال ابن عيينة:

كان شعبة يعجبه مثل هذا:

يعني: أخبرني، قال أخبرني.

* قال أيوب لجلسائه:

الآن يقدم عليكم رجل من أهل واسط يُقال له: شعبة هو فارس الحديث، فإذا قدِمَ فخذوا عنه.

قال حماد بن زيد:

فلما قدم أبو بسطام، أخذنا عنه.

* قال أبو نوح:

جلست أنا وقيس بن الربيع في مسجد فسمعنا شعبة بن الحجاج فلم يزل يقول:

حدَّثنا أبو حصين حتى ظننت أن المسجد وقع عليَّ وعليه.

شعبة بن الحجاج وأحاديث السراج المنير (صلي الله عليه وسلم) :

أبو بسطام أمير الرواية والتحديث وزين المحدثين في القديم والحديث أكثر عنايته بتصحيح الآثار.

* قال أبو الوليد، عن شعبة، عن محمد بن المنكدر، قال:

سمعت جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام يقول:

دخل عليَّ رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأنا مريض لا أعقل، فتوضأ فصب عليَّ من ما وضوئه - أو صبوا عليَّ من ماء وضوئه - فعقلت فقلت:

- يا رسول الله إنَّما يرثني كلالة.

فأنزلت:{يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ} [سورة النساء الآية: ١٧٦] (رواه أبو نعيم في الحلية، عن جابر بن عبد الله).

* وقال علي بن الجعد عن شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال:

أتيت النبي (صلي الله عليه وسلم) في دَيْنٍ كان على أبي، فقال:

- من ذا؟

فقلت:

- أنا.

فقال عليه الصلاة والسلام:

(أنا أنا). (رواه أبو نعيم في الحلية عن الثوري وأناس عن شعبة بن الحجاج).

وقال حبيش بن مبشر عن وهب بن جرير عن شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر ابن عبد الله قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(لا تستبطئوا الرزق فإنه لم يكن عبد يموت حتى يبلغ آخر رزق هو له، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب بأخذ الحلال وترك الحرام) (رواه الحاكم في المستدرك، والبيهقي في سننه عن جابر بن عبد الله).

* وقال حاتم بن بكر عن عيسى بن واقد، عن شعبة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب، فليصل ركعتين وليتجوز - وليخفف - فيهما) (رواه الإمام أحمد، وأخرجه مسلم كتاب الجمعة، باب التحية والإمام يخطب، وابن ماجه عن جابر بن عبد الله).

* وقال بندار عن غندر عن شعبة بن الحجاج عن أبي الأسود عن عمرو بن حريث قال:

صليت خلف النبي (صلي الله عليه وسلم) الصبح فسمعته يقرأ:{فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾} [سورة التكوير الآيات: ١٥ - ١٨]. (رواه النسائي في سننه عن عمرو بن حريث).

* وقال يونس القاضي، عن عمرو بن مرزوق، عن شعبة، عن محمد بن عبد الرحمن - هو أبو الرجال وقيل: هو ابن أسعد بن زرارة - عن عمرة، عن عائشة قالت:

(إن النبي (صلي الله عليه وسلم) كان إذا طلع الفجر صلى ركعتين يخففهما فأقول: يقرأ فيهما فاتحة الكتاب) (رواه نعيم في الحلية، عن عائشة).

* وقال عمرو بن مرزوق عن شعبة عن محمد بن عبد الرحمن عن محمد بن عمرو بن الحسن عن جابر بن عبد الله قال:

رأى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) رجلاً قد ظلل عليه وعليه زحام.

فسأل النبي (صلي الله عليه وسلم) فقالوا:

- صائم.

فقال (صلي الله عليه وسلم) :

(**ليس من البر: الصيام في السفر، فعليكم برخصة الله التي رخص لكم فاقبلوها**). (رواه النسائي وابن ماجه وعبد الرزاق في الجامع عن جابر بن عبد الله).

* وقال أحمد بن حنبل، عن محمد بن جعفر، عن شعبة، عن محمد بن المنكدر، عن بسرة بنت صفوان قالت:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(**إذا مس أحدكم ذكره فليتوضأ**). (رواه مالك، وابن حبان في صحيحه، عن بسرة بنت صفوان).

* وقال محمد بن غالب عن أبي الوليد بن هشام عن شعبة عن سفيان بن حسين عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(**لا يدخل الجنة قاطع رحم**). (رواه أبو داود، والترمذي عن جبير بن مطعم).

وقال مسلم بن إبراهيم عن شعبة عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر عن عائشة قالت:

قال النبي (صلي الله عليه وسلم) :

(**السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب**). (أخرجه النسائي كتاب الطهارة، باب الترغيب في السواك، والإمام أحمد، والبيهقي في السنن، عن عائشة).

* وقال أبو عتاب سهل بن حماد عن شعبة عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(توضأوا مما غيرت النار). (أخرجه النسائي كتاب الطهارة، باب الوضوء مما غيرت النار، وابن ماجه عن أبي هريرة).

* وقال هارون بن عبد الله عن شعبة عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه، عن ابن عمر قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء). (أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الحمى من فيح جهنم، وابن ماجه عن ابن عمر).

* وقال محمد بن يونس، عن أبي داود الطيالسي، عن شعبة بن الحجاج، عن جابر ابن عبد الله قال:

(إن النبي (صلي الله عليه وسلم) صلى على النجاشي - ملك الحبشة - وكبر عليه أربعًا). (رواه أبو نعيم في الحلية عن جابر بن عبد الله).

* وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن روح بن عبادة عن شعبة عن محمد بن عبد الرحمن عن كريب عن ابن عباس عن جويرية بنت الحارث - أم المؤمنين قالت:

(إنَّ النبي (صلي الله عليه وسلم) دخل عليها وهي في المسجد تدعو، ثم مر بها قريبًا من نصف النهار، فقال لها:

- ما زلت على حالك؟

قالت:

- نعم.

قال عليه الصلاة والسلام:

-(ألا علمك كلمات تقولينهن؟ سبحان الله عدد خلقه ثلاثًا، سبحان الله رضى نفسه ثلاثًا، سبحان الله زنة عرشه ثلاثًا، سبحان الله مداد كلماته ثلاثًا)

(رواه أبو نعيم في الحلية عن جويرية).

* وقال سليمان بن أحمد عن محمد بن عبدوس كامل عن الجعد عن شعبة عن علي ابن أبي ليلى عن أخيه - عبد الرحمن - عن أبيه عن أبي أيوب الأنصاري قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله على كل حال، وليقل له من حوله: يرحمك الله، وليقل هو لمن حوله: يهديكم الله ويصلح بالكلم) (أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في تشميت العاطس، والحاكم في المستدرك، عن أبي أيوب الأنصاري).

* قال وكيع عن يحيى بن أبي طالب عن نصر بن حماد عن شعبة عن محمد بن سوقة، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(من عزى مصابًا فله مثله أجره) (أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في أجر من عزى مصابًا، وابن ماجه، عن ابن مسعود).

* وقال عبدان بن أحمد، عن سهل بن سنان عن أحمد بن أوفى عن شعبة عن محمد بن خليفة عن محل عن عدى بن حاتم قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(اتقوا النار ولو بشق تمرة) (رواه النسائي، عن عدى بن حاتم).

* وقال العباس بن هارون عن محمد بن عبد عن عباد بن صهيب عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(لا يشكر الله من لا يشكر الناس) (رواه الإمام أحمد، وأبو داود، وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة).

* وقال إسحاق بن أيوب عن إبراهيم بن سعدان عن بكر بن بكار عن شعبة عن محمد بن زياد قال:

سمعت أبا هريرة يقول:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(ألا يخشى أحدكم إذا رفع رأسه والإمام ساجد أن يجعل الله رأسه رأس حمار - صورة حمار -). (رواه أبو نعيم في الحلية، عن أبي هريرة).

وقال محمد بن يونس عن عبد الصمد بن الوارث عن شعبة بن الحجاج عن محمد ابن عبد الله بن أبي يعقوب عن أبي نصر - حميد بن هلال عن رجاء بن حيوة عن أبي أمامة قال:

أتيت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فقلت:

- يا رسول الله مرني بعمل يدخلني الجنة.

قال عليه الصلاة والسلام:

-**(عليك بالصوم، فإنه لا عدل له).**

ثم أتيته الثانية.

فقال عليه الصلاة والسلام:

-**(عليك بالصوم، فإنه لا عدل له - لا مثل له -)** (رواه الإمام أحمد، والنسائي، والحاكم في المستدرك عن أبي أُمامة).

* قال سليمان بن أحمد، عن عمرو بن مرزوق عن شعبة عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن أبي

الدرداء قال:

إن النبي (صلي الله عليه وسلم)، قال:

(أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟).

قالوا:

- ومن يطيق ذلك؟

قال (صلي الله عليه وسلم) :

-(احسبوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن).

فقرأ: {قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾} [سورة الإخلاص الآيات: ١ - ٤].

وقال عليه الصلاة والسلام:

(إنها لتعدل ثلث القرآن) (رواه مسلم، والإمام أحمد، والترمذي، عن أبي الدرداء).

* وقال الحسن بين سفيان عن شعبة عن قتادة عن مسلم بن يسار عن حمران بن أبان عن عثمان بن عفان قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة) (رواه مسلم، والإمام أحمد عن عثمان بن عفان).

* وقال بشر عن شعبة عن أبي إسحاق عن حذيفة قال:

سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول:

(لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح) (رواه أبو نعيم في الحلية).

* قال محمد بن زكريا عن سليمان بن حرب عن شعبة عن قتادة عن مسلم بن يسار عن حمران عن عثمان بن عفان قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقًا من قلبه إلا حرم - حرمه الله على النار - لا إله إلا الله) (رواه أبو نعيم في الحلية، والإمام أحمد، والحاكم في المستدرك عن عثمان بن عفان).

* وقال بشر بن موسى، عن عمرو بن حكام عن شعبة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(من جرَّ ثوبه خيلاء، لم ينظر الله إليه يوم القيامة) (رواه أبو نعيم في الحلية، والإمام أحمد، وأبو يعلى عن ابن عمر).

* وقال بشار بن بندار عن شعبة عن يونس عن عبيد عن الحسن عن أمه - كانت مولاة أم سلمة -، عن أم سلمة قالت:

قال النبي (صلي الله عليه وسلم) لعمار بن ياسر:

(تقتلك الفئة الباغية) (رواه الإمام أحمد، وأخرجه مسلم كتاب الفتن عن أم سلمة، والدارقطني في الأفراد، والطبراني في الكبير).

* قال داود بن مهران عن داود بن الزبرقان عن شعبة عن الحكم عن عبد الله بن أبي ليلى عن أبي جحيفة قال:

قال قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر وعمر) (رواه أبو نعيم في الحلية، وابن عساكر).

* وقال أحمد بن جعفر عن أحمد بن عاصم عن روح بن عبادة عن شعبة عن عبد الملك بن عمير، قال:

سمعت أبا سلمة يقول:

قال أبو هريرة:

إن رسولَ الله (صلي الله عليه وسلم) قال:(أصدق بيت قالت العرب:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ::: ....

* وقال أحمد بن عمر عن علي بن العابس العجلي عن محمد بن خلد عن سالم بن قتيبة عن شعبة عن أبي صالح عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(نعم الشفيع القرآن لصاحبه يوم القيامة يقول: يا رب أكرمه فليلبس تاج الكرامة ثم يقول: يا رب زده فيكسى كسوة الكرامة ثم يقول: يا رب زده ارض عنه فليس بعد رضى الله شيء) (رواه ابن أبي شيبة عن أبي هريرة).

* وقال خالد بن الحارث عن شعبة عن يعلى بن عطاء عن الوليد بن عبد الرحمن قال:

إن عبد الله بن عمر قال لحمران بن أبان:

- ما منعك أن تصلي في جماعة؟

قال حمران بن أبان:

- قد صليت يوم الجمعة في جماعة الصبح.

قال ابن عمر:

أو ما بلغك أن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:

(أفضل الصلوات عند الله تعالى صلاة الصبح يوم الجمعة جماعة). (رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر).

* وقال أبو طالب أحمد بن نصر عن محمد بن نصر عن شعبة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(حق الضيافة ثلاثة أيام فمن زاد على ذلك فهو صدقة). (رواه أبو نعيم في الحلية والخرائطي في مكارم الأخلاق).

* وقال محمد بن بشار ومحمد بن الوليد قالا: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر جعفر بن إياس قال:

سمعت عباد بن شرحبيل - رجل من بني غُبر - قال:

أصبانا عام مخمصة - مجاعة - فأتيت المدينة حائطًا - بستان - من حيطانها فأخذت سنبلاً ففركته وأكلته وجعلته في كسائي فجاء صاحب الحائط فضربني وأخذ بثوبي فأتيت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأخبرته فقال:

(ما أطعمته إذ كان جائعًا أو سابغًا – السغب: الجوع – ولا علمته إذ كان جاهلاً).

فأمره النبي (صلي الله عليه وسلم) فرد إليه ثوبه وأمر له بوسق من طعام أو نصف وسق. (أخرجه ابن ماجه).

* وقال عمرو بن علي عن يحيى عن شعبة عن أبي بشر عن أبي عمير بن أنس عن عمومة له قالوا:

إن قومًا رأوا الهلال فأتوا النبي (صلي الله عليه وسلم) فأمرهم أن يفطروا بعد ارتفع النهار وأن يخرجوا إلى العيد من الغد - ويخرجوا لمصلاهم من الغد -. (رواه النسائي).

* وقال إسماعيل بن إسحاق القاضي عن سليمان بن حرب عن شعبة عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:

إن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:

-(من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر).

قالوا:

- وما العذر؟

قال:

-(خوف أو مرض).

* وقال ابن إسحاق عن شعبة والثوري عن أبي بردة عن أبي موسى قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(لا نكاح إلا بوليٍّ).

* وقال شعبة عن عوف بن أبي جحيفة عن المنذر بن جرير عن أبيه قال:

كنا عند النبي (صلي الله عليه وسلم) حتى جاء قوم من مضر حفاة عراة فرأيت وجه رسول الله يتغير لما رأى من فاقتهم - فقرهم - ثم صلى الظهر وخطب الناس فقال:

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ} [سورة النساء الآية: ١].

ثم قال:

(تصدق رجل بديناره، تصدق رجل بدرهمه، تصدق رجل بصاع تمر).

* وقال آدم عن شعبة عن أبي قيس عن هذيل بن شرحبيل قال:

سُئل أبو موسى الأشعري:

- للابنة النصف وللأخت النصف وأن ابن مسعود فإنه سيتابعني.

فسئل عبد الله بن مسعود وأخبر بقول أبي موسى فقال ابن أم عبد:

لقد ضللت إذًا وما أنا من المهتدين أقضي فيها بما قضى النبي (صلي الله عليه وسلم) : للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللأخت.

فأتينا أبا موسى فأخبرناه بقول ابن مسعود فقال:

لا تسألوني ما دام هذا الحبر - العالم - فيكم - يعني ابن مسعود -.

* وقال سفيان عن مسعر عن شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة على علي قال:

(كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) **لا يحجبه عن قراءة القرآن شيء إلا أن يكون جنبًا).** (رواه الدارقطني).

* وقال إسماعيل عن أبي الوليد وسليمان بن حرب قالا: حدَّثنا شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن أبيه قال:

أتيت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وأنا قشف الهيئة فقال:

-(هل لك من مال؟).

قالت:

- نعم.

قال عليه الصلاة والسلام:

-(من أي المال؟).

قلت:

من كل المال: من الخيل، والإبل، والرقيق، والغنم.

قال (صلي الله عليه وسلم) :

-(فإذا آتاك مالاً فلير عليك أثره).

ثم قال عليه الصلاة والسلام:

(هل تنتج إبل قومك صحاحًا آذانها فتعمد إلى موسي – شفرة – فتشق آذانها وتقول: هذه بحر وتشق جلودها وتقول: هذه صرم لتحرمها عليك وعلى أهلك؟).

قلت:

- أجل.

قال (صلي الله عليه وسلم) :

(وكل ما أتاك الله حل وموسي الله أحَدّ من موسك وساعد الله أشد من ساعدك).

قلت:

- يا رسول الله! أرأيت رجلاً نزلت به فلم يقرني - قر الضيف: إكرامه - ثم نزل بي أفأقريه أم أكفائه؟

قال عليه الصلاة والسلام:

(بل أقره). (أخرجه القاضي إسماعيل ومسلم).

* وقال شعبة عن سفيان وإسحاق عن أبي بكر قال:

إني سمعت النبي (صلي الله عليه وسلم) يقول:

(إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه). (رواه الترمذي، وابن ماجه، وأبو داود عن أبي بكر).

* وقال شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال:

(كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يرفع يديه – عند الدعاء – حتى يرى بياض إبطيه).

* وقال شعبة والثوري عن يحيى بن سعيد عن حكيم بن سيف عن عبيد الله بن عمر عن عبد الكريم بن عطاء عن جابر بن عبد الله قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف فيما سواه).

* وقال عبد الله بن جعفر، عن يونس بن حبيب، عن أبي داود، عن شعبة، عن أبي جعفر، عن أبي المثنى قال:

قال عبد الله بن عمر: **(كان الآذان على عهد رسول الله** (صلي الله عليه وسلم) **مثنى مثنى والإقامة مرة مرة، غير أن المؤذن كان إذا قال: قد قامت الصلاة قال مرتين)** (رواه أبو نعيم في الحلية).

وفاة شعبة بن الحجاج:

قال بشر بن خالد:

دخلت على شعبة في يومه الذي مات فيه وهو يبكي فقلت له:

- ما هذا الجزع يا أبا بسطام؟ أبشر فإن لك في الإسلام موضعًا.

فقال أبو بسطام:

- دعني فولددت أني وَقَّاد حَمَّامٍ وأنِّي لم أعرف الحديث.

ومات شعبة بن الحجاج بالبصرة في أول سنة ستين ومائة وهو ابن سبع وسبعين سنة.

رحم الله أمير المؤمنين في الرواية والتحديث الذي ذبَّ عن خاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم).

* * *

عون بن عتبة

مواقف ومواعظ
مـن حيـاة التابعيـن

[١٢]

عون بن عتبة

عون بن عبد الله بن عتبة

نسبه:

هو: عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن حارث بن تميم بن سعد بن هذيل.

جده عتبة بن مسعود، وهو أخو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود لأبيه وأمه.

وعظ عون بن عبد الله المفضل بن المهلب، فقال:

إياك والكبر، فإنه أول ذنب عصى به الله ثم تلا:{إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ} [سورة البقرة الآية: ٣٤].

وخرج عون بن عبد الله مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ضد الحجاج بن يوسف الثقفي، فلما هزم أصحاب ابن الأشعث يوم دير الجماجم هرب عون بن عبد الله فأتى محمد بن مروان بن الحكم بنصيبين فأمنه.

وكان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ألزمه ابنه الوليد ليؤدبه ويعلمه فسأله عنه، فقال:

- ألزمني رجلاً إن قعدت عنه عتب، وإن أتيته حجب، وإن عاتبته غضب.

وقال بعضهم:

إن محمد بن مروان ألزمه ابنه، فقال فيه هذا القول:

وقيل:

إن سليمان بن عبد الملك ألزمه ابنه.

ولزم عون بن عبد الله الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، وكانت له منزلة منه حسنة.

وإياه عُنِيَ جرير بن عطية الشاعر في قوله:

يا أيها القارئ المرخي عمامته ::: هذا زمانك إني قد مضى زمني
أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه ::: إني لدى الباب كالمقرون في قرن

أتضيع أمر أمة محمد!

ذات يوم حدَّث عون بن عبد الله حفيد عمر بن الخطاب عمر بن عبد العزيز عن ملك بني مدينة له فأحسن بناءها، وهيأ طعامًا للناس فيجعل الرجل يأكل ويخرج فيسأله قوم قد وكلهم بمسألة الناس عن المدينة:

- هل تعرفون عيبًا؟

فجعلوا ينعتون ويصفون.

حتى خرج من المدينة رجل قد طعم فقالوا له:

- هل رأيت في المدينة عيبًا؟

قال الرجل:

- نعم، رأيت أنها تخرب بموت صاحبها.

فأخبر الملك بذلك فقال:

- صدق.

وترك ملكه وجعل يتعبد مع قوم كانوا يعرفونه ثم تركهن وقال:

- إن هؤلاء قد رأوني ملكًا فهم يجلوني.

فاعتزلهم وأتى قومًا لا يعرفونه فساح معهم.

فهم الخليفة العادل أن يسيح - ينشر العلم ويطلبه - ويخرج من الخلافة.

فقيل له:

- أتضيع أمة محمد؟

فسكت الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز.

كانوا يرون أنه الخضر:

قال عون بن عبد الله:

بينما رجل في بستان بمصر وهو مهموم؛ إذ وقف عليه رجل، فقال له:

ما لي أراك مهمومًا؟ أللدينا؟ فإن الدنيا عرض حاضر يأكل منه البَرُّ والفاجر أم للآخرة؟ فإن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل.

فكانوا يرون أنه الخضر.

وصية الله:

كتب عون بن عبد الله إلى رجل:

أما بعد:

فإني أوصيك بوصية الله، حفظها سعادة لمن حفظها، وإضاعتها شقاوة لمن ضيعها.

واعلم أن رأس تقوى الله البصر، وحقيقتها العمل، وكمالها الورع، وأن يفي لله بشرطه الذي شرط، وعهده الذي عهد، وفرضه الذي افترض، وأن ينقض كل عهد للوفاء بعده ولا ينقض عهده للوفاء بعهد غيره.

هذا جماع من القول يبصره البصير.

ولا يعرفه إلا اليسير.

دع ما يعتذر منه:

قال عون بن عبد الله:

أوصى رجل ابنه فقال:

يا بني: عليك بتقوى الله وطاعته، وإن استطعت أن تكون اليوم خيرًا منك أمس، وغدًا خيرًا منك اليوم فافعل.

وإن صليت فصلِّ صلاة مودع، وإياك وكثرة تطلّب الحاجات، فإنه فقر حاضر.

ودع ما يعتذر منه.

حرم الله عز وجل ذلك المكان على النار:

رأى أبو معشر عونَ بن عبد الله بن عتبة في مجلس أبي حازم يبكي ويمسح وجهه بدموعه فقيل له:

- لِمَ تمسح وجهك بدموعك؟

قال عون بن عبد الله:

- بلغني أنه لا تصيب دموع الإنسان مكانًا من جسده إلا حرّم الله عز وجل ذلك المكان على النار.

ويح نفسي:

كان عون بن عبد الله بن عتبة يقول في بكائه وذكر خطيئته:

ويح نفسي.

بأي شيء لم أعص ربي؟

ويحي إنَّما عصيته بنعمته عندي؟

ويحي من خطيئة ذهبت شهوتها وبقيت تبعتها عندي في كتاب كتبه كُتَّابٌ لم يغيبوا عني.

واسوءتي إذا لم أستحيهم ولم أراقب ربي.

ويحي كيف أنسى الموت ولا ينساني؟

ويحي نسيت ما لم ينس مني.

ويحي طاوعت نفسي وهي لا تطاوعني.

ويحي طاوعتها فيما يضرها وضرني ولم تطاوعني فيما ينفعها وينفعني.

ويحي كيف أغفل ولا يغفل عني؟

أم كيف تهنئني معيشتي واليوم الثقيل ورائي؟

أم كيف أجمع بها وفي غيرها قراري؟

أم كيف تعظم فيها رغبتي والقليل فيها يكفيني؟

أم كيف أوثرها وقد أضرت بمن أثرها قبلي؟

أم كيف لا أبادر بعملي قبل أن يغلق باب توبتي؟

أم كيف يشتد إعجابي بما يزايلني وينقطع عني؟ أم كيف لا يكثر بكائي ولا أدري ما يراد بي؟

أم كيف تقر عيني مع ذكر ما سلف مني؟

أم كيف تطيب نفسي مع ذكر ما هو أمامي؟

ويحي هل ضر غفلتي أحد سواي؟

أم هل يعمل لي غيري إن ضيعت حظي؟

ويحي كأنه قد تصرم أجلي، ثم أعاد ربي خلقي كما بدأني، ثم وقفني وسألني، ثم أشهدت الأمر الذي أذهلني وشغلت بنفسي من غيري.

وسارت الجبال وليس لها مثل خطيئتي، وجمع الشمس والقمر وليس عليهما مثل حسابي، وانكدرت النجوم وليست تطلب بما عندي.

وحشرت الوحوش ولم تعمل مثل عملي.

وشاب الوليد وهو أقل ذنبًا مني.

ويحي ما أشد حالي وأعظم خطري، فاغفر لي، واجعل طاعتك هِمَّتي، ولا تعرض عني يوم تعرض، ولا تفضحني بسرائري، ولا تخذلني بكثرة فضائحي.

وكيف أعتذر إليك إذا ختمت على لساني ونطقت جوارحي بكل الذي كان مني؟

إلـهي:

أنا الذي ذكرت ذنوبي.

أنا تائب إليك فاقبل ذلك مني.

رب ما أحكمك، وأمجدك، وأجودك، وأرأفك، وأرحمك، وأنورك، وأناك وأحضرك، وألطفك وأخبرك، وأعلاك وأقربك، وأقدرك وأقهرك، وأوسعك وأفضلك، وأحلمك وأكرمك.

رب ما أبلغ حجتك وأكثر مدحتك.

رب ما أبين كتابك، وأشد عقابك، وأحسن مآبك، وأجزل ثوابك.

رب ما أسنى عطاءك، وأجلّ ثناءك.

رب ما أحسن بلاءك، وأسبغ نعماءك.

رب ما أعظم سلطانك، وأوضح برهانك.

رب ما أمتن كيدك، وأغلب أيدك.

رب ما أعز ملك وأنفذ أمرك.

رب ما أعظم عرشك، وأشد بطشك.

رب ما أسرع فرجك، وأحكم فعلك.

رب ما أوفى عهدك، وأصدق وعدك.

رب ما أحضر نفعك، وأتقن صنعك.

رب لا تجعلني لنار جهنم وقودًا بعد توحيدي وإيماني برحمتك.

مجالسة أهل الذكر:

يقول عون بن عبد الله بن عتبة:

كنا نأتي أم الدرداء - هي أم الدرداء الصغرى هجيمة بنت حيى الوصابية، أمَّا أم الدرداء الكبرى فهي: خيرة بنت أبي حدود - فنذكر الله عندها، فاتكأت هجيمة بنت حيى الوصابية ذات يوم فقيل لها:

- لعلنا أن نكون قد أمللنا يا أم الدرداء؟

فجلست هجيمة بنت حيى الوصابية وقالت:

- أزعمتم أنكم قد أمللتموني؟ قد طلبت العبادة بكل شيء، فما وجدت شيئًا أشفى لصدري ولا أحرى أن أدرك ما أريد من مجالسة أهل الذكر.

فسأل عون بن عبد الله أم الدرداء:

ما كان أفضل عمل أبي الدرداء - عويمر بن مالك: صحابي جليل، كان حكيم أمة محمد (صلي الله عليه وسلم) -؟

قالت أم الدرداء الصغرى:

- التفكر والاعتبار.

هل من مريض نعوده؟

قال يحي بن جابر:

قدم علينا عون بن عبد الله فقعدنا إليه في المسجد فوعظنا موعظة لم نسمع بمثلها.

ثم قال:

- أين مسجدكم الذي كان يصلي به أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ؟

فذهبنا به إليه، فتوضأ وصلى فيه ركعتين ثم قال:

- هل من مريض نعوده؟

قلنا:

- نعم.

فأتينا يزيد بن ميسرة.

فلما قعدنا، وعظنا يزيد موعظة أنستنا موعظة عون بن عبد الله.

ثم استوى يزيد بن ميسرة وهو مريض وقال:

- بخ بخ، لقد استعرضت بحرًا عريضًا، واستخرجت منه نهرًا عريضًا، ونصبت عليه شجرًا كثيرًا، فإن كان شجرك مثمرًا أكلت وأطعمت، وإن كان شجرك غير مثمر فإن في أصل كان شجرة فأسًا.

وسأل يزيد بن ميسرة عون بن عبد الله:

- ثم ماذا؟

قال عون بن عبد الله:

- ثم تقطع.

فقال ابن ميسرة:

- ثم ماذا؟

قال عون بن عبد الله:

- ثم توقد بالنار.

فسكت يزيد بن ميسرة.

قال عون بن عبد الله:

- ما وقعت من قلبي موعظة كموعظة يزيد بن ميسرة.

أي هؤلاء أفضل!

كان أخَوَان في بني إسرائيل فقال أحدهم لصاحبه:

- ما أخوف عمل عملته عندك؟

قال:

- ما عملت عملاً أخوف عندي من أني مررت بين قراحي
- القراح: من الأرض البارز الظاهر الذي لا شجر فيه، والجمع: أقرحة
- سنبل فأخذت من أحدهما سنبلة، ثم ندمت فأردت أن ألقيها في القراح الذي أخذتها منه فلم أدر أي القراحين هو، فطرحتها في أحدهما، فأخاف أن أكن قد طرحتها في القراح الذي لم آخذها منه، فما أخوف عمل عندك؟

فقال الآخر:

- إن أخوف عمل عملته عندي، إذا قمت في الصلاة أخاف أن أكون أحمل إحدى رجليّ فوق ما أحمل على الأخرى.

وكان أبوهما يسمع كلامهما فقال:

- اللهم إن كانا صادقين فاقبضهما إليك قبل أن يفتنا.

فماتا.

فتساءل عون بن عبد الله:

- فما ندري أي هؤلاء أفضل؟

قال يزيد بن هارون:

- الأب أفضل.

أنت حرة لوجه الله:

كان لعون بن عبد الله جارية يُقال لها: بشرة وكانت تقرأ القرآن بألحان.

قال عون بن عبد الله لبشرة ذات يوم:

- يا بشرة: اقرئي على إخواني.

فأخذت تقرأ بصوت فيه ترجيع حزين، فألقى الحاضرون العمائم عن رءوسهم وبكوا.

قال عون بن عبد الله لها يومًا:

- يا بشرة: قد أعطيت بك ألف دينار لحُسن صوتك، اذهبي فلا يملكك عليّ أحد فأنت حرة لوجه الله.

يقول ثابت البناني:

فهي عجوز هناك بالكوفة لولا أن أشق عليها لبعثت إليها حتى تقدم علينا فتكون عندنا حتى تموت.

لا تجعلني لنار جهنم وقوداً:

وقف عون بن عبد الله يدعو ربه في جوف الليل فقال:

إلـهي!

أنت الذي خلقتني، وفي الرحم صورتني، ومن أصلاب المشركين نقلتني، قرنا فقرنا حتى أخرجتني في الأمة المرحومة.

إلـهي!

فارحمني، فكما مننت عليَّ بالإسلام، فامنن عليَّ بطاعتك، وبترك معاصيك أبدًا ما أبقيتني ولا تفضحني بسرائري، ولا تخذلني بكثرة فضائحي.

سبحانك!

خالقي! أنا الذي لم أزل عاصيًا، فمن أجل خطيئتي لا تقر عيني، وهلكت إن لم تعف عني.

سبحانك!

خالقي! بأي وجه ألقاك؟ وبأي قدم أقف بين يديك؟ وبأي لسان أناطقك؟ وبأي عين أنظر إليك؟ وأنت قد علمت سرائر أمرى، وكيف أعتذر إليك إذا ختمت على لساني ونطقت جوارحي بكل الذي قد كان مني؟

سبحانك!

خالقي! أنا تائب إليك متبصبص - التبصبص: التملق - فاقبل توبتي، واستجب دعائي وارحم شبابي وأقلني عثرتي، وارحم طول عبرتي، ولا تفضحني بالذي قد كان مني.

سبحانك!

خالقي! أنت غيَّاث المستغيثين، وقرة أعين العابدين وحبيب قلوب الزاهدين.

إليك مستغاثي ومنقطعي، فارحم شبابي، واقبل توبتي، واستجب دعوتي، ولا تخذلني بالمعاصي التي كانت مني.

إلـهي!

علمتني كتابك الذي أنزلته على رسولك محمد (صلي الله عليه وسلم)، ثم وقعت على معاصيك وأنت تراني، فمن أشقى مني إذا عصيتك وأنت تراني، وفي كتابك المنزَّل قد نهيتني.

إلــهي!

أنا إذا ذكرت ذنوبي ومعاصيي، لم تقر عيني للذي كان مني.

فأنا تائب إليك، فاقبل ذلك مني، ولا تجعلني لنار جهنم وقودًا بعد توحيدي، وإيماني بك.

فاغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين.

برحمتك آمين يا رب العالمين.

يا بني!

كتب عون بن عبد الله إلى ابنه:

يا بني كن ممن نأيه عمن نأى عنه يقين ونزاهة، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة، ليس نأيه بكبر ولا بعظمة، ولا دنوه خداع ولا خلابة، يقتدي بمن قبله فهو إمام لمن بعده، ولا يعزب علمه - حلمه - ولا يحضر جهله، ولا يعجل فيما رابه، ويعفو إذا تبين، يغمض في الذي له ويزيد في الحق الذي عليه، والخير منه غير مأمول والشر منه مأمول، إن زكى خاف ما يقولون واستغفر لما لا يعلمون.

يقول:

ربي أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي من غيري.

فهو لا يغره ثناء من جهل أمره، ولا ينسى إحصاء شيء من علمه، يستبطئ نفسه في العمل ويأتي ما أتى من الصالحات على وجل، إن عصته نفسه فيما كرهت لم يتبعها فيما أحبت، يبيت حذرًا ويصبح فرحًا، حذرًا من الغفلة، وفرحًا لما أصاب من الفضل - الغنيمة والرحمة -.

ولا تكن يا بني كمن تغلبه نفسه على ما نظر ولا يغلبها على ما يستيقن، يتمنى المغفرة ويعمل بالمعصية، طال به الأمل ففتر وطال عليه الأمد فاغتر، وأعذر إليه فيما عمر، وليس هو فيما عمر بمعذر،

إن أعطى لم يشكر ما أعطى ويبتغي الزيادة فيما بقى، يحب الصالحين ولا يعمل عملهم، ويبغض المسيئين وهو أحدهم، يعوذ بالله ممن فوقه ولا يريد أن يعيذ الله منه من تحته، يبصر الغررة من غيره ويغفلها من نفسه، يتصنع لتحسب عنده أمانة وهو مرصد للخيانة، يخف عليه الشعر، ويقل عليه الذكر، يعجل النوم ويؤخر الصوم، يبيت نائمًا ولا يصبح صائمًا، يتصبح بالنوم ولم يسهر ويمسي وهمه العشاء وهو مفطر، إن صلى اعترض، وإن ركع ربض، وإن سجد نقر، وإن جلس شغر - شغر الكلب: رفع إحدى رجليه ليبول -، وإذا سأل ألحف، وإذا سئل سَوَّفَ، وإن وعد أخلف، وإن حلف حنث، وإن وعظ كلح - كشر في عبوس -، وإن مُدِحَ فرح، ليس له في نفسه عن عيب الناس شغل، أهل الخيانة له بطانة، وأهل الأمانة عليه علاوة، يعجب من أن يفشو سره، ولا يشعر من أين جاء ضره، يُسِرُّ من الناس ما لا يخفى على الله، فيستحييهم ولا يستحي ربه، ينظر نظر الحسود، ويعرض إعراض الحقود، ويرضى الشاهد ويسخط الغائب، يضحك من غير عجب، ويسعى إلى غير أرب، لا ينجو منه من جانبه ولا يسلم منه من صاحبه، إن حدثته ملَّك، وإن حدَّثك غَمَّك، وإن فارقك أكلك، وإن حاورته بهتك، لا نصت فيسلم، ولا يتكلم بما لا يتعلم، يغلب لسانه قلبه، ويضبط قلبه قوله، يتعلم المراء وينفقه للرياء ويكثر الكبرياء، يسعى للدنيا ويواكل في التقى.

من دعاء عون بن عبد الله:

كان عون بن عبد الله يدعو ويقول:

من قال هؤلاء الكلمات حين يصبح ويمسي لم يكتب يومئذٍ من الغافلين:

اللهم أسلمت ديني إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رهبة لك ورغبة إليك، لا ملجأ منك إلا إليك، آمنت بالرسول الذي أرسلت، والكتاب الذي أنزلت، وأنت مَنَنْتَ عليَّ بذلك، وهديتني.

فلك الحمد كثيرًا.

قالوا عن عون بن عبد الله:

* قال المسعودي:

مَرَّ عون بن عبد الله برجل يسبح فقال له:

- نعم الغرس.

* وقال الحسن بن يزيد:

دخل عون بن عبد الله مسجدًا بالكوفة، فلف رداءه ثم انكفأ عليه وقال:

- اعمروها ولو أن تتكئوا فيها.

* وقال أبو هارون موسى:

- كان عون بن عبد الله يحدثنا ولحيته ترتعش بالدموع.

من أقوال عون بن عبد الله بن عتبة:

قال عون بن عبد الله:

* بحسبك من الكبر أن تأخذ بفضلك على غيرك.

* الذاكر في الغافلين كالمقاتل من الفارين، وأن الغافل في الذاكرين كالفار من المقاتلين.

* من أحس الله صورته وجعله في منصب صالح ثم تواضع لله، كان من خلصاء الله.

* إن الله يقول: إنك يا ابن آدم ما عبدتني ورجوتني فإني غافر لك على ما كان، يسألني عبدي الهدى وكيف أضل عبدي وهو يسألني الهدى وأنا الحكم؟

* بشِّر المشائين في ظُلَمِ الليل إلى الصلوات بنور تام يوم القيامة.

* من أحسن الله صورته أخبره بالعفو قبل الذنب.{عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ} [سورة التوبة الآية: ٤٣].

* إن من كمال التقوى: أن تبتغي إلى ما علمت منها علم ما لم تعلم، واعلم أن فيما علمت ترك ابتغاء الزيادة فيه، وإنّما يحمل الرجل على ترك ابتغاء الزيادة فيما قد علم قلة الانتفاع بما قد علم.

* يدبر أمر الدنيا أربعة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت.

فأمَّا جبريل: فصاحب الجنود والريح.

وأمَّا ميكائيل: فصاحب القطر - المطر - والنبات.

وأمَّا ملك الموت: فموكل بقبض الأنفس.

وأمَّا إسرافيل: فهو ينزل بالأمر عليهم بما يؤمرون.

* الخير من الله كثير، ولم يبصره من الناس إلا اليسير، وهو للناس معروض، ولكن لا يعرفه من لا يراعيه، ولا يجده من لا يبتغيه، ولا يتسوجبه من لا يعمل له، ألا ترون كثرة نجوم السماء التي لا يهتدي بها إلا العلماء؟

* الدنيا غير مأمونة من أكرمها أهانته، ومن رفضها أكرمته، تخرج من يد من اطمأن إليها ووثق بدوامها، وينالها من لم يكن يرجوها.

* كان عبد الله بن مسعود يعلّم الناس أربعًا:

اللهم إني أعوذ بك من غنى يُطغي وفقر يُنسي، وهوى يُردي، وعمل يُخزي.

وزدت أنا عليها: ومن صاحب يُغوي، وجار يُؤذي.

* قال عون بن عبد الله لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز:

إن استطعت أن تكون عالمًا فكن عالمًا، فإن لم تستطع فكن متعلمًا.

* كان أهل الخير يقولون ويكتبون: من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه.

ومن أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس.

ومن أصلح سريرته أصلح الله علانتيه.

* الخير الذي لا شرَّ فيه: الشكر مع العافية، فرُبَّ منعم عليه غير شاكر، ومبتلي غير صابر.

* من كان في صورة حسنة، وموضع لا يشينه، ووسع عليه في رزقه، ثم تواضع لله واتقاه كان من خلصاء الله.

* أزهد الناس في عالم أهله، ومثل ذلك مثل السراج بين أظهر القوم ليستصبح الناس به ويقول أهل البيت هو معنا وفينا، ويتكلمون فلا يفجئهم إلا طفؤه.

* ما أحسن الحسنة في أثر الحسنة وأقبح السيئة في أثر السيئة.

* إن من البيان سحرًا ومن ذلك: أن يكون بين الرجلين خصومة فيقول أحدهما لصاحبه:

- اختر أي الخصومتين شئت فإنك لا تختار واحدة إلا خصمتك بالأخرى.

* مثل الذي يطلب العلم في الأحاديث ويترك القرآن، مثل رجل أخذ باب زربة على غنمه فمرت به ظباء فأتبعها يطلبها فلم يدركها، ورجع فوجد غنمه قد خرجت وتفرَّقت فلا هذه أدرك ولا تلك حفظ.

* إن الله ليبتلي الرجل بما يكرهه عليه ليأجره، كما يُكْرِهُ أهل المريض مريضهم على الدواء لينفعه.

* الدنيا والآخرة في قلب ابن آدم ككفتي الميزان، إذا رجحت إحداهما خفت الأخرى.

* ما تحاب رجلان في الله إلا كان أفضلهما أشدهما حبًا لصاحبه.

* إذا سرَّك أن تنظر إلى الرجل أحسن ما يكون حالاً، فانظر إليه وهو قائم يصلي.

* ما أحسب أحدًا تفرغ لعيب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه.

* الصيام من أربع: من المطعم، والمشرب، والمأثم، والمحرَّم.

* اليوم المضمار - الموضع الذي تضمر فيه الخيل، وتضميرها: أن تعلف قوتًا بعد سمنها، وقيل: المضمار: وقت للأيام التي تضمر فيها الخيل للسباق أو للركض إلى العدو - وغدا السباق، والسبقة الجنة، والغاية النار، فبالعفو تنجون، وبالرحمة تدخلون، وبالأعمال تقتسمون المنازل.

* من تمام التقوى: أن تبتغي إلى ما عملت منها وما لم تعلم فإن لم تعلم، فإن النقص مما عملت ترك ابتغاء الزيادة فيه، وإنَّما يحمل الرجل على ترك ابتغاء الزيادة منه، فإنه انتفاعه بما علم.

* ويح نفسي! كيف أغفل ولا يغفل عني؟ أم كيف يهنئني عيشي واليوم الثقيل ورائي؟ أم كيف يشتد عجبي بدار في غيرها قراري وخلودي؟

* إن لكل إنسان سيدًا من عمله وأن سيد عملي: الذكر.

* يا إخوتي: لا تنسوا الفضل بينكم، وإن أتى أحدكم سائل فلم يكن عنده ما يعطيه فليدع له بخير.

* جالست الأغنياء فكنت كثير الهمِّ أرى مركبًا أفْرَهُ - أحمل وأقوى وأحسن - وثوبًا أحسن من ثوبي، ثم جالست الفقراء فاسترحت.

* الحمد لله الذي إذا شئت وضعت سري عنده أية ساعة شئت من ليل أو نهار بلا شفيع، فيقضي حاجتي.

والحمد لله الذي إذا دعوته أجابني، وإن كنت بطيئًا حين يدعوني.

* اجعلوا مسألة ربكم مهم حوائجكم في الصلاة المكتوبة، فإن فضل الدعاء فيها كفضلها على النافلة.

* لم يعذب أحد في الدنيا بمثل الظن السيئ، والحسد الدائم، والجار البذيء، والزوجة السليطة.

* عجبت لرجل يطلب ما لَعَلَّهُ لا يدركه!

ويدع ما يتيقَّن أنه مدركه.

* عجبًا لمن آثر ظنًا على يقين، وغررًا على ثقة.

* قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يومًا، لعون بن عبد الله:

- أما آن لك أن تترك الشعر؟

فقال عون بن عبد الله:

يا أمير المؤمنين: لا بد للمصدور أن ينفث.

* ليس كلام أوجز من كلام العرب.

قال امرئ القيس:

قفا نَبْكِ من ذكري حبيب ومنــزل ::: ....

* مجالس الذكر، شفاء القلوب.

* ذكر الله صقال القلوب.

* ذاكر الله في غفلة الناس، كمثل الفئة المنهزمة يحميها الرجل، لولا ذلك الرجل هزمت الفئة، ولولا من يذكر الله في غفلة الناس هلك الناس.

* لو تأتى على الناس ساعة لا يذكر الله فيها، هلك من في الأرض جميعًا.

* وصل إلى عون بن عبد الله، أكثر من عشرين ألف درهم فتصدَّق بها، فقال أصحابه:

- لو اعتقدت عقدة لولدك؟

قال عون بن عبد الله:

- اعتقدتها لنفسي، واعتقدت الله لولدي.

قال أبو أسامة:

لم يكن في المسعوديين أحسن حالاً من ولد عون عبد الله بن عتبة بن مسعود.

* إن من كان قبلكم - يعني: صحابة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) - كانوا يجعلون للدنيا ما فضل من آخرتهم، وإنكم اليوم تجعلون لآخرتكم ما فضل عن دنياكم.

* إن من العصمة: أن تطلب الشيء من الدنيا ولا تجده.

* إن من أعظم الخير: أن ترى ما أوتيت من الإسلام عظيمًا عندما زوى عنك من الدنيا.

* ما أحد ينزل الموت حي منزلته، إلا عدّ غدًا ليس من أجله.

كم من مستقبل يومًا لا يستكمله؟ وراج غدًا لا يبلغه؟

لو تنظرون إلى الأجل ومسيره لأبغضتم - كرهتم - الأمل وغروره.

كان عون بن عبد الله أحيانًا يلبس الخز وأحيانًا يلبس الصوف والبت - كساء غليظ مربع - ونحوه، فقيل له في ذلك فقال:

- ألبسُ الخز لئلا يستحي ذو الهيئة أن يجلس إليَّ، وألبس الصوف لئلا يهابني ضعفاء الناس أن يجلسوا إليَّ.

* قد ورد الأول، والآخر متعب منتظر، فأصلحوا ما تقدمون عليه بما تظعنون - ترحلون - عنه، فإن الخلق للخالق، والشكر للمنعم، وإن الحياة بعد الموت، والبقاء بعد القيامة.

* ذلوا عند الطاعة، وعزوا عند المعصية.

* بحسبك كبرًا أن تأخذ بفضلك على غيرك.

* وكان عون بن عبد الله يقول حين يعظ الناس:

إنه يخشى الله من هو أبرأ منها، وإنا لنخشى من لا يملكنا، وكيف يخاف البريء أم كيف يأمن المسيء؟

ويلي! يخاف البريء بفضل علمه، ويأمن المسيء لنقص عقله.

* إن الحلم والحياء والعي - عي اللسان لا عي القلب - والفقه من الإيمان، وهن مما ينقصن من الدنيا ويزدن في الآخرة، وما يزدن في الآخرة أكثر مما ينقصن من الدنيا، ألا وإن البذاء والجفاء والبيان من النفاق، وهن مما يزدن في الدنيا وينقصن من الآخرة، وما ينقصن من الآخرة أكثر مما يزدن في الدنيا.

* ما أقبح السيئات بعد السيئات، وما أحسن الحسنات بعد السيئات، وأحسن من ذلك الحسنات بعد الحسنات.

* جالسوا التوابين، فإنهم أرق الناس قلوبًا.

* لا تعجل بمدح أحد ولا بذمه، فإنه رب من يسرك اليوم يسوءك غدًا، ورب من يسوءك اليوم يسرك غدًا.

* فواتح التقوى: حُسْن النية، وخواتيمها: التوفيق، والعبد بين ذلك بين هلكات وشبهات، ونفس تحطب على شلوها - الشلو: العضو من أعضاء اللحم - وعدو مكيد غير غافل ولا عاجز ثم قرأ:{إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا} [سورة فاطر الآية: ٦].

* رأينا صدأ القلوب، إنَّما يكون من غير الذنوب.

ورأينا جلاءها إنَّما يكون من قبل التوبة، حتى تدع القلوب كالسيف النقي المرهف.

* قلب التائب بمنزلة الزجاجة يؤثر فيها جميع ما أصابها.

والموعظة إلى قلوبهم سريعة، وهم إلى الرقَّة أقرب، فداووها من الذنوب بالتوبة.

فلربَّ تائب دعته توبته إلى الجنة حتى أوفدته عليها.

وجالسوا التوابين فإن رحمة الله إلى التوابين أقرب.

* جرائم التوابين منصوبة بالندامة نصب أعينهم، لا تقر للتائب في الدنيا عين كلما ذكر ما اجترح - ارتكب من الذنوب - على نفسه.

* اهتمام العبد بذنبه داع إلى تركه، وندمه عليه مفتاح للتوبة، ولا يزال العبد يهتم بالذنب يصيبه حتى يكن أنفع له من بعض حسناته.

* إن صاحب عمل الآخرة لا يفجأك إلا سرَّك مكانه، وإن صاحب عمل الدنيا لا يفجأك إلا ساءك مكانه.

* ما اجتمع رجلان فتفرقا حتى يعقد الشيطان في قلب كل واحد منهما عقدة، فإن لقي أخاه فسلم عليه حلَّت العقدة، وإلا كانت العقدة كما هي.

* إن الله ليكره عبده على البلاء كما يُكْرِهُ أهل المريض مريضهم، وأهل الصبي صبيهم على الدواء ويقولون:

- اشرب هذا فإن لك في عاقبته خيرًا.

* الصوم من الحلال أن تدخله، ومن الحرام أن تخرجه.

* أفضل الصيام: صيام من أربع: من المطعم، والمأثم، والمحرم، وأن تفطر على صدقة.

* يخرج لابن آدم يوم القيامة دواوين: ديوان فيه الحسنات، وديوان فيه السيئات، وديوان النعم، فلا تخرج حسنة إلا خرجت نعمة تستوعبها، وتبقى السيئات لله فيها المشيئة.

* اجعلوا حوائجكم اللاتي تهمكم في الصلاة المكتوبة، فإن الدعاء فيها كفضلها على النافلة.

* إذا أعطيت المسكين شيئًا فقال:

- بارك الله فيك.

فقل أنت:

- بارك الله فيك.

حتى تخلص لك صدقتك.

* قال عون بن عبد الله بن عتبة:

لما أتت عبد الله بن مسعود وفاة أخيه عتبة بكى فقيل له:

- أتبكي؟

قال ابن مسعود:

- كان أخي في النسب، وصاحبي مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، وما أحب مع ذلك أني كنت قبله أن يموت فأحتسبه، أحب إليَّ من أن أموت فيحتسبني.

* المؤمن مؤالف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف.

* يدخل فقراء المهاجرين الجنة قبل أغنيائهم بسبعين خريفًا، مثله كمثل سفينتين في هذا البحر، مرَّت واحدة وليس فيها شيء.

فقال صاحب البحر:

- خلو سبيلها.

ومرت الأخرى موقرة فحبست لينظر ما فيها.

عون بن عبد الله وأحاديث خاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم) :

أدرك عون بن عبد الله بن عتبة جماعة من الصحابة.

فسمع من: عبد الله بن عمرو، وابن عباس، وأبي هريرة، وجمهور روايته عن أبيه.

وروى عن عون بن عبد الله من التابعين: إسماعيل بن خالد، وأبو إسحاق الشيباني، وأبو الزبير، وأبو سهيل.

* قال هشام بن سعد، عن محصن بن علي، عن عون بن عبد الله، عن أبيه، عن عبد الله ابن مسعود قال:

قال النبي (صلي الله عليه وسلم) :

(ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارين) (رواه الطبراني في المعجم الكبير، وأبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود).

* قال إسماعيل بن عياش، عن صالح بن كيسان، عن عون بن عبد الله بن عتبة، عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال:

إنَّ الديك صرخ عند النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال رجلٌ:

- اللهم العنه.

فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) :

(لا تلعنه ولا تسبّه فإنه يدعو إلى الصلاة) (رواه أبو نعيم في الحلية، عن ابن مسعود).

* قال خالد بن عبد الله الشيباني عن عون بن عبد الله بن عتبة عن أخيه عبيد الله عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم قائم يصلي يسأل الله فيها خيرًا إلا أعطاه إياه). (رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة).

فقال عبد الله بن سلام - كان حبرًا من أخبار يهود، وأسلم وحَسُنَ إسلامه -:

(إن الله تعالى ابتدأ الخلق وخلق الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين، وخلق السماوات يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، وخلق الأقوات وما في الأرض يوم الخميس ويوم الجمعة إلى صلاة العصر، فهي - أي ساعة الإجابة - ما بين صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس) (رواه أبو نعيم في الحلية).

* وقال الليث بن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن عون بن عبد الله بن عتبة عن عامر الشعبي عن النعمان بن بشير قال:

سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يخطب وهو يقول:

(الحلال بَيِّنٌ، والحرام بَيِّنٌ، وبين ذلك أمور مشتبهات، فمن تركها كان أوقى لدينه وعرضه، ومن قاربها كان كالمرتع إلى جانب الحمى يُوشَكُ أن يقع فيه) (رواه الخطيب، وابن عساكر، وأبو نعيم في الحلية، عن النعمان بن بشير).

* قال أبو عمر بن حمدان عن الحسن بن سفيان عن إسحاق الحنظلي عن عون بن عبد الله عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال:

قالت أمه لبشير:

يا بشير: انحل ابنى النعمان.

فلم تزل به حتى نحله - حائطًا -، فقالت:

- أشهد عليه رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

فذهبت إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) فذكر له الشهادة عليه فقال (صلي الله عليه وسلم) :

-(أنحلت بنيك مثل ذلك؟).

قال بشير:

- لا.

قال عليه الصلاة والسلام:

-(فإني لا أشهد على الجور) (رواه أبو نعيم في الحلية).

وقال عون بن عبد الله:

وأما أنا فسمعت أبي يقول:

قال النبي (صلي الله عليه وسلم) :

(فسووا بينهم).

* قال عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن يحيى بن عبد الحمن عن عون ابن عبد الله عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال:

بينما كنا نسير مع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ؛ إذ سمع القوم وهم يقولون:

- أي الأعمال أفضل يا رسول الله؟

قال (صلي الله عليه وسلم) :

-(إيمان بالله وجهاد في سبيل الله).

ثم سمع نداء في الوادي:

- أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

فقال (صلي الله عليه وسلم) :

-(وأنا أشهد، ولا يشهد بها أحد بريء من الشرك) (رواه ابن عساكر، وأبو نعيم في الحلية، عن عبد الله بن سلام).

* وقال عاصم بن علي، عن المسعودي، عن عون بن عبد الله عن أبي فاختة عن الأسود، عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(إذا صليتم عليَّ فأحسنوا الصلاة، فإنَّكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليَّ) (رواه أبو نعيم في الحلية، عن عبد الله بن مسعود).

قالوا:

- فعلنا.

قال عليه الصلاة والسلام:

(قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، محمد عبدك ورسولك، اللهم ابعثه مقامًا محمودًا يغبطه الأولون والآخرون، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد).

كان عون بن عبد الله يقول:

كانوا يمثلون الذي يسمع القرآن إذا قرئ ولا يؤمن مثل جيش خرجوا فغنموا فقسموا الغنائم فأعطوا بعضهم ولم يعطوا بعضًا.

فقالوا:

- كنا جميعًا ما شأننا لا نُعطَى؟

فقال:

- إنكم لم تكونوا تؤمنون.

وكان عون بن عبد الله إذا قرأ قول السميع البصير:{وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾} [سورة يونس الآية: ٩٠].

قال:

بلغني أن جبريل قال للنبي (صلي الله عليه وسلم) :(**ما ولد إبليس أبغض إلى من فرعون، فإنه لما أدركه الغرق قال:{ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ}، فخشيت أن يقولها فيرحم، فأخذت تربة أو طينة فحشوتها في فِيهِ**).

وقيل:

فعل به هذا عقوبة له على عظيم ما كان يأتي.

وسئل عون بن عبد الله عن قوله تعالى:{ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾} [سورة النحل الآية: ٨٣].

قال:

هو قول الرجل: لولا فلان لكان كذا، ولولا فلان ما أصبت كذا، وهم يعرفون النفع والضر من عند الله.

وسئل عن قول الحق جلا وعلا:{يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾} [سورة التوبة الآية: ٣٢].

قال:

يريدون أين يطفئوا نور الإسلام ويخمدوا دين الله بتكذيبهم ولكن يأبى الله كل شيء إلا أن يتم نوره ولذلك قال:{وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا} [سورة التوبة الآية: ٤٠].

وكان عون بن عبد الله إذا قرأ:{تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾} [سورة مريم الآيتان: ٩٠ - ٩١].

قال:

قال عبد الله بن مسعود: إن الجبل ليقول للجبل: يا فلان هل مرَّ بك اليوم ذاكر لله، فإن قال: نعم.

فيقولون له:

- سر به.

ثم قرأ عبد الله:{وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾} [سورة مريم الآية: ٨٨].

قال:

- أفتراهن يسمعن الزور ولا يسمعن الخير؟

وسئل عون بن عبد الله عن قول الحق جلا وعلا:{وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾} [سورة الفرقان الآية: ٦٧].

قال عون بن عبد الله:

الإسراف أن تنفق مال غيرك.

وكان عون بن عبد الله إذا قرأ قوله تعالى:{إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾} [سورة الدخان الآيتان: ٤٣ - ٤٤].

تبسم.

فسُئِلَ عن ذلك، فقال:

علم عبد الله بن مسعود رجلاً:{إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾} [سورة الدخان الآيتان: ٤٣ - ٤٤].

والرجل يقول:

- طعام اليتيم.

فأعاد عبد الله الصواب وأعاد الرجل الخطأ، فلما رأى عبد الله لسان الرجل لا يستقيم على الصواب قال له:

- أما تحسن أن تقول طعام الفاجر؟

قال الرجل:

- بلى.

قال عبد الله بن مسعود:

- فافعل.

وكان أبو الدرداء يقرئ رجلاً:{إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾} [سورة الدخان الآيتان: ٤٣ - ٤٤].

فقال الرجل: طعام اليتيم.

فلما لم يفهم قال له:

- طعام الفاجر.

ولا حجة في هذا للجهال من أهل الزيغ، إنه يجوز إبدال الحرف من القرآن بغيره؛ لأن ذلك كان من ابن مسعود وأبي الدرداء، تقريبًا للمتعلم، وتوطئة منه له بالرجوع إلى الصواب، واستعمال الحق والتكلم بالحرف على إنزال الله وحكاية رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

وقال الزمخشري:

وبهذا يستدلّ على أن إبدال كلمة مكان كلمة، جائزٌ إذا كانت مؤدية معناها.

ومنه: أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهي أن يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير أن يخرم منها شيئًا.

قالوا:

وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة؛ لأن كلام العرب خصوصًا في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه، من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها.

وما كان أبو حنيفة - رحمه الله - يحسن الفارسية، فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر.

وسئل عون بن عبد الله عن قوله تعالى:{فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ} [سورة الملك الآية: ١١].

قال:

- وادي في جهنم.

يقول عون بن عبد الله:

ملّ أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ملة فقالوا:

- يا رسول الله! لو حدثتنا؟

فأنزل الله تعالى:{ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ } [سورة الزمر الآية: ٢٣].

ثم نعته - وصفه - فقال:{كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ } [سورة الزمر الآية: ٢٣].

وقال:

- ثم ملوا ملة أخرى.

فقالوا:

- يا رسول الله لو حدثتنا فوق الحديث ودون القصص - يعنون القرآن -.

فأنزل الله تعالى:{الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾} [سورة يوسف الآيات: ١ - ٣].

وقال عون بن عبد الله:

فأرادوا الحديث فدلَّهم على أحسن الحديث.

وأرادوا القصص فدلَّهم على أحسن القصص.

وسُئِلَ عون بن عبد الله، عن قوله تعالى:{وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا} [سورة القصص الآية: ٧٧].

فقال:

إن ناسًا يضعونها على غير موضعها، إنَّما هي: أقبل على طاعة الله - ربك - وعبادته.

وكان عون بن عبد الله إذا قرأ:{لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ} [سورة الأعراف الآية: ١٦].

قال:

قال الشيطان: طريق مكة - يعني الحج -.

وفاته:

لم أستدل على تاريخ وفاته فيما بين يدي من كتب الأعلام والتراجم.

* * *

[١٣]

حبيب الفارسي

حبيب الفارسي

كنيته:

يكنى: أبا محمد.

حضر مجلس الحسن البصري فتأثر بموعظته فخرج عما كان يملك، وأصبح صاحب مكرمات.

كان مجاب الدعوة.

البداية:

كان سبب إقبال أبي محمد على الآجلة وانتقاله عن العاجلة، حضوره مجلس الحسن البصري، فوقعت موعظته من قلبه، فخرج عما كان يتصرف فيه ثقة بالله عز وجل ومكتفيًا بضمانه.

اشترى حبيب الفارسي نفسه من الكريم المنان، وتصدق بأربعين ألف درهم في أربع دفعات، تصدق بعشرة آلاف في أول النهار وقال:

- يا رب اشتريت نفسي منك بهذا.

ثم أتبعه بعشرة آلاف أخرى فقال:

- يا رب! هذه شكر لما وفقتني له.

ثم أخرج عشرة آلاف أخرى وقال:

- رب إن تقبل مني الأولى والثانية فاقبل هذه.

ثم تصدق بعشرة آلاف أخرى فقال:

- رب إن قبلت مني الثالثة فهذه شكر لها.

وقيل:

كان الحسن البصري يجلس في مجلسه الذي يذكر فيه كل يوم، وكان حبيب أبو محمد يجلس في مجلسه الذي يأتيه فيه أهل الدنيا والتجار وهو غافل عما فيه الحسن، لا يلتفت إلى شيء من مقالته، إلى أن التفت إليه يومًا، فذكَّره الحسن بالجنة وخوفه من النار فلم يزل في تبديد ماله حتى لم يبق له شيء ثم جعل يستقرض على الله.

وقيل:

لما سمع حبيب الفارسي قول الحسن قال:

- أين يبرهمِّي درابد ادرايد جكويد.

فقيل:

- والله يا أبا محمد: يذكر الجنة والنار، ويرغب في الآخرة، ويزهد في الدنيا.

فيوقر ذلك في قلب حبيب الفارسي فقال بالفارسية:

- اذهبوا بنا إليه.

فأتى مجلس الحسن فقال جلساؤه:

- يا أبا سعيد: هذا أبو محمد حبيب قد أقبل إليك فعظه.

فأقبل الحسن البصري عليه فوقف حبيب الفارسي عليه فقال:

- أين همي كوى جكوي؟

فتساءل الحسن البصري:

- إيش يقول؟

قالوا:

هذا الذي يقول: إيش يقول؟

فأقبل عليه الحسن البصري فذكّره الجنة، وخوّفه النار، ورغَّبه في الخير، وزهَّده في الشر ورغَّبه في الآخرة، وزهَّده في الدنيا.

فقال أبو محمد:

- أين كوى؟

قال الحسن البصري:

- أنا ضامن لك على الله ذلك.

فانصرف حبيب الفارسي من عند الحسن البصري، فلم يزل في تبديد ماله حتى لم يبق على شيء، ثم جعل بعد ذلك يستقرض على الله.

الدَّيْن:

جاء رجلٌ إلى حبيب الفارسي فشكى إليه دينًا عليه.

فقال أبو محمد للرجل:

- اذهب واستقرض وأنا أضمن.

فأتى الرجل رجلاً فاقترض منه خمسمائة درهم.

وضمنها حبيب الفارسي.

ثم جاء صاحب الدَّيْن فقال:

- يا أبا محمد: دراهمي قد أضرني حبسها.

فقال حبيب الفارسي:

- نعم غدًا.

فتوضأ أبو محمد ودخل المسجد ودعا القريب المجيب.

وجاء صاحب الدَّيْن، فقال حبيب الفارسي:

- اذهب فإن وجدت في المسجد شيئًا فخذه.

فذهب صاحب الدَّيْن، فإذا في المسجد صرة فيها خمسمائة درهم.

ولما صب صاحب الدَّيْن الدراهم في حجره وجدها أكثر من خمسمائة درهم، فرجع إلى أبي محمد وقال له:

- يا أبا محمد: تلك الدراهم تزيد.

فقال حبيب الفارسي:

- إن كاني راسخت جرب سخت - اذهب هي لك - يعني من وزنها.

فوزنها فوجدها راجحة.

الدقيق:

أصاب الناس مجاعة، فاشترى حبيب الفارسي من التجار - أصحاب الدقيق - دقيقًا وسويقًا - السويق: ما يُتَّخذ من الحنطة والشعير - نسيئة - النسيئة: التأخير، أي إلى آجل - ووزعه على الناس.

وعمد أبو محمد إلى خرائطه - الخريطة: إناء من جلد أو غيره - فخيطها ووضعها تحت فراشه ثم دعا الله.

وجاء أصحاب الدقيق يطلبون حقوقهم.

فأخرج حبيب الفارسي الخرائط فإذا هي مملوءة فقال:

- زنوا.

فوزنوا، فإذا هي أكثر من حقوقهم.

شراء منزل في الجنة:

قدم رجلٌ من أهل خراسان وقد باع ما كان بها بعشرة آلاف درهم، فلما قدم البصرة هو وامرأته وهَمَّ بالخروج إلى مكة هو وزوجته، سأل لمن يودع العشرة آلاف درهم؟

فقيل:

- لحبيب أبي محمد.

فأتى الخراساني أبا محمد وقال:

- إني حاج وامرأتي وهذه العشرة الآلاف درهم أردت أن أشتري بها منزلاً بالبصرة فإن وجدت منزلاً ويخف عليك أن تشتري لنا بها فاشتر.

وسار الخراساني وامرأته إلى مكة.

وأصاب الناس بالبصرة مسغبة - المسغبة: المجاعة - فشاور حبيب الفارسي أصحابه وقال:

- هل أشتري بالعشرة آلاف درهم دقيقًا وأتصدق بها؟

فقالوا له:

- إنَّما وضعها الخراساني لتشتري بها منزلاً.

قال أبو محمد:

- أتصدق بها وأشتري بها من ربي عز وجل منزلاً في الجنة، فإن رضي وإلا دفعت للخراساني دراهمه.

واشترى حبيب الفارسي دقيقًا وخبزًا وتصدَّق بهما.

ولما قدم الخراساني من مكة أتى حبيب الفارسي فقال له:

- يا أبا محمد: أنا صحاب العشرة الآلاف، فما أدري هل اشتريت لنا منزلاً؟ أو تردها عليَّ فأشتري أنا بها؟

فقال أبو محمد:

- لقد اشتريت لك منزلاً فيه قصور وأشجار وثمار وأنهار.

فانصرف الخراساني إلى امرأته فقال لها:

- أبشري قد اشترى لنا حبيب أبو محمد منزلاً إني أراه كان لبعض الملوك قد عظم أمره وما فيه.

ثم أقام الخراساني يومين أو ثلاثة وأتى أبا محمد فقال:

- يا أبا محمد: المنزل؟

قال حبيب الفارسي:

- قد اشتريت لك منزلاً من ربي في الجنة بقصوره وأنهاره ووصفائه.

فانصرف الخراساني إلى امرأته فقال لها:

- إن حبيبًا إنَّما اشترى لنا من ربه المنزل في الجنة.

فقالت الزوجة:

- يا فلان: أرجو أن يكون قد وفق الله حبيبًا وما قدر ما يكون لبثنا في الدنيا، فارجع إليه فليكتب لنا كتابًا بعهدة المنزل.

فأتى الخراساني أبا محمد فقال له:

- يا أبا محمد: قبلنا ما اشتريت لنا، فاكتب لنا كتاب عهدة.

فقال حبيب الفارسي:

- نعم.

فدعا أبو محمد من يكتب له الكتاب.

فكتب.

بسم الله الرحمن الرحيم.

هذا ما اشترى حبيب أبو محمد من ربه عز وجل لفلان الخراساني، اشترى له منزلاً في الجنة بقصوره وأنهاره وأشجاره، ووصفائه، ووصيفاته بعشرة آلاف درهم،

فعلى ربه تعالى أن يدفع هذا المنزل إلى فلان الخراساني ويبرئ حبيبًا من عهدته.

فأخذ الخراساني الكتاب وانطلق به إلى امرأته فدفعه إليها.

وأقام الخراساني نحوًا من أربعين يومًا، ثم حضرته الوفاة فأوصى إلى امرأته إذا غسّلوه وكفّنوه أن يجعلوا هذا الكتاب في أكفانه.

ففعلوا.

ودفن الرجل الخراساني.

ووجد على ظهر قبره في رق كتابًا أسود في ضوء الرق:

براءة لحبيب أبي محمد من المنزل الذي اشتراه لفلان الخراساني بعشرة آلاف درهم، فقد دفع ربه إلى الخراساني ما شرط له حبيب وبرأه منه.

فأتى حبيب الفارسي بالكتاب فجعل يقرؤه ويقبله ويبكي ويمشي إلى أصحابه ويقول:

هذه براءاتي من ربي عز وجل:

لا أدري:

جاء رجلٌ حبيب الفارسي فقال له:

- إني أجد وجعًا في رجلي.

فقال له رجل من الحاضرين:

- اجلس حتى يتفرق الناس.

فلما خرج الناس، قام الرجل فقدم إلى حبيب الفارسي مصحفًا فعلقه في عنقه ثم قال:

- يا خذا حبيب رسوا مياش: لا تسود وجه حبيب، اللهم عافه حتى ينصرف ولا يدري في أي رجليه كان الوجع؟

فوجد الرجل العافية.

فلما سألوه:

في أي رجلك كان الوجع.

قال:

- لا أدري.

خبزوه وجعلوا معه لحما:

أتى أبا محمد سائل وقد عجنت عمرة امرأة حبيب الفارسي عجينًا وذهبت تجيء بنار تخبزه.

فقال حبيب الفارسي للسائل:

- خذ العجين.

فاحتمل السائل العجين.

ولما رجعت عمرة تساءلت:

- أين العجين؟

قال حبيب الفارسي:

- ذهبوا يخبزونه.

فلما أكثرت امرأة أبي محمد عليه أخبرها فقالت:

- سبحان الله! لابد لنا من شيء نأكله.

فإذا برجل قد جاء بجفنة عظيمة مملوءة خبزًا ولحمًا.

فقالت عمرة لأبي محمد:

- ما أسرع ما ردوه عليك، قد خبزوه وجعلوا معه لحمًا.

اكتم ما رأيت:

قال حماد:

جاءت امرأة أبا محمد فقالت له:

- يا أبا محمد: نان نيست مارا.

فقال لها حبيب الفارسي:

- كم لك من العيال؟

قالت المرأة:

- كذا وكذا.

فقام حبيب إلى وضوئه فتوضأ ثم جاء إلى الصلاة فصلى بخضوع وسكون.

فلما قال:

- يا رب! إن الناس يحسنون ظنهم بي، وذلك من سترك عليَّ، فلا تخلف ظنهم بي.

ثم رفع حصيره - التي صلى عليها - فإذا بخمسين درهمًا طارحة.

فأعطاها المرأة.

ثم قال:

- يا حماد: اكتم ما رأيت حياتي.

لا تقطع رجاك من الله عز وجل:

قال أبو بشر الدولابي عن زكريا بن يحيى الوقاد عن صالح الملاي عن حبيب الفارسي عن الفرزدق قال:

لقيت أبا هريرة بالشام فقال لي:

- أنت الفرزدق؟

قلت:
- نعم.
فقال أبو هريرة:
- أنت الشاعر؟
قلت:
- نعم.
فقال أبو هريرة:
- أما إنه إن طالت بك حياة ستلقى أقوامًا يقولون لا توبة لك فلا تقطع رجاك من الله عز وجل.

يستحي من الناس فيعطيني:

جاء رجلٌ إلى حبيب الفارسي فقال له:
- إني لي عليك ثلاث مائة درهم.
فتساءل أبو محمد:
- من أين؟
قال الرجل:
- لي عليك ثلاث مائة درهم.
فقال حبيب الفارسي:
- اذهب إلى غد.
فلما كان من الليل توضأ أبو محمد وصلى وقال:
- اللهم إن كان صادقًا فأدِّ إليه، وإن كان كاذبًا فابتله في بدنه.
فجيء بالرجل من غد قد حمل وقد ضرب شقة الفالج - أصيب بشلل نصفي -.

فسأله حبيب الفارسي:

- ما لك؟

قال الرجل:

- أنا الذي جئتك بالأمس لم يكن لي عليك شيء، وإنَّما قلت يستحي من الناس فيعطيني.

فقال أبو محمد:

- اللهم إن كان صادقًا فألبسه العافية.

فقام الرجل معافى كأن لم يكن به شيء.

إن أبا محمد مُستجاب الدعوة:

كان حبيب الفارسي ومحمد بن واسع وعبد الواحد بن زيد، عند مالك بن دينار عندما جاء رجل، فكلم مالك بن دينار فأغلظ في قسمة قسمها، وقال:

- وضعتها في غير حقها وتتبعت بها أهل مجلسك ومن يغشاك لتكثر غاشيتك - من يلتف حوله من الناس ويدخلون عليه - وتصرف وجوه الناس إليك.

فبكى مالك بن دينار وقال:

- والله ما أردت هذا.

قال الرجل:

- بلى والله أردت هذا.

فجعل مالك بن دينار يبكي والرجل يغلظ له.

فلما أكثر ذلك الرجل على مالك بن دينار وأصحابه، رفع حبيب الفارسي يديه إلى السماء وقال:

- اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك فارحمنا منه كيف شئت.

فسقط الرجل على وجهه، فلما نظروا إليه وجدوه ميتًا، فحُمِلَ إلى أهله على سرير.

فكان يُقال:

إن أبا محمد مستجاب الدعوة.

قالوا عن حبيب الفارسي:

* قال جعفر:

كان حبيب أبو محمد رقيقًا من أكثر الناس بكاء، فبكى ذات ليلة كثيرًا، فقالت عمرة بالفارسية:

- لِم تبك يا أبا محمد؟

فقال لها حبيب الفارسي:

- دعيني فإني أريد أن أسلك طريقًا لم أسلكه قبل.

* قال خلف بن الوليد:

اشترى حبيب الفارسي نفسه من ربه أربع مرات بأربعين ألف درهم، أخرج بدرة - كيس أو صُرَّة تتسع لعشرة آلاف درهم - فقال:

يا رب! اشتريت منك نفسي بهذه.

ثم أخرج أخرى فقال:

إلـهي إن كنت لم تقبل الأولى والثانية، فاقبل هذه.

ثم أخرج الرابعة فقال:

إلـهي إن كنت قبلت الثالثة، فهذه شكرًا لها.

* قال السري بن يحيى:

كان حبيب أبو محمد يُرى يوم التروية بالبصرة - سمي يوم التروية لأنهم كانوا يتروون فيه من الماء لما بعد - ويُرى يوم عرفة بعرفات.

* قال إسماعيل بن زكريا - كان جارًا لحبيب أبي محمد -:

كنت إذا أمسيت سمعت بكاءه وإذا أصبحت سمعت بكاءه، فأتيت أهله فقلت:

- ما شأنه؟ يبكي إذا أمسى ويبكي إذا أصبح؟

فقالت عمرة:

- يخاف والله إذا أمسى أن لا يصبح، وإذا أصبح أن لا يمسي.

* قال أحمد بن عبد الله:

كان حبيب مشغولاً بالتعبد.

من أقوال حبيب الفارسي:

كان أبو محمد يقول:

* إن من سعادة المرء إذا مات ماتت معه ذنوبه.

* والله إن الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز، ولو أن الله دعاني يوم القيامة، فقال:

- يا حبيب.

فقلت:

- لبيك.

فقال:

جئتني بصلاة يوم أو صوم يوم أو ركعة أو سجدة أو تسبيحة اتقيت عليها من إبليس أن يكون طعن فيها طعنة فأفسدها ما استطعت.

* لا تقعدوا فراغًا فإن الموت يليكم.

* لا أكون في صحراء ليس عليَّ إلا ظلَّة وأنا بإزاء ربي - بحذاء ربي - أحب إليَّ من جنتكم هذه.

* لا قرة عين لمن لا تقرّ عينه بك، ولا فرح لمن لا يفرح بك، وعزتك إنك تعلم أني أحبك.

* وقال:

ها قد تغـــذيت وطابـــت نفســـي ::: فلـــيس في الحـــي غـــلام مثلـــي

إلا غلام قد تغذى قبلي

* سبحانك وحنانيك، خلقت فسويت، وقدرت فهديت، وأعطيت فأغنيت، وأقنيت وعافيت، وعفوت وأعطيت.

فلك الحمد على ما أعطيت، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، حمدًا لا ينقطع أوله ولا ينفد - ينتهي - آخره، حمدًا أنت منتهاه، فتكون الجنة عقباه.

أنت الكريم الأعلى، وأنت جزيل العطاء، وأنت أهل النعماء، وأنت ولي الحسنات، وأنت خليل إبراهيم، لا يخفيك سائل، ولا ينقصك نائل، ولا يبلغ مدحك قول قائل: سجد وجهي لوجهك الكريم.

ثم يخر فيسجد ويسجد معه أصحابه.

ثم يفرق الصدقة على من حضره من المساكين.

وفاة حبيب الفارسي:

لما اشتكى - مرض - أبو محمد، كان يقول لامرأته عمرة:

إن مت اليوم فأرسلي إلى فلان يغسلني وافعلي كذا واصنعي كذا.

فقيل لعمرة:

- أرأى رؤيا؟

قالت:

- هذا يقوله كل يوم.

ولما حضرت الوفاة حبيبًا الفارسي جزع جزعًا شديدًا فجعل يقول بالفارسية:

أريد أن أسافر سفرًا ما سافرته قط.

أريد أن أسلك طريقًا ما سلكته قط.

أريد أن أزور سيدي ومولاي وما رأيته قط.

أريد أن أشرف على أهل أهوال ما شهدت مثلها قط.

أريد أن أدخل تحت التراب فأبقى تحته إلى يوم القيامة.

ثم أقف بين يدي الله فأخاف أن يقول لي:

يا حبيب! هات تسبيحة واحدة سبحتني في ستين سنة لم يظفر الشيطان فيها بشيء، فماذا أقول وليس لي حيلة؟

أقول:

يا رب: هو ذا قد أتيتك مقبوض اليدين إلى عنقي.

يقول عبد الواحد:

هذا عَبَدَ الله ستين سنة مشتغلاً به ولم يشتغل من الدنيا بشيء قط.

فأي شيء حالنا؟

واغوثاه بالله.

* * *

الجنيد بن الجنيد

مواقف ومواعظ

مـن حيـاة التابعيـن

[١٤]

الجنيد بن الجنيد

الجنيد بن محمد بن الجنيد

أصله ومنشأه ومولده:

أصله من نهاوند، إلا مولده ومنشأه بغداد.

كنيته:

يكنى: أبا القاسم.

كان أبوه يبيع الزجاج.

وكان أبو القاسم الخزاز القواريري خزازًا.

كان شيخ وقته وفريد عصره، تفقه على أبي ثور صاحب الإمام الشافعي.

وقيل:

بل كان فقيهًا على مذهب سفيان الثوري.

صحب خاله السري السقطي، والحارث المحاسبي، وغيرهما من جلَّة المشايخ والفقهاء.

كيف الطريق إلى الله!

سأل رجل الجنيد بن محمد بن الجنيد:

- كيف الطريق إلى الله؟

قال أبو القاسم:

- توبة تحل الإصرار، وخوف يزيل الغرة، ورجاء مزعج - يقلقه ويقلعه من مكانه - إلى طريق الخيرات، ومراقبة الله عز وجل في خواطر القلوب.

ألا خرجت مع الخاطر الأول!

قال خير:

كنت يومًا جالسًا في بيتى، فخطر لي خاطر أن أبا القاسم جنيدًا بالباب اخرج إليه.

فنفيت ذلك الخاطر عن قلبي وقلت:

- وسوسة.

فوقع لي خاطر ثان يقتضي مني الخروج.

إن الجنيد على الباب فاخرج إليه.

فنفيت ذلك عن سري.

فوقع لي خاطر ثالث، فعلمت أنه حق وليس بوسوسة.

ففتحت الباب، فإذا أنا بالْجُنَيدِ قائم، فسلم عليَّ، وقال:

- يا خير: ألا خرجت مع الخاطر الأول؟

الأيام:

قال أبو العباس بن مسروق:

مررت مع الجنيد في بعض دروب بغداد، وإذا مغنٍّ يغني:

منازل كنت هواها وتألفها ::: أيام كنت على الأيام منصور

فبكى الجنيد بكاءً شديدًا.

ثم قال:

- يا أبا العباس: ما أطيب منازل الألفة والأنس، وأوحش مقامات المخالفات، لا أزال أحن إلى بدو إرادتي وجدة سعيى.

تذنب بالرحبة ونستغفر لك ببغداد!

قال أبو عمرو بن علوان:

خرجت يومًا إلى سوق الرحبة - مكان بالشام - في حاجة، فرأيت جنازة فتبعتها لأصلّي عليها.

ووقفت حتى يدفن الميت، فوقعت عيني على امرأة مسفرة - سفرت المرأة: كشفت عن وجهها فهي سافرة - من غير تعمد، فألححت بالنظر.

واسترجعت - قلت: إنا لله وإنّا إليه راجعون - واستغفرت الله تعالى.

وعدت إلى منزلي فقالت لي عجوز:

- يا سيدي: ما لي أرى وجهك أسود؟

فأخذت المرآة فنظرت فإذا وجهي أسود.

فرجعت إلى سري أنظر من أين دهيت؟ فذكرت النظرة إلى المرأة المسفرة وإلحاحي بالنظر.

فانفردت في موضع أستغفر الله غفّار الذنوب وأسأله الإقالة أربعين يومًا.

فخطر في قلبي أن أزور شيخ الجنيد.

فانحدرت إلى بغداد، فلما جئت الحجرة التي هو فيها طرقت الباب فقال لي:

- ادخل يا أبا عمرو.

فلما دخلت نظر إليَّ وتبسم وقال:

- تذنب بالرحبة ونستغفر لك ببغداد؟

الحنظلة:

قال الجنيد بن محمد بن الجنيد:

دخلت البادية بعقد التوكل في وسط السنة، فمضت عليَّ أيام فانتهيت إلى مجمع ماء وخضرة، فتوضأت وملأت ركوتي وقمت أركع، فإذا بشاب قد أقبل بزي التجار كأنه غدا من بيته إلى سوقه أو يرجع من سوقه إلى بيته، فسلم عليَّ فقلت:

- الشاب من أين؟

فقال الشاب:

- من بغداد.

فقلت:

- متى خرجت من بغداد؟

قال الشاب:

- أمس.

فتعجب منه، وكنت قد مضت عليَّ أيام حتى بلغت إلى ذلك الموضع.

وجلس يكلمني وأكلمه، فأخرج شيئًا من كمه يأكله.

فقلت له:

- أطعمني مما تأكل.

فوضع في يدي حنظلة - ثمرة نبات صحراوي معروف بالمرارة -.

فأكلتها فوجدت طعمها كالرطب.

فلما دخلت مكة وبدأت بالطواف أحسست بيد تجذب ثوبي من ورائي، فالتفت فإذا أنا بشاب كالشن البالي - كالقربة القديمة - عليه

قطعة عباء وعلى عاتقه بعضه.

فقلت له:

- زدني معرفة.

فقال:

- أنا الشاب الذي أطعمك الحنظلة.

فقلت له:

- ما شأنك؟

فقال الشاب:

- يا أبا القاسم: ذرؤنا - ذرأ: خلق - حتى إذا أوقعنا قالوا: استمسك.

خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار:

قال أبو القاسم:

حججت على الوحدة - أي: منفردًا بنفسه - فجاورت بمكة، فكنت إذا جنَّ - ستر - الليل، دخلت الطواف، فإذا أنا بجارية تطوف وتقول:

أبي الحب أن يخفى وكم قد كتمته ::: فأصبح عندي قد أناخ وطنبا
إذا اشتد شوقي هام قلبي بذكره ::: وإن رمت قربًا من حبيبي تقربا
ويبدو فأَفْنَى ثم أحيا به له ::: ويسعدني حتى ألذ وأطربا

طنب بالمكان: أقام.

فقلت لها:

- يا جارية: أما تتقين الله تعالى؟ في مثل هذا المكان تتكلمين بمثل هذا الكلام؟

فالتفتت إليَّ وقالت:

- يا جنيد:

لـــــولا التقـــــى لم تـــــرني ::: أهجـــــر طيـــــب الوَســـــنِ
إن التقـــــــى شـــــــرَّدَني ::: كمـــــا تـــــرى عـــــن وطـــــني
أفـــــر مـــــن وجـــــدي بـــــه ::: فحبـــــــــه هـــــــــيَّمَني

ثم قالت:

- يا جنيد: تطوف بالبيت أم برب البيت؟

فقلت:

- أطوف بالبيت.

فرفعت رأسها إلى السماء وقالت:

- سبحانك! ما أعظم مشيئتك في خلقك! خَلْقٌ كالأحجار يطوفون بالأحجار.

ثم أنشأت تقول:

يطوفون بالأحجار يبغـــون قربـــة ::: إليك وهم أقسى قلوبًا من الصخر
وتاهوا فلم يدروا من التيه من هم ::: وخلوا محل القرب في باطن الفكر
فلو أخلصوا في الود غابت صفاقم ::: وقامت صفات الود للحق بالذكر

قال الجنيد:

فغشي عليَّ من قولها.

فلما أفقتُ، لم أرها.

الأرض لا تخلو من أولياء الله:

كتب الجنيد بن محمد بن الجنيد إلى بعض إخوانه كتابًا يقول فيه:

إن الله جل ثناؤه لا يخلي الأرض من أوليائه، ولا يعريها من أحبائه، ليحفظ بهم من جعلهم سببًا لحفظه، ويحفظ بهم من جعلهم

سببًا لكونه.

وأنا أسأل المنان بفضله وطَوْلِه أن يجعلنا من الأمناء على سرِّه، الحافظين لما استحفظوه من جليل أمره، تجميلاً منه لنا بأعظم الرتب، وإشرافًا بنا على كل ظاهر ومحتجب، وقد رأيت الله تعالى تقدست أسماؤه زيَّن بسيط أرضه وفسيح سعة ملكه بأوليائه وأُولي العلم به وجعلهم أبهج لامع سطع نوره، وعن قلوب العارفين ظهوره، وهم أحسن زينة من السماء البهجة بيضاء نجومها، ونور شمسها وقمرها.

أولئك أعلام لمناهج سبيل هدايته، ومسالك طرق القاصدين إلى طاعته، ومنار نور على مدارج الساعين إلى موافقته، وهم أبين في منافع الخليقة أثرًا، وأوضح في دفاع المضار على البرية خيرًا من النجوم التي بها ظلمات البر والبحر يُهْتَدَى، وبآثارها عند ملتبس المسالك يُقتَدَى؛ لأن دلالات النجوم تكون بها تجاه الأموال والأبدان، ودلالات العلماء بها تكون سلامة الأديان، وشتان بين من يفوز بسلامة دينه ومن يفوز بسلامة دنياه وبدنه.

السبحة:

رئى يومًا في يد الجنيد بن محمد بن الجنيد سبحة فقيل له:

- يا أبا القاسم: أنت مع شرفك تأخذ في يدك سبحة؟

فقال الجنيد:

- طريق وصلت به إلى ربي لا أفارقه.

أبيات سمعتها:

يقول الجنيد بن محمد بن الجنيد:

- ما انتفعت بشيء انتفاعتي بأبيات سمعتها.

فقيل له:

- ما هي؟

قال أبو القاسم:

- مررت بدرب القراطيس فسمعت جارية تغنى من دار فأنصَتُّ لها.

فسمعتها تقول:

إذا قلت أهدى الهجر لي حُلَل البلى ::: تقولين لولا الهجر لم يطب الحبُّ
وإن قلتُ هذا القلبُ أحْرَقه الهوى ::: تقولي بنيران الهوى شَرُفَ القلبُ
وإن قلت ما أذنبتُ قلت مجيبةً ::: حياتُكَ ذنبٌ لا يُقاسُ به ذنبُ

فصعقت وصحت.

وبينما أنا كذلك إذا بصاحب الدار قد خرج فقال:

- ما هذا يا سيدي؟

فقلت له:

- مما سمعت.

فقال صاحب الدار:

- أشهدك أنها هبة مني لك.

فقلت:

- قد قبلتها وهي حرة لوجه الله تعالى.

ثم زوجتها لبعض أصحابنا بالرباط، فولدت له ولدًا نبيلاً، نشأ أحْسن نشوء وحج على قدميه ثلاثين حجة.

أسلم فقد حان وقت إسلامك:

يقول أبو القاسم:

قال لي خالي سري السقطي:

تكلم على الناس.

وكان في قلبي حشمة من الناس، فإني كنت أتهم نفسي في استحقاقي ذلك.

فرأيت ليلة رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، وكانت ليلة جمعة فقال لي:

- تكلم على الناس.

فانتبهت، وأتيت باب السري قبل أن أصبح، فدققت الباب فقال لي:

- لم تصدقنا حتى قيل لك - لم تكلم الناس حتى قال لك رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في الرؤيا -.

فقعدت في غد الناس للناس بالجامع.

وانتشر الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس.

فوقف عَلَيَّ غلام نصراني متنكرًا وقال:

- يا شيخ: ما معنى قول رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله؟).

فأطرقت ثم رفعت رأسي وقلت:

- أسلم فقد حان وقت إسلامك.

فأسلم الغلام النصراني.

صف لي دواء:

خرج الجنيد بن محمد بن الجنيد يومًا إلى الحج، فتحولت الناقة

إلى طريق القسطنطينية مدينة الروم، فرد الجنيد ناقته نحو أم القرى ولكن الناقة تحولت نحو القسطنطينية مرة أخرى، فتركها الجنيد.

فلما دخل الجنيد مدينة القسطنطينية، وجد أهلها في قيل وقال. فسأل عن ذلك، فقيل له:

- إن ابنة الملك أصابها جنون وهم يطلبون طبيبًا.

فقال الجنيد بن محمد بن الجنيد:

- أنا أداويها.

فأدخلوه عليها، فنادت ابنة الملك من داخل الباب:

- يا جنيد: لِمَ تجذبك الناقة إلينا فتردها عنا؟

فلما رأى الجنيد ابن الملك، فإذا هي من أحسن النساء والقيد في عنقها ورجليها.

قالت ابنة الملك:

- صف لي دواء؟

فقال الجنيد بن محمد بن الجنيد لها:

- قولي: لا إله إلا الله.

فقالت بصوت مرفتع:

- لا إله إلا الله.

فسقط الغل من عنقها ورجليها.

فقال الملك للجنيد:

- ما أحسنك من طبيب فداوني.

فقال الجنيد بن محمد للملك:

- قل: لا إله إلا الله.

فنطق أبو الفتاة بشهادة الحق... وأسلم وأسلم معه خلق كثير.

هل قامت القيامة!

وقال أبو القاسم:

كان أحد الصالحين يزور المقابر فأدركه النوم ذات ليلة، فرأى الأموات على قبورهم فسألهم:

- هل قامت القيامة؟

قالوا:

- لا ولكن مر علينا ثابت البناني منذ عشرين سنة فقرأ: {قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾} [سورة الإخلاص الآيات: ١ - ٤]، ثلاثين مرة وجعل ثوابها لنا فنحن نتقاسمها من ذلك اليوم فما استوفينا بعد.

سأل أحمد بن جعفر بن هانئ الجنيدَ:

- يا أبا القاسم: متى يكون الرجل موصوفًا بالعقل؟

قال الجنيد بن محمد بن الجنيد:

إذا كان للأمور مميزًا، ولها متصفحًا، وعما يوجبه عليه العقل باحثًا: يبحث يلتمس بذلك طلب الذي هو به أولى، ليعمل به ويؤثره على ما سواه، فإذا كان كذلك فمن وصفته ركوب الفضل في كل أحواله بعد إحكام العمل بما قد فرض عليه.

وليس من صفة العقلاء إغفال النظر لما هو أحق وأولى ولا من صفتهم الرضا بالنقص والتقصير، فمن كانت هذه صفته بعد إحكامه لما يجب عليه من عمله ترك التشاغل بما يزول وترك العمل بما يفنى وينقضي، وذلك صفة كل ما حوت عليه الدنيا.

وكذلك لا يرضى أن يشغل نفسه بقليل زائل، ويسير حائل، يصده التشاغل به والعمل له عن أمور الآخرة التي يدوم نعيمها ونفعها

ويتصل بقاؤها.

وذلك أن الذي يدوم نفعه ويبقى على العامل له حظه وما سوى ذلك زائل متروك مفارق موروث يخاف مع تركه سوء العاقبة فيه ومحاسبة الله عز وجل عليه.

فكذلك صفة العاقل لتصفحه الأمور بعقله، والأخذ منها بأوفره، قال تعالى: {ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾} [سورة الزمر الآية: ١٨].

كذلك وصفهم الله عز وجل، وذو الألباب ذوو العقول، إنَّما وقع الثناء عليهم بما وصفهم الله تبارك وتعالى به للأخذ بأحسن الأمور عند استماعها وأحسن الأمور وهو أفضلها وأبقاها على أهلها نفعًا في العاجل والآجل.

وإلى ذلك ندب الله عز وجل من عقل كتابه.

أنا فلان الجني:

قال الجنيد:

رأيت بعد أن أديت وردي ووضعت جنبي لأنام كأن هاتفًا يهتف بي:

- إن شخصًا ينتظرك في المسجد.

فخرجت فإذا شخص واقف في سواء المسجد فقال لي:

- يا أبا القاسم: متى تصير النفس داؤها ودواءها؟

قلت:

- إذا خالفت هواها صار داؤها دواءها.

قال:

قلت هذا لنفسي، فقالت: لا أقبل منك حتى تسأل عنه الجنيد.

فقلت:

- من أنت؟

قال:

- أنا فلان الجني، وقد جئت إليك من المغرب.

من دعاء الجنيد:

كان أبو القاسم يدعو بهذا الدعاء.

اللهم إني أسألك منك ما هو لك، وأستعيذك من كل أمر يسخطك.

اللهم إني أسألك من صفاء الصفاء، صفاء أنال به منك شرف العطاء.

اللهم ولا تشغلني شغل من شغله عنك ما أراد منك إلا أن يكون لك.

اللهم اجعلني ممن يذكرك ذكر من لا يريد بذاكر منك إلا ما هو لك.

اللهم اجعل غاية قصدي إليك ما أطلبه منك.

اللهم املأ قلبي بك فرحًا ولساني لك ذكرًا وجوارحي فيما يرضيك شغلاً.

اللهم امح عن قلبي كل ذكر إلا ذكرك، وكل حب إلا حبك، وكل ود إلا ودك، وكل إجلال إلا إجلالك، وكل تعظيم إلا تعظيمك، وكل رجاء إلا إليك، وكل خوف إلا منك، وكل رغبة إلا إليك، وكل رهبة إلا لك، وكل سؤال إلا منك.

اللهم اجعلني ممن يقصد إليك قصد من لا رجوع له إلا إليك.

اللهم اجعل رضائي بحكمك فيما ابتليتني في كل وقت متصلاً

غير منفصل، واجعل صبري لك على طاعتك صبر من ليس له عن الصبر صبر إلا القيام بالصبر بقوة العصمة منك له.

اللهم واجعلني ممن يستعين بك استعانة من استغنى بقوتك عن جميع خلقك.

اللهم واجعلني ممن يلجأ إليك لجوء من لا ملجأ له إلا إليك، واجعلني ممن يتعزى بعزائك ويصبر لقضائك أبدًا ما أبقيتني.

اللهم وكل سؤال سألته فعن أمر منك لي بالسؤال، فاجعل سؤالي لك سؤال محابك ولا تجعلني ممن يتعمد بسؤاله مواضع الحظوظ بل يسأل القيام بواجب حقك.

إلـهي:

ليس في أفق سماواتك ولا في قرار أرضك في فسحات أقاليمها من يحب أن يحمد غيرك؛ إذ أنت منشئ المنشآت لا نعرف شيئًا إلا منك وكيف لا تعرفك الأشياء ولم يقر الخلق إلا لك وبدؤه منك وأمره إليك وعلانيته وسره محصي في إرادتك؟ فأنت المعطي والمانع وقضاؤك الضار والنافع، وحلمك يمهل خلقك وقضاؤك يمحو ما تشاء من قدرك.

إلـهي:

كيف أنظر إن نظرت إلا إلى رحمتك، وإن غضضت فعلى نعمك، فمن فضلك جعلت حكمك يحتمل على عطفك ومن فضلك جعلت نعمك تعم جميع خلقك.

فهب لي من لدنك - من عندك - ما لا يملك غيرك مما تعلمه يا وهَّاب يا فعَّال لما يريد.

واجعلني من خاصة أوليائك يا خير مدعو وأكرم راحم إنك أنت

على كل شيء قدير.

الجنيد وأحاديث طبيب القلوب والعقول والنفوس (صلي الله عليه وسلم) :

أسند الجنيد الحديث عن الحسن بن عرفة.

* قال أحمد بن علي بن ثابت عن أبي سعيد الماليني عن أبي القاسم عمر بن محمد بن مقبل عن أبي جعفر الخلدي، عن الجنيد بن محمد، عن حسن بن عرفة، عن محمد بن كثير الكوفي عن عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله).

ثم قرأ:{إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾} [سورة الحجر الآية: ٧٥].

المتوســمين: المفرسِين، المتأملين (أخرجه الترمذي في التفسير، وأخرجه البخاري في التاريخ، والطبراني في المعجم الكبير، وابن عدي في الكامل).

ولا يعرف للجنيد غير هذا الحديث.

وقيل:

روى عن ابن مسعود أنه قال:

كنت أرعى غنمًا لعقبة بن أبي مُعَيْطٍ وذكر الحديث، وقال في آخره:

قال لي النبي (صلي الله عليه وسلم) :

(إنك غلام معلم).

من أقوال الجنيد بن محمد الجنيد:

كان أبو القاسم يقول:

* معاشر الفقراء: إنَّما عُرفتهم بالله وتُكرمون له، فإذا خلوتم به فانظروا كيف تكونون معه؟

* علامة إعراض الله عز وجل عن العبد - إعراض العبد عن الله - أن يشغله بما لا يعنيه.

* الطريق إلى الله عز وجل مسدود على خلق الله عز وجل، إلا على المقتفين آثار رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، والتابعين لسنته، كما قال الله عز وجل:{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [سورة الأحزاب الآية: ٢١].

* لقد مشى رجال باليقين على الماء، ومات رجال بالعطش أفضل منهم يقينًا.

* فتح كل باب وكل علم نفيس، بذل المجهود.

* لولا أنه يروى أنه يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ما تكلمت إليكم.

* أضر ما على أهل الديانات الدعاوى.

* احذر أن تكون ثناءً منشورًا وعيبًا مستورًا.

* المروءة احتمال زلل الإخوان.

* الإنسان يتسع على ما يرد على العالم، لأني قد أصلت أصلاً وهو: أن الدار دار غم وهمّ وبلاء وفتنة، وأن العالم كله شر، ومن حكمه أن يتلقاني بكل ما أكره، فإن تلقاني بما أحب فهو فضل، وإلا فالأصل الأول.

* كان يعارضني في بعض أوقاتي أن أجعل نفسي كيوسف -

عليه السلام - وأكون أنا كيعقوب - عليه السلام - فأحزن على ما فقدت من نفسي كما حزن يعقوب - عليه السلام - على فقد يوسف - عليه السلام - فمكثت مدة أعمل على حسب ذلك.

* لو أقبل صادقًا على الله عز وجل ألف ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله.

* قال رجل لأبي القاسم:

- علام يتأسَّف المحب؟

قال الجنيد بن محمد بن الجنيد:

- على زمان بسط أو رث قبضًا أو زمان أنس أورث وحشة.

وأنشأ يقول:

قد كان لي مشرب يصفو برؤيتكم ::: فكدرته يد الأيـــام حـــين صـــفا

* يا فتى:

الزم العلم ولو ورد عليك من الأحوال ما ورد ويكون العلم مصحوبك، فالأحوال تندرج فيك وتنفد؛ لأن الله عز وجل يقول: {وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا} [سورة آل عمران الآية: ٧].

* العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رءوس الملوك.

* ما من شيء أسقط للعلماء من عين الله من مساكنة الطمع مع العلم في قلوبهم.

* قيل للجنيد:

- ما القناعة؟

قال أبو القاسم:

- ألا تتجاوز إرادتك ما هو لك في وقتك؟

* إن بدت عين من الكرم ألحقت المسيء بالمحسن.

قيل:

- متى تبدو؟

قال الجنيد:

هي بادية، قال الله عز وجل: سبقت رحمتي غضبي.

* من ظن أنه يصل ببذل المجهود فمتعن، ومن ظن أنه يصل بغير بذلك المجهود فمتعن، ومتعلم يتعلم الحقيقة يوصله الله إلى الهداية قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(كل ميسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له).

* لا تيأس من نفسك وأنت تشفق من ذنبك، وتندم عليك بعد فعلك.

* كان التوكل حقيقة واليوم هو علم.

* منذ عشرين سنة ما نصابت أحدًا إلى حق فعاد إليَّ.

* إذا أصبت من يصبر على الحق فتمسك به.

قيل:

- أنى به؟

قال أبو القاسم:

- هات لي من يصبر على سماع الحق لا يتعرض إليه.

* لو بدت عين الكرم لألحقت المسيئين بالمحسنين، وبقيت أعمال العاملين فضلاً لهم.

* عليكم بحفظ الهمة فإن حفظ الهمة مقدمة الأشياء.

* سأل أصحاب الجنيد أبا القاسم يومًا:

- يا أستاذ: متى يكون الله عز وجل مقبلاً على عبده؟

فلهى عنهم ولم يجبهم فألحُّوا عليه فقال:

- واعجباه! يقف بين يدي ربه بلا حضور ويقتضي بهذه الوقفة إقبالاً؟!

* وسُئِلَ الجنيد عن حقيقة الشكر فقال:

- ألا يُستعان بشيء من نعمه على معاصيه؟

* الورع في الكلام أشد منه في الاكتساب.

تحمل عظيم الجرم ممن تحبه ::: وكنت مظلومًا فقل أنا ظالم

* لا تسكن إلى نفسك وإن دامت طاعتها لك في طاعة ربك.

* وقال الجنيد:

أناس أمناهم فنسوا حديثنا ::: فلما كتمنا السر عنهم تقولوا
ولم يحفظوا الود الذي كان بيننا ::: ولا حين هموا بالقطيعة أجملوا

* متى أردت أن تشرف بالعلم وتنسب إليه بالعلم وتكون من أهله قبل أن تعطي العلم ما له عليك احتجب عنك نوره وبقى عليه وسمه وظهوره، ذلك العلم عليك لا لك، وذلك أن العلم يشير إلى استعماله وإذا لم يستعمل العلم في مراتبه رحلت بركاته.

* قال الجنيد:

هل من سبيل إلى حبيب ::: أوقفني موقف العبيد
والله لو بدأني ::: بكل ضر من الصدود
ما كان من هواه بد ::: ولو تقطعت بالوجود

يا من هو كل يوم في شأن: اجعلني من بعض شأنك.

* سأل سائلٌ أبا القاسم:

العناية قبل أم البداية؟

قال الجنيد:

- العناية قبل الطين والماء.

* المريد الصادق غنيٌّ عن علوم العلماء يعمل على بيان يرى وجه الحق من وجوه الحق ويتوقى وجوه الشر من وجوه الشر.

* اعتللت - مرضت - بمكة فقوى على فيها الوجود حتى لم أقدر أن أقول سبحان الله والحمد لله.

* مكثت مدة طويلة لا يقدم أحد البلد من الفقراء إلا سلبت حالي ودفعت إلى حاله فأطلبه حتى إذا وجدته تكلمت بحاله وكنت إلا أرى في النوم شيئًا إلا رأيته في اليقظة.

* البلاء على ثلاثة أوجه:

على المخلصين عقوبات.

وعلى الصادقين تمحيص جنايات.

وعلى الأنبياء من صدق الاختيارات.

* قيل للجنيد:

- يا أبا القاسم: ما نراك تتحرك.

قال أبو القاسم:

-{وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ} [سورة النمل الآية: ٨٨].

* أعلى درجة الكبر وشرها: أن ترى نفسك ودونها وأدناها في الشر أن تخطر ببالك.

* وسُئِلَ الجنيد عن الدنيا:

- ما هي؟

قال أبو القاسم:

- ما دنا - اقترب - من القلب وشغل عن الله.

* لا تكون عبدًا لله بالكلية حتى لا يبقى عليك من غير الله بقية.

* لا تكن عبد الله حقًا وأنت لشيء سواه مُسْترقًا.

* وسُئِلَ الجنيد:

- أيما أتم استغراق العلم في الوجود أو استغراق الوجود في العلم؟

فقال أبو القاسم:

- استراق العلم في الوجود ليس العالمون بالله كالواجدين له.

* الأقوات ثلاثة:

فقوت بالطعام وهو مولّدٌ للأغراض.

وقوت بالذكر فهذا يشممهم الصفات.

وقوت برؤية المذكور وهو الذي يفنى ويبيد.

ثم أنشد:

إذا كنت قوت النفس ثم هجرتها ::: فلم تلبث النفس التي أنت قوتها

* ما أخذنا التصوف عن القال والقيل، ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات المستحسنات؛ لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله عز وجل، وأصله: العزوف عن الدنيا كما قال حارثة - صحابي جليل سأله خاتم النبيين (صلي الله عليه وسلم) يومًا: كيف أصبحت؟ فقال -:

- عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري.

* إن الله عز وجل يخلص إلى القلوب من بره حسبما خلصت القلوب به إليه من ذكره، فانظر ماذا خالط قلبك؟

* يا ذاكر الذاكرين بما به ذكروه.

ويا بادئ العارفين بها به عرفوه.

ويا موفق العاملين لصالح ما عملوه.

من ذا الذي يشفع عندك إلا بإذنك؟

ومن ذا الذي ذكرك إلا بفضلك.

* وسُئِلَ الجنيد عن المحبة:

- أمن صفات الذات أم من صفات الأفعال؟

فقال أبو القاسم:

- إن محبة الله لها تأثير في محبوبه بين، فالمحبة نفسها من صفات الذات، ولم يزل الله تعالى محبًا لأوليائه وأصفيائه.

فأما تأثيرها فيمن أثرت فيه ذلك من صفات الأفعال، فاعلم أرشدك الله للصواب.

* اعلم أنه إذا عظمت فيك المعرفة بالله وامتلأ من ذلك قلبك وانشرح بالانقطاع إليه صدرك وصفا لذكره فؤادك، واتصل بالله فهمك ذهبت آثارك وامتحيت رسومك واستضاءت بالله علومك، فعند ذلك يبدو لك علم الحق.

* التوبة على ثلاثة أركان:

الندم على ما فات.

والعزم على ترك المعاودة.

والسعي فلا تلافي ما يمكن تلافيه من حقوق الله تعالى المفروضة وحقوق الناس.

فإن لم يكن فالعزم على الوفاء والدعاء للخصوم.

* الزهد: خلو القلب عما خلت منه اليد.

* أشرف كلمة في التوحيد: ما قاله أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: لم يجعل للخلق طريقًا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته.

* وجاءت جماعة فدخلوا على أبي القاسم، فقال لهم:

- لماذا جئتم؟

قالوا:

- جئنا نطلب الرزق.

قال الجنيد:

- إن علمتم في أي مكان هو فاطلبوه.

قالوا:

- نسأل الله.

قال أبو القاسم:

- إن علمتم أنه ينساكم فذكّرُوه.

قالوا:

- نجلس في البيت ونتوكل على الله وننتظر ما يكون.

قال الجنيد بن محمد بن الجنيد:

- التوكل على التجربة شك.

قالوا:

- وما الحيلة؟

قال أبو القاسم:

- ترك الحيلة...؛ أي:

علـــــى المــــرء أن يســــعى ::: ولـــيس عليـــه إدراك النجـــاح

الجنيد بن محمد بن الجنيد والقرآن العظيم:

قال محمد بن الحسين:

كنت عند الجنيد حين مات فختم القرآن ثم ابتدأ بسورة البقرة فقرأ سبعين آية.

وقف أبو عبد الله المغربي على الجنيد وسأله عن قوله:{سَنُقْرِئُكَ

فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾} [سورة الأعلى الآية: ٦].

قال أبو القاسم:

سنقرئك التلاوة فلا تنس العمل.

وسُئِلَ عن قوله:{وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ} [سورة الأعراف الآية: ١٦٩].

فقال الجنيد:

- تركوا العمل بما فيه.

وحضر الجنيد يومًا موضعًا فيه قوم يتواجدون على سماع يسمعونه وهو مطرق فقيل له:

- يا أبا القاسم: ما نراك تتحرك؟

فقال الجنيد بن محمد:

-{وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ} [سورة النمل الآية: ٨٨].

وسأل رجلٌ أبا القاسم عن قوله:{لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ } [سورة الأنعام الآية: ٧٦].

قال الجنيد:

- لا أحب من أن تغيب عن عيناي وعن قلبي، وفي هذا دلالة أني إنَّما أحب من يدوم لي النظر إليه والعلم به حتى يكون ذلك موجودًا غير مفقود، وكذل رأينا أن أشد الأشياء على المحبين أن يغيب عنهم من أحبوه، وأن يفقدوا شاهدهم.

وسأل الحريري أبا القاسم عن قول عيسى ابن مريم - عليه السلام -:
{تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ } [سورة المائدة الآية: ١١٦].

قال أبو القاسم:

- هو والله أعلم تعلم ما أنا لك عليه وما لك عندي ولا أعلم مالي عندك إلا ما أخبرتني به وأطلعتني عليه.

فهذا معناه.

وسئل الجنيد عن قوله:{وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [سورة المنافقون الآية: ٧].

وسأل رجلٌ أبا القاسم عن قوله:{ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾} [سورة البقرة الآية: ٣٥].

قال الجنيد:

حسنات الأبرار سيئات المقربين فهم - صلوات الله وسلامه عليهم - وإن كان قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم فلم يُخِلّ ذلك بمناصبهم ولا قدح في رتبهم، بل قد تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم وزكّاهم واصطفاهم - صلوات الله عليهم وسلامه -.

وكان الجنيد إذا قرأ:{ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [سورة البقرة الآية: ٥٢].

عفا العفو الرحيم عن بني إسرائيل بعد عبادتهم العجل وتجاوز عنهم.

يقول الجنيد:

كنت بين يدي السري السقطي ألعب وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر، فقال لي:

- يا غلام: ما الشكر؟

قلت:

- ألا يعصى الله بنعمه.

فقال لي:

- أخشى أن يكون حظك من الله لسانك.

قال الجنيد:

فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها السري لي.

وسُئِلَ أبو القاسم عن قوله:{ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾} [سورة البقرة الآية: ١٣٩].

قال الجنيد:

الإخلاص سرٌّ بين العبد وبين الله عز وجل، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيمليه.

وكان الجنيد إذا قرأ:{وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [سورة المنافقون الآية: ٧].

قال:

خزائن السماوات: الغيوب.

وخزائن الأرض: القلوب.

فهو علاّم الغيوب، ومقلّب القلوب.

وسأل رجلٌ أبا القاسم عن قوله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا} [سورة التحريم الآية: ٨].

قال الجنيد:

التوبة النصوح: هو أن ينسى الذنب فلا يذكره أبدًا؛ لأن من صحَّت توبته صار محبًا لله، ومن أحب الله نسي ما دون الله.

وكان الجنيد إذا قرأ:{ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾} [سورة الشعراء الآية: ٨٩].

قال:

خص القلب بالذكر؛ لأنه الذي إذا سلم سلمت الجوارح، وإذا فسد فسدت سائر الجوارح.

القلب السليم: السليم في اللغة: اللديغ، فمعناه: قلب كاللديغ من خوف الله.

وقيل:

القلب السليم: هو القلب الخالي من البدعة المطمئن إلى السنَّة.

وقيل:

القلب السلم: هو القلب الصحيح وهو قلب المؤمن.

وقيل:

هو القلب السليم الخالص.

وقيل:

القلب السليم: الخالي من النفاق.

وكان الجنيد إذا قرأ:{هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾} [سورة المرسلات الآية: ٣٥].

قال:

أي: عذر لمن أعرض عن منعمه وجحده وكفر أياديه ونعمه؟

لا ينطقون: لا يتكلمون ولا يُؤْذَنُ لهم في الاعتذار والتنصّل.

وسُئِلَ الجنيد عن قوله:{فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾} [سورة الشرح الآية: ٧].

قال:

قال ابن عباس:

فإذا فرغت من صلاتك فانصب؛ أي: بالغ في الدعاء وسله حاجتك.

وقال ابن مسعود:

- إذا فرغت من الفرائض، فانصب في قيام الليل.

وقال أبو القاسم:

- إذا فرغت من أمر الخلق، فاجتهد في عبادة الحق.

قالوا عن الجنيد:

* قال الخلدي:

بلغني عن الجنيد: أنه كان في سوقه، وكان ورده في كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة.

وقال أيضًا:

كان الجنيد عشرين سنة لا يأكل إلا من الأسبوع إلى الأسبوع، ويصلي كل يوم أربعمائة ركعة.

وقال أيضًا:

لم نر في شيوخنا من اجتمع له علم وحال، غير أبي القاسم الجنيد ولا أكثرهم كان يكون له علم كثير ولا يكون له حال.

وآخر كان يكون له حال كثير وعلم يسير، والجنيد كانت له حال خطيرة وعلم غزير، فإذا رأيت حاله رجحته على علمه، وإذا رأيت علمه رجحته على حاله.

* قال إسماعيل بن نجيد:

كان الجنيد يجيء كل يوم السوق فيفتح حانوته - دكانه - فيدخل ويسبل الستر ويصلي أربعمائة ركعة، ثم يرجع إلي بيته.

وفاة الجنيد بن محمد بن الجنيد:

كان أبو محمد الحريري واقفًا على رأس الجنيد وقت وفاته، وكان يوم جمعة وهو يقرأ القرآن - قد ختم القرآن الكريم ثم ابتدأ في سورة البقرة فقرأ سبعين آية -.

فقال:

- يا أبا القاسم:

فقال الجنيد:

- يا أبا محمد: ما رأيت أحدًا أحوج إليه مني في هذا الوقت وهو ذا تطوي صحيفتي؟

وقال أبو محمد الحريري:

حضرت عند الجنيد قبل وفاته بساعتين فلم يزل باكيًا وساجدًا فقلت:

- يا أبا القاسم: قد بلغ بك ما أرى من الجهد.

فقال:

يا أبا محمد: أحوج ما كنت إليه هذه الساعة.

فلم يزل باكيًا وساجدًا حتى فارق الدنيا.

وتوفي يوم السبت في شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين، ودُفِنَ عند خاله السري السقطي.

وقيل:

سنة سبع وتسعين.

وغسله أبو محمد الحريري وصلى عليه ولده.

وحرزوا - حصروا وعدوا - الجمع الذي صلى على الجنيد بن محمد بن الجنيد فكانوا نحو ستين ألفًا.

* رؤية أبي القاسم في المنام.

قال جعفر الخلدي في كتابه:

رأيت الجنيد في النوم فقلت له:

- ما فعل الله بك؟

قال:

- طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها في السحر.

* * *

سهل بن عبد الله

مواقف ومواعظ
من حيــاة التابعيــن

[١٥]

سهل بن عبد الله

سهل بن عبد الله

نسبه:

هو: سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري.

كنيته:

يكنى: أبا محمد التستري.

تخرَّج عن خاله محمد بن سوار.

لم يكن لسهل بن عبد الله في وقته نظير في المعاملات والورع.

كان صاحب كرامات.

لقى أبو محمد ذا النون المصري في الحرم بمكة.

كان له اجتهاد وافر ورياضة عظيمة.

عامة كلامه في تصفية الأعمال، وتنقية الأحوال من المعايب والأغلال.

سكن البصرة زمانًا، وعبادان مدة.

مولده:

ولد في سنة مائتين للهجرة.

وقيل:

في سنة إحدى ومائتين، في تستر، وهي بلدة من كوز الأهواز من خراسان.

وجدت لها حلاوة في سري:

يقول أبو محمد:

كان سبب سلوكي هذا خالي محمد بن سوار قال لي يومًا:

- يا سهل: ألا تذكر الله الذي خلقك؟

فقلت له:

- كيف أذكره؟

قال:

- قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك لسانك:

الله معي، الله ناظر إليَّ، الله شاهدي.

فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال:

- قلها في كل ليلة سبع مرات.

فقلت ذلك ثم أعلمته فقال:

- قلها في ليلة إحدى عشرة مرة.

فقلت ذلك.

فوقع في قلبي حلاوة.

فلما كان بعد سنة قال لي خالي:

- احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة.

فلم أزل على ذلك سنين.

فوجدت لها حلاوة في سري.

ثم قال لي خالي يومًا:

- يا سهل: من كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهده يعصيه؟ إياك والمعصية.

فكان ذلك أول أمري.

من كان حاله مع الله عز وجل هذا لا يستكثر هذا:

اعتقل بطن يعقوب بن الليث في بلد من بلاد فارس، فجمع له الأطباء فلم يغنوا عنه شيئًا، فقيل له:

- أين أنت من سهل بن عبد الله؟

فأَمَر بإحضاره فأُحْضِرَ، فلما دخل عليه أبو محمد قعد عند رأسه وقال:

- اللهم كما أريته ذل المعصية فأره عز الطاعة.

ففرج الله عز وجل عنه من ساعته.

فأخرج يعقوب بن الليث إلى أبي محمد بدرًا - البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم - وثيابا... فردها وما قبِلَ منها شيئًا.

فلما رجع سهل بن عبد الله إلى تستر قال له بعض أصحابه:

- لو أخذت تلك الدراهم وفرقتها على الفقراء.

فقال أبو محمد:

- انظر إلى الأرض.

فإذا الأرض كلها ذهب.

ثم قال سهل بن عبد الله:

- من كان حاله مع الله سبحانه هذا لا يستكثر هذا.

الطبيب:

قال أبو محمد:

مرض رجل من أولياء الله عز وجل مرضًا مشكلاً، فكان الناس إذا رأوه قالوا:

- به جِنَّة.

فأكثر عليه القول، فلما عظم كلام من تكلَّم في أمره فقالوا له:

- نعالجك؟

فقال لهم:

- يا قوم: اعلموا أن لي طبيبًا إذا سألته داوي كل عليل، لكني لا أسأله أن يداويني.

فقيل له:

- ولِمَ ذاك وأنت تحتاج إلى الدواء؟

فقال:

- أخشى إن برئت من هذه العلة طغيت.

فقيل له:

- فإن لنا مجنونًا فسل طبيبك هذا أن يداويه.

فقال:

- نعم ايتوني به.

فأتوه برجل في عنقه قيد عظيم ويداه مشدودتان إلى عنقه وثاق ثقيل، قد استمكنت منه العلة.

فقال لهم:

- خلوني معه.

فعمد جهال القوم إلى يديه فخلوهما وأدخلوه معه في البيت الذي كان فيه، وأغلقوا عليه الباب وهم يظنون أن سيفضي إليه بمكروه.

فلما كان بعد ساعة صاحوا به فأجابهم وخرج إليهم وكلمهم كلام رجل عاقل، وهو يبكي بكاءً شديدًا فقالوا له:

- خبرنا بقصتك وما كان.

فقال:

دخلت على رجل وأنا على ما قد علمتم من علتي لا أعقل شيئًا كما رأيتموني، فقربني منه وأدناني وجعل يده على صدري والأخرى على رأسي، فأحسست بطعم البرء - الشفاء - يدب في جسمي حتى زال ما بي.

فقالوا له:

- ادخل معنا إليه فسله يدعو الله عز وجل لنا.

فدخل مع القوم إليه فلم يجدوه في البيت، فهل ستره عنهم؟

يقول سهل بن عبد الله:

- هذا الرجل هو إدريس بن أبي خولة الأنطاكي.

قال الله لآدم - عليه السلام -:

قال أبو محمد:

قال الله لآدم:

يا آدم: إني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن رجا غير فضلي وخاف غير عدلي لم يعرفني.

يا آدم: إن لي صفوة وضنائن وخيرة من عبادي أسكنتهم صلبك، بعيني من بين خلقي أعزهم بعزي، وأقربهم من وصلني، وأمنحهم كرامتي، وأبيح لهم فضلي، وأجعل قلوبهم خزائن كتبي، وأسترهم

برحمتي، وأجعلهم أمانًا بين ظهراني عبادي، فيهم أمطر السماء - أنزل من أجلهم المطر -، وبهم أنبت الأرض، وبهم أصرف البلاء.

هم أوليائي وأحبائي، درجاتهم عالية، ومقاماتهم رفيعة، وهممهم بي متعلقة، صحت عزائمهم، ودامت في ملكوت غيبي فكرتهم، فارتهنت قلوبهم بذكرى، فسقيتهم بكأس الأنس صرف محبتي، فطال شوقهم إلى لقائي، وإني إليهم لأشد شوقًا.

يا آدم: من طلبني من خلقي وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني، فطوبى يا آدم لهم ثم طوبى لهم وحُسْن مآب.

يا آدم: هم الذين إذا نظرت إليهم، هان عليَّ غفران ذنوب المذنبين لكرامتهم عليَّ.

فقال محمد بن أحمد بن سلمة النيسابوري وكان أحد جلساء سهل بن عبد الله:

- يا أبا محمد: زدنا من هذا الضرب رحمك الله، فإنها تُريح القلوب وتتحرك.

فقال سهل بن عبد الله:

نعم! إن الله أوحى إلي داود - عليه السلام -:

يا داود: إذا رأيت لي طلبًا فكن له خادمًا.

فكان داود يقول في مزاميره:

واهًا لهم! يا ليتني عاينتهم، يا ليت خدى نعل موطئهم.

ثم احمرَّت بعد أدمته - الأدمة: باطن الجلد الذي يلي اللحم - أو اصفرَّ لونه وجعل يقول:

جعل الله نبيه وخليفته خادمًا لمن طلبه، لو عقلت - وما أظنك تعقل - قدر أولياء الله وطلابه، ولو عرفت قدرهم لاستغنت قربهم ومجالستهم وبرهم وخدمتهم وتعاهدهم.

البلاء:

قال سهل بن عبد الله:

البلوى من الله على جهتين:

فبلوى رحمة، وبلوى عقوبة.

فبلوى رحمة: يبعث صاحبه على إظهار فقره وفاقته إلى الله وترك تدبيره.

وبلوى عقوبة: يترك صاحبه على اختياره وتدبيره.

وقيل: مَثل الابتلاء مثل المرض والسّقم، يمرض الواحد مائة سنة فلا يموت فيه، ويمرض آخر ساعة واحدة فيموت فيه.

كذلك يعصي الله عبد مائة سنة فيختم له بخير وينجو، وآخر يتكلم بكلمة معصية في ساعة فيجره إلى الكفر فيهلك، فمن ذلك عظم الخطر ودام الجد واشتد البلاء.

أصل الدنيا:

قال أبو محمد:

أصل الدنيا الجهل.

وفرعها الأكل والشرب واللباس والطيب والنساء والمال والتفاخر والتكاثر.

وثمرتها: المعاصي، وعقوبة المعاصي الإصرار، وثمرة الإصرار الغفلة وثمرة الغفلة: الاستجراء على الله.

وأيما عبد لم يتورع ولم يستعمل الورع في عمله انتشرت جوارحه في المعاصي، وصار قلبه بيد الشيطان وملكه، فإذا عمل بالعلم دلّه على الورع، فإذا تورع صار قلبه مع الله.

فالعلم دليل والعقل ناصحٌ، والنفس بينهما أسير والدنيا مدبرة، والآخرة مقبلة.

وتظهر في الناس أشياء تنزع منهم الخشوع بتركهم الورع، ويذهب منهم العلم بإظهار الكلام، ويضيعون الفرائض باجتهادهم في النوافل.

نفر من الجن:

قال سهل بن عبد الله:

كنت ناحية ديار عاد إذ رأيت مدينة من حجر منقور، في وسطها قصر من حجارة منقورة سقوفه، وأبوابه تأويه الجن.

فدخلت معتبرًا، فإذا شيخ عظيم الخلق يصلي نحو الكعبة وعليه جبة صوف فيها طراوة، فلم أتعجب من عظم خلقه كتعجبي من طراوة جبته.

فسلمت عليه، فردَّ السلام وقال:

- يا سهل: إن الأبدان لا تخلق الثياب وإنما تخلقها روائح الذنوب ومطاعم السحت - الحرام - وإن هذه الجبة عليَّ منذ سبعمائة سنة بها لقيت عيسى ابن مريم ومحمدًا (صلي الله عليه وسلم) فآمنت به.

فقلت له:

- من أنت؟

قال:

- أنا الذي نزلت فيَّ:{قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ} [سورة الجن الآية: ١].

كرامة:

قال محمد بن أحمد:

خدمت سهل بن عبد الله التستري ثلاثين سنة، فما رأيت وضع جنبه على الأرض بليل أو نهار، وكان يصلي الصبح بوضوء العتمة - العشاء -.

حج يومًا رجل وكان له أخ فلما رجع قال لأخيه:

- رأيت سهل بن عبد الله في الموقف يوم عرفة.

فقال له أخوه:

- لعلك شبهت به، فإنا كنا عنده يوم التروية في رباط - المرابط: الذي يحرس ثغور بلاد المسلمين - عند باب تستر، وقال لنا: لا تجيئوني في غد فإني أحس بضعف عندي.

فحلف الحاج لأخيه بالطلاق الثلاث أنه رأى سهل بن عبد الله في الموقف يوم عرفة.

فقال له أخوه:

- امض بنا إليه حتى نسأله.

فقاما حتى دخلا على سهل بن عبد الله فقال له أخوه الحاج:

- يا أبا محمد: كنا عندك يوم التروية، وكان أخي هذا قد توجه إلى الحج وزعم أنه رءاك بعرفة وحلف بالطلاق الثلاث فما تقول في يمينه؟

قال سهل بن عبد الله:

- ما لكم ولهذا الأمر؟ اشتغلوا بذكر الله تعالى.

ثم قال للحاج:

- أمسك عليك زوجك ولا تخبر بذلك أحدًا بعد ذلك.

ثم فر سهل بن عبد الله من الناس إلى جزيرة بين عبادان والبصرة وأقام بها حتى مات.

ما هذه الزوائد!

قال أبو محمد:

دفع النبي (صلي الله عليه وسلم) خاتمًا إلى أبي بكر وقال له:

(اكتب فيه: **لا إله إلا الله**).

فدفع أبو بكر الصديق الخاتم إلى النقاش وقال له:

اكتب فيه: لا إله إلا الله محمد رسول الله (صلي الله عليه وسلم).

فكتب النقاش ذلك.

فأتى أبو بكر بذلك الخاتم إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) فرأى فيه: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فقال عليه الصلاة والسلام:

-(يا أبا بكر: ما هذه الزوائد؟).

قال أبو بكر:

يا رسول الله: ما رضيت أن أفرق اسمك من اسم الله فما رضي الله أن يفرق اسمي عن اسمك.

أولياء الله يكتمون أحوالهم:

كان لسهل بن عبد الله خادم يُقال له: إبراهيم، فاستأذنه في السفر إلى المسجد الأقصى فأذن له وأوصاه بأمورٍ وقال له:

إذا دخلت بيت المقدس، فاطلب موضع كذا وكذا، فإن فيه شابًا عليه أطمار رثّة، نحيل الجسم، مصفرّ اللون، أكثر أوقاته رأسه بين ركبيته، أقرئه مني السلام واسأله الدعاء.

فلما ذهب إبراهيم إلى بيت المقدس ولقي ذلك الشاب، رجع ودخل على سهل بن عبد الله فقبّل يده وجلس.

وجعل سهل بن عبد الله يسأل خادمه إبراهيم عما جرى في سفره إلى بيت المقدس، ثم سأله عن ذلك الشاب الذي يجلس في المسجد الأقصى أكثر أوقاته، رأسه بين ركبتيه، فقال إبراهيم:

- لقيته وبلغته السلام.

ثم أمسك عن الكلام هيبة للشيخ سهل بن عبد الله.

فلما قام سهل بن عبد الله، انفرد أصحابه بإبراهيم فسألوه:

- ماذا فعلت عندما ذهبت إلى بيت المقدس؟

قال خادم سهل بن عبد الله:

لما دخلت بيت المقدس وجئت إلى الموضع الذي وصفه الشيخ، وجدت الشاب بصفته ونعته، فلما أبصرني، قال: دلك عليَّ سهل؟ وعزة ربي لأفضحنه كما فضحني، امض فإن سهلاً خلف تلك الاسطوانة - سارية المسجد -.

فمضيت نحو سارية المسجد فوجدت سهل بن عبد الله قائمًا يصلي، فغشيتني منه هيبة حتى أغمى عليَّ، فلما أفقت لم أجد الشيخ، وأتيت موضع الشاب الذي أكثر أوقاته رأسه بين ركبتيه فلم أجده.

الشاة التي تطعم أبا محمد:

كان أبو العباس الخواص جارٌ لسهلٍ بن عبد الله وذات يوم كان عند أبي محمد وكان يحب شيئًا من أمره الذي يسّره - يخفيه - فقد سأل جماعة من أصحابه:

- من أين يقتات؟

فلم يقف أحد منهم على شيء فيخبر أبا العباس به.

وجاء أبو العباس ذات ليلة إلى مسجد أبي محمد وهو قائم يصلي، فوقف أبو العباس طويلاً وهو لا يرجع حتى جاءت شاة فزحمت باب المسجد وأبو العباس يراها، فلما سمع سهل بن عبد الله حركة الباب، ركع وسجد وسلم وخرج إلى باب المسجد ففتحه، وقدم الشاة إليه ومسح يده عليها، ثم جاء بقدح كان في طاق - كوة - في المسجد فحلب وشرب ثم مسح يده عليها وكلمها بالفارسية، فذهبت إلى الصحراء، ثم دخل المسجد وقام في محرابه.

فقهاء وعلماء:

قال سهل بن عبد الله:

دخل قوم على النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال:

-(من القوم؟).

قالوا:

- مؤمنون.

فقال عليه الصلاة والسلام:

-(إنَّ لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانكم؟).

قالوا:

- الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء.

قال (صلي الله عليه وسلم) :

-(فقهاء علماء كادوا أن يكونوا أنبياء).

ثم قال (صلي الله عليه وسلم) :

-(إذا كان الأمر كما تقولون، فلا تبنون ما لا تسكنون، ولا تجمعون ما لا تأكلون، واتقوا الله الذي إليه تصيرون).

لا تبنون ما لا تسكنون: يعني الأمل.

ولا تجمعون ما لا تأكلون: يعني الحرص.

واتقوا الله الذي إليه تصيرون: يعني المراقبة.

من أقوال سهل بن عبد الله.

* لا تفتش عن مساوئ الناس ورداءة أخلاقهم، ولكن فتش وابحث في أخلاق الإسلام ما حالك فيه حتى تسلم ويعظم في نفسك.

* لا يكمل للعبد شيء حتى يصل علمه بالخشية، وفعله بالورع وورعه بالإخلاص، وإخلاصه بالمشاهدة، والمشاهدة بالتبرئ مما سواه.

* ما من قلب ولا نفس إلا والله مطلع عليه في ساعات الليل والنهار، فأيما قلب أو نفس رأى فيه حاجة إلى سواه سلط عليه إبليس.

* أربعة للعباد على الله وهو حكم بها على نفسه:

أولها: من خاف الله، أمنه الله.

ومن رجاه بلغ به رجاءه وأمله.

ومن تقرَّب إليه بالحسنات قبل منه وأثابه للواحدة عشرًا.

ومن توكل عليه قبِله ولم يكله إلى نفسه وتولى أمره.

* وقيل لأبي محمد:

- أي العمل يعمل حتى يعرف عيوب نفسه؟

قال سهل بن عبد الله:

- لا يعرف عيوب نفسه حتى يحاسب نفسه في أحواله كلها.

فقيل:

- فأي منزلة إذا قام العبد بها أقام مقام العبودية؟

قال أبو محمد:

- إذا ترك التدبير.

قيل:

- فأي منزلة إذا قام بها أقام الصدق؟

قال سهل بن عبد الله:

- إذا توكيل عليه فيما أمره به ونهاه عنه.

* المؤمن من راقب ربه، وحاسب نفسه، وتزود لمعاده.

* مخالطة الولي - من تولاه الله تعالى وتولى حفظه وحياطته ورضي عنه فلا يخاف يوم القيامة ولا يحزن - للناس ذلّ، وتفرده عزّ، قلما - نادرًا - رأيت وليًا لله إلا منفردًا.

* آلة الفقير ثلاثة أشياء: حفظه سره، وأداء فرضه، وصيانة فقره.

* ليس كل من عمل بطاعة الله صار حبيب الله، ولكن من اجتنب ما نهى الله عنه صار حبيب الله، ولا يجتنب الآثام إلا صديق مقرَّب، وأما أعمال البر فيعملها البَرُّ والفاجر.

* استجلب حلاوة الزهد بقِصَر الأمل، واقطع أسباب الطمع بصحة اليأس، وتعرض لرقة القلب بمجالسة أهل الذكر، واستفتح باب الحزن بطول الفكر، وتزين لله بالصدق في كل الأحوال، وإياك والتسويف فإنه يغرق الهلكى، وإياك والغفلة فإن فيها سواد القلب، واستجلب زيادة النعم بعِظَم الشكر.

* ليس بين العبد وبين الله حجاب أغلظ من الدعوى، ولا طريق أقرب إليه من الافتقار.

* وسُئِلَ أبو محمد:

- أي شيء أشد على النفس؟

قال سهل بن عبد الله:

- الإخلاص؛ لأنه له فيه نصيب.

* الغضب أشد في البدن من المرض، إذا غضب دخل عليه من الإثم أكثر مما يدخل عليه في المرض.

* إذا خلا العبد في الدنيا وهرب من نفسه إلى الله، وسقط من قلبه أثر الخلائق لم يعجبه شيء ولم يسكن إلى شيء غير الله قط، فالله مؤنسه ومؤدبه وكالئه - حارسه - وحافظه وجليسه وأنيسه إياه، وإياه يناجي، وله ينادي، وبه يستأنس، وإليه يرغب، وإليه يستريح.

قال الله عز وجل:

(طوبى لمن خلقته فعرفني، ودعوته فأجابني، وأمرته فأطاعني، ورزقته فحمدني، وأعطيته فشكرني، وابتليته فصبر لي، وعافيته فذكرني ومدحني).

* أركان الدين أربعة:

الصدق، واليقين، والرضا، والحب.

فعلامة الصدق: الصبر.

وعلامة اليقين: النصيحة.

وعلامة الرضا: ترك الخلاف.

وعلامة الحب: الإيثار.

والصبر يشهد للصدق.

* الجاهل ميت، والناسي نائم، والعاصي سكران، والمُصِرُّ - على المعاصي - ندمان.

* وسئل سهل بن عبد الله:

- متى يستريح الفقير من نفسه؟

قال أبو محمد:

إذا لم ير وقتًا غير الوقت الذي هو فيه.

* الدنيا كلها جهل إلا العلم فيها، والعلم كله وبال إلا العمل به، والعمل كله هباء منثورًا إلا الإخلاص فيه، والإخلاص فيه أنت منه على وجل حتى تعلم هل قُبِلَ أم لا؟

* شكر العلم العمل، وشكر العمل زيادة العلم.

* الله قبلة النية، والنية قبلة القلب، والقلب قبلة البدن، والبدن قبلة الجوارح، والجوارح قبلة الدنيا.

* الفترة غفلة، والخشية يقظة، والقسوة موت.

* من طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان، ومن طعن في التكسب فقد طعن في السنة.

* لا يكون العبد مقيمًا على معصية إلا وجميع حسناته ممزوجة بالهوى، لا تخلص له حسناته وهو مقيم على سيئة واحدة، ولا يتخلص من هواه حتى يخرج من جميع ما يعرف من نفسه مما يكرهه الله.

وسأل رجل أبا محمد:

- يا أبا محمد: إلى من تأمرني أن أجلس؟

قال سهل بن عبد الله:

إلى من تكلمك جوارحه لا يكلمك لسانه.

* الأمل أرض كل معصية، والحرص بذر كل معصية، والتسويف ماء كل معصية، والندم أرض كل طاعة، واليقين بذر كل طاعة، والعمل ماء كل طاعة، وبقدر ما تهدم من دنياك تبني لآخرتك، وبقدر ما تخالف نفسك وهواك وشهوتك ترضي مولاك، وبقدر ما تعرف عدوك وعداوته - إبليس - تعرف ربك.

* من تخلى من الربوبية وأفرد الله بها واعترف بالعبودية، وعَبَدَ الله بها استحق من الله الملك الأعظم في حياة الأبد.

ومن نازع الله ربوبيته قصمه الله، ألا ترى أنهم يحبون الغنى والله هو الغني وهم الفقراء، ويحبون الأمر والنهي والله تعالى يقول:{أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ} [سورة الأعراف الآية: ٥٤]، ويحبون البقاء والله تعالى يقول:{كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾} [سورة الرحمن الآيتان: ٢٦ - ٢٧]، ويحبون الدنيا والله يبغضها، ويريدونها والله لا يريدها فهم ينازعون الله الربوبية ويعادونه فيما أحب.

* إن الله تعالى لا ينسب إلى الجهل في الأصل، ولا ينسب إلى الظلم من الفرع، ولا غنى بنا عنه فيما بين طرفة عين ولا أقل.

* لا معين إلا الله، ولا دليل إلا رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر عليه.

* العيش على أربعة: عيش الملائكة في الطاعة.

وعيش الأنبياء في العلم وانتظار الوحي.

وعيش الصديقين في الاقتداء.

وعيش سائر الناس عالمًا كان أو جاهلاً، زاهدًا كان أبو عابدًا، في الأكل والشرب.

* الضرورة للأنبياء، والقوام للصدِّيقين، والقوت للمؤمنين، والمعلوم للبهائم، والآيات والمعجزات للأنبياء، والكرامات للأولياء، والمعونات للمريدين، والتمكين لأهل الخصوص، ومن خلا قلبه من ذكر الآخرة تعرَّض لوسواس الشيطان.

* من كان عمله لله جلا ذلك عن قلبه ذكر كل شيء سوى الله.

* إن الناس دخلوا الجنة بالعمل فاجتهدوا أن تدخلوها بترك العمل.

* وسأل رجل أبا محمد عن حقيقة التوكل قال:

- نسيان التوكل.

* اللهم اجعل الإيمان لنا سراجًا، ولا تجعله لنا استدراجًا، اجعله لنا سلمًا إلى جنتك ولا تجعله مكرًا إلى مشيئتك.

إنك أنت الحليم الغفور.

* التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة.

ولا يتم ذلك إلا في الخلوة، والصمت وأكل الحلال.

سهل بن عبد الله وأحاديث السراج المنير (صلي الله عليه وسلم) :

أسند أبو محمد عن خاله محمد بن سوار.

ومن هذه الأحاديث:

* قال عبيد الله أبو القاسم الصنعاني عن سهل بن عبد الله عن محمد بن سوار عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال:

(كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يغزو ومعه عدة من نساء الأنصار يسقين الماء ويداوين الجرحى) (رواه أبو نعيم في الحلية).

* قال محمد بن المظفر عن أبي علي محمد بن الضحاك بن عمرو عن سهل بن عبد الله عن سليمان بن عبد الرحمن عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(أعطيت في عليٍّ خمسًا: أما إحداهما: فيواري عورتي، والثانية: يقضي ديني، والثالثة: أنه متكئي في الموقف، والرابعة: فإنه عوني على حوضي، والخامسة: فإني لا أخاف عليه أن يرجع كافرًا بعد إيمان ولا زانيًا بعد إحصان) (رواه أبو نعيم في الحلية، عن أبي سعيد الخدري).

أبو محمد والقرآن العظيم:

* سأل رجلٌ سهل بن عبد الله، عن قوله تعالى:{وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ} [سورة الأنعام الآية: ١٢٠].

فقال أبو محمد:

ظاهره الفعال، وباطنه الحب له.

* وكان سهل بن عبد الله، إذا قرأ قوله تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾} [سورة الأحزاب الآية: ٥٦].

قال:

الصلاة على محمد (صلي الله عليه وسلم) أفضل العبادات؛ لأن الله تعالى تولاها هو وملائكته ثم أمر بها المؤمنين، وسائر العبادات ليس كذلك.

* وسُئِلَ أبو محمد عن قوله تعالى:{ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾} [سورة البقرة الآية: ١٥٥].

قال سهل بن عبد الله:

لما قال تعالى:{وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ} صار الصبر عيشًا.

والصبر صبران: صبرٌ عن معصية الله، فهذا مجاهد، وصبرٌ على طاعة، فهذا عابد. فإذا صبر عن معصية الله وصبر على طاعة الله أورثه الله الرضا بقضائه.

وعلامة الرضا: سكون القلب بما ورد على النفس من المكروهات والمحبوبات.

وكان سهل بن عبد الله، إذا قرأ قول الحق جل وعلا:{وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا} [سورة النساء الآية: ٣٦].

الرياء على ثلاثة وجوه:

أحدها: أن يعقد في أصل فعله لغير الله ويريد به أن يعرف أنه لله، فهذا صنف من النفاق وتشكك في الإيمان.

والثاني: يدخل في الشيء لله، فإذا اطلع عليه غير الله نشط، فهذا إذا تاب يريد أن يعيد جميع ما عمل.

والثالث: دخل في العمل الإخلاص وخرج به لله فعرف بذلك ومدح عليه وسكن إلى مدخلهم، فهذا الرياء الذي نهى الله عنه.

ويقول سهل بن عبد الله:

قال لقمان لابنه: الرياء: أن تطلب ثواب عملك في دار الدنيا، وإنَّما عمل القوم للآخرة.

قيل له:

- فما دواء الرياء؟

قال لقمان:

- كتمان العمل.

قيل له:

- فكيف يكتم العمل؟

قال:

- ما كلفت إظهاره من العمل فلا تدخل فيه إلا بالإخلاص، وما لم يتكلف إظهاره أحب ألا يطلع عليه إلا الله.

وكل عمل اطلع عليه الخلق فلا تعده من العمل.

* وسأل رجلٌ أبا محمد عن قوله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ} [سورة النساء الآية: ٥٩].

فقال سهل بن عبد الله:

أطيعوا السلطان في سبعة:

ضرب الدراهم والدنانير، والمكاييل والأوزان، والأحكام، والحج، والجمعة، والعيدين - عيد الفطر وعيد الأضحى -، والجهاد.

وقال أبو محمد:

وإذا نهى السلطان العالم أن يفتى، فإن أفتى فهو عاص، وإن كان أميرًا جائرًا.

وقال سهل بن عبد الله:

لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإذا عظموا هذين، أصلح الله دنياهم وأُخراهم، وإذا استخفُّوا بهذين، أفسد دنياهم وأُخراهم.

* وسُئِلَ سهل بن عبد الله، عن قوله تعالى:{وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ} [سورة الأنعام الآية: ١٥٣].

قال أبو محمد:

- عليكم بالاقتداء بالأثر والسنة، فإني أخاف أنه سيأتي عن قليل زمانٌ إذا ذكر إنسان النبي (صلي الله عليه وسلم) والاقتداء به في جميع أحواله ذمُّوه ونفروا عنه وتبرَّؤُوا منه وأذلُّوه وأهانوه.

وقال سهل بن عبد الله:

- إنَّما ظهرت البدعة على يدي أهل السنة لأنهم ظاهروهم وقاولوهم، فظهرت أقاويلهم وفشت في العامة فسمعه من لم يكن يسمعه، فلو تركوهم ولم يكلموهم لمات كل واحد منهم على ما في صدره لهم ولم يظهر منه شيء وحمله معه إلى قبره.

وقال أبو محمد:

- لا يحدث أحدكم بدعة حتى يحدث له إبليس عبادة فيتعبَّد بها ثم يحدث له بدعة، فإذا نطق بالبدعة ودعا الناس إليها نزع منه تلك الخدمة.

وقال سهل بن عبد الله:

- لا أعلم حديثًا جاء في المبتدعة أشد من هذا الحديث:

(حجب الله الجنة عن صاحب البدعة).

* وكان أبو محمد، إذا قرأ قوله تعالى:{ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً } [سورة النحل الآية: ٩٧].

قال سهل بن عبد الله:

هي أن ينزع عن العبد تدبيره ويرد تدبيره إلى الحق.

* وسُئِلَ سهل بن عبد الله، عن قوله تعالى:{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ} [سورة القصص الآية: ٥٠].

فقال:

هواك داؤك، فإن خالفته فدواؤك.

وفاة سهل بن عبد الله:

توفي أبو محمد، سنة ثلاث وثمانين ومائتين.

وقيل:

سنة ثلاث وسبعين ومائتين.

رحم الله الشيخ المسكين، الناصح الأمين، الناطق بالفضل الرصين.

* * *

إبراهيم النخعي

مواقف ومواعظ

من حياة التابعين

[١٦]

إبراهيم النخعي

إبراهيم بن يزيد النخعي

نسبه:

هو: إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن سعد بن مالك بن النخع.

وأمه مليكة بنت يزيد بن قيس النخعية.

أخت الأسود بن يزيد النخعي.

فهو خاله.

كنيته:

يكنى: أبا عمران.

وقيل:

يكنى أبا عمار.

فقيه كوفي، وأحد الأئمة المشاهير.

تابعي رأى أم المؤمنين عائشة ولم يثبت له منها سماع - لم يرو عنها حديثًا -.

كان يصوم يومًا ويفطر يومًا.

كان أعور.

ونسبته إلى نخع، وهي قبيلة كبيرة من مذحج باليمن.

واسم النخع: جسر بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أدد.

وقيل:

إنَّما قيل له: النخع؛ لأنه انتخع من قومه - بَعُدَ عنهم -.

إبراهيم النخعي يتجنب الشهرة:

كان أبو عمران يتجنب الشهرة، فكان لا يجلس إلى الأسطوانة - العمود أو السارية - في المسجد أو غيره، وكان الفقهاء يجلسون إلى الإسطوانة عندما يدرسون العلم.

وكان إذا طلبه إنسان لا يحب أن يلقاه خرجت الخادمة فقالت:

- اطلبه في المسجد.

وقال آخر:

كنا إذا خرجنا من عند إبراهيم يقول:

إن سُئِلتُم عني فقولوا: لا ندري أين هو؟ -.

كان الحجاج بن يوسف الثقفي أمير العراق يطلبه ويطارده؛ لأنه لم يوافق على ما كان يقوم به من بطش وظلم وقتل - فإنكم إذا خرجتم لا تدرون أين أكون؟

وكان صيرفي في الحديث - كان ماهرًا في نقده وتمييزه الحديث الصحيح من الحديث الضعيف -.

تصدق بها فأنها ليست لك:

جاء فرقد إلى إبراهيم النخعي وقال له:

- يا أبا عمران: أصبحت أنا مهتم لضريبتي وهي ستة دراهم - كانت ضريبة يدفعها العبد لمولاه كل شهر - وقد هل الهلال وليست عندي فدعوت الله، فبينما أنا أمشي على شط الفرات إذا أنا بستة دارهم، فأخذتها فوزنتها فإذا هي ستة لا تزيد ولا تنقص.

قال إبراهيم بن يزيد:

- تصدَّق بها فإنها ليست لك.

إلى من يدعوهم الحجاج!

كان أبو عمران يعيب سيرة سفاح ثقيف أمير العراق، وبلغ إبراهيم النخعي: أن إبراهيم التميمي يعيب الخوارج - كان الحجاج بن يوسف يحاربهم ويعمل سيفه فيهم - في زمن الحجاج، فقال أبو عمران:

- إلى من يدعوهم الحجاج؟

فقال يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج:

- هاتوا إبراهيم بن يزيد.

فقيل له:

- إنهما إبراهيمان.

قال مولى الحجاج بن يوسف:

- هاتوهما جميعًا.

فاستخفى إبراهيم النخعي.

وأتى بإبراهيم التميمى فحُبِسَ.

توارى أبو عمران أيام الحجاج وكان المسجد على باب داره، ولكنه كان لا يخرج ليصلي في المسجد.

لك عندي الرضا واللقاء:

قال أبو عمران:

دخل أحد الصالحين على مريض من النصارى وهو في النزع الأخير فقال له:

- أسلم ولك الجنة.

قال النصراني:

- لا حاجة لي بها.

قال الرجل المسلم:

- أسلم ولك النجاة من النار.

قال النصراني:

- لا أبالي بها.

قال الرجل الصالح:

- أسلم ولك النظر إلى وجه الله الكريم.

فأسلم النصراني وفاضت روح، فرؤي تلك الليلة في المنام فقيل له:

- ما فعل الله بك؟

قال:

- أوقفني بين يديه وقال لي: أسلمت شوقًا إلى لقائي؟

قلت:

- نعم.

قال الله عز وجل:

- لك عندي الرضا واللقاء.

تركت الدنيا قبل أن تتركني:

قال إبراهيم النخعي:

وقف رجل من أولياء الله يومًا على صومعة راهب فسمعه يقول:

- يا من لاذ بحرمه الخائفون، ورغب فيما عنده الطالبون.

أسألك الخلاص من القصاص، وأستغفرك من ذنوب ذهبت لذاتها، وبقيت تبعاتها.

فناداه:

- يا راهب: كيف تركت الدنيا؟

قال الراهب:

- تركتها قبل أن تتركني.

فقال:

- حدثني بقصتك.

قال الراهب:

كنت على دين النصرانية فرأيت في منامي قائلاً يقول لي:

- ويحك - كلمة رحمة - إلى كم تعبد غير الله؟ إن عيسى عبد من عباد الله.

فقلت له:

- من أنت؟

قال:

- أنا شفيع المذنبيين، أنا الذي بشَّر بن عيسى وشهد بنبوتي موسى، أنا في التوراة موصوف، وفي الإنجيل معروف.

ثم مسح بيده على صدري وقال (صلي الله عليه وسلم) :

(اللهم ألهم عبدك الرشاد، ووفقه للسداد).

فانتبهت ولا شيء أحب إليَّ من الإسلام.

فأسلمت وهاجرت إلى ربي وسكنت في صومعتي.

أردته قبل أن يريدني:

وقال أبو عمار:

كان في بني إسرائيل رجلٌ يعبد بقرة، فدخل بها يومًا إلى حائط - بستان - فطلعت سحابة من رعد وبرق فهربت البقرة.

فقال الرجل في نفسه:

من يفزع من الرعد والبرق لا يكون إلـهًا!

ثم رفع بصره إلى السماء وقال:

يا رب السحاب! إن كان لك غنم فابعثها لأرعاها، وإن لم يكن لك غنم فأنا أقاسمك غنمي.

فأوحى الله عز وجل إلى نبي ذلك الزمان:

اذهب إلى فلان وأقرئه مني السلام وعلّمه أركان الدين، فقد قذفت في قلبه المعرفة وقبلت رجوعه إليَّ وأردته قبل أن يريدني.

فلما سمع الرجل كلام نبيه خرَّ ساجدًا.

نحن وأنتم فيها سواء:

وقال إبراهيم النخعي:

قرأ أحد الصالحين قول الحق جل وعلا:{وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا} [سورة مريم الآية: ٧١].

فقال يهودي:

- إن كان ما تقول حقًا فنحن وأنتم فيها سواء.

فقال الرجل الصالح:

- نحن ننجو منها بالتقوى.

فقال اليهودي:

- ونحن أيضًا من المتقين.

فقرأ المسلم:

{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} [سورة الأعراف الآية: ١٥٦].

فقال اليهودي:

- أريد برهانًا على صدق ما تقول؟

فقال المسلم:

- اطرح ثيابك وثيابي في النار فمن سلمت ثيابه فدينه صحيح.

فجعل اليهودي ثيابه داخل ثياب المسلم، وطرحهما في النار، فامتدت ألسنة النار إلى ثياب اليهودي والتهمتها دون ثياب المسلم.

فلما رأى اليهودي ذلك، قال من أعمق أعماقه:

- **أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.**

ثم قال:

الحمد لله الذي هداني إلى نعمة الإسلام.

قال بعض الصالحين على جبل عرفات:

الحمد لله على نعمة الإسلام، وكفى بها من نعمة.

فلما كان العام القابل، أراد أن يقولها على جبل عرفات، فهتف به هاتف:

مهلاً يا عبد الله! حتى تفرغ من ثوابها العام الماضي.

من أقوال إبراهيم النخعي:

كان أبو عمران يقول:

* إذا رأيت الرجل يتهاون بالتكبيرة الأولى فاغسل يدك منه.

* تكلمت ولو وجدت بدا - مناصًا ومخلصًا - ما تكلمت، فإن زمانًا أكون فيه فقيه الكوفة لزمان سوء.

* لقد أدركت أقوامًا لو بلغني أن أحدهم توضأ على ظفره لم أعده.

* كنا إذا حضرنا جنازة أو سمعنا بميت، عُرِفَ فينا أيامًا لأنا قد عرفنا أنه نزل به أمر صيره إلى الجنة أو النار.

* إنكم في جنائزكم تُحَدِّثون بأحاديث دنياكم.

* لو أن عبدًا اكتتم بالعبادة كما يكتتم بالفجور، لأظهر الله ذاك منه.

* كانوا يستحبون الزيادة ويكرهون النقصان.

* رأى أبو عمران أمير حلوان يمر بدوابه في زرع فقال:

الجور في طريق خير من الجور في الدين.

* ذُكِرَ عند أبي عمران المرجئة فقال:

- والله لَهُم أبغض إليَّ من أهل الكتاب.

* وذكر عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب عند إبراهيم النخعي فقال رجل:

- أنا أُفَضِّلُ عَلِيًّا.

فقال إبراهيم النخعي للرجل:

- لا تجالسنا.

ثم قال أبو عمران:

- عليٌّ أحبّ إليَّ من عثمان، ولأن أخر من السماء أحب إليَّ من أن أتناول عثمان بسوء.

* إذا سألوك: أمؤمن أنت؟

فقل: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله.

* كانوا يرون - أو يقولون - إن المشي - إلى المساجد - في الليلة المظلمة موجبة.

* كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه - الحديث - نظروا إلى صلاته وإلى هديه وإلى سمته.

* لا يستقيم رأي إلا برواية، ولا رواية إلا برأي.

* كانوا يقولون ويرجون، إذا لقي الله الرجل المسلم وهو نقي الكف من الدم أن يتجاوز الله عنه ويغفر له ما سوى ذلك من ذنوبه.

* كانوا يجلسون فيتذاكرون العلم والخير والفقه، ثم يفترقون ولا يستغفرون بعضهم لبعض.

* من جلس مجلسًا ليجلس إليه فلا تجلسوا إليه.

* الكذب يفطر الصائم.

* بينما رجل عابد عند امرأة؛ إذ عمد فضرب بيده إلى فخذها، فأخذ بيده فوضعها في النار حتى نشت - نشفت -.

* قال له بعض أصحابه يومًا:

- كيف أصبحت يا أبا عمران؟

فقال:

- إن كان من رأيك أن تسد خلتي أو تقضي ديني أو تكسو عورتي خبرتك، وإلا فليس المجيب بأعجب من السائل.

* قيل لإبراهيم النخعي:

- أين كنت؟

قال:

- حيث احتيج إليَّ.

وقيل له:

- ممن أنت؟

قال:

- من ذَوِيٍّ.

* من ابتغى شيئًا من العلم يبتغي به وجه الله عز وجل، أتاه الله منه ما يكفيه.

* لقتني امرأة، فأردت أن أصافحها فجعلت على يدي ثوبًا فكشفت قناعها فإذا امرأة من الحي قد اكتهلت - صارت عجوزًا - فصافحتها وليس على يدي ثوب.

* إذا دعا أحدكم، فليبدأ بنفسه، فإنه لا يدري أي الدعاء يُستجاب له.

* كان يقال: العدل في المسلمين من لم تظهر له ريبة.

* الخشوع في القلب.

* إذا قال الرجل حين يصبح: أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم عشر مرات، أُجير من الشيطان إلى أن يمسي، وإذا قاله ممسيًا، أُجير من الشيطان إلى أن يصبح.

* كان من كان قبلكم من أهل الميسرة خصبهم في بيوتهم، وكان في اللباس تجوز، فكانوا يبدءون فيغلقون عليهم أبوابهم، فإن كان فضلاً فعلى الأقارب، وإن فضلاً فعلى الجيران، وإن كان فضلاً فهاهنا وهاهنا، وكان يعجبهم أن يكون في بيوتهم التمر للزائرين والسائل.

* لا بأس بذكر الله في الخلاء - الخلوة - فإنه يصعد - إلى السماء - .

* إنِّي لأرى الشيء أكرهه في نفسي، فما يمنعني أن أعيبه إلا كراهية أن أبتلى بمثله.

* كان رجل على حال حسنة فأحدث - أو أذنب ذنبًا - فرفضه أصحابه ونبذوه، فبلغ إبراهيم النخعي ذلك فقال:

- تداركوه وعظوه ولا تدعوه.

* كانوا - من قبلكم - يكرهون التلون في الدين.

إبراهيم النخعي وأحاديث الذي لا ينطق عن الهوى (صلى الله عليه وسلم) :

أدرك أبو عمران، جماعة من الصحابة، منهم: أبو سعيد الخدري، ومن أمهات المؤمنين: الصديقة بنت الصديق عائشة - رضي الله تعالى عنهم -.

وأكثر روايته من علماء التابعين، عن: علقمة، والأسود، ومسروق، وعبيدة السلماني، ويزيد بن معاوية النخعي، وعبد الرحمن بن يزيد، وشريح بن الحارث - القاضي -، وزر بن حبيش، وعبيدة بن نضلة - فضيلة - وهني بن نويرة، وعابس بن ربيعة، وتميم بن حذلم، وسهم بن منجاب، وعبد الله بن ضرار الأسدي.

قال الأعمش - سليمان بن مهران -:

كان إبراهيم صيرفي في الحديث - ماهر في نقده ويميز صحيحه من ضعيفه - فكنت إذا سمعت الحديث من بعض أصحابه عرضته عليه.

* ومن الأحاديث التي أُسْنِدَت إلى أبي عمران:

* قال زائدة عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال:

صلَّى بنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فزاد أو نقص، فلما قضى صلاته قيل:

- يا رسول الله! أحَدَث في الصلاة من حدث؟

قال عليه الصلاة والسلام:

(وما ذاك؟)

فذكرنا له الذي صنع.

فثنى رجليه واستقبل القبلة، ثم سجد سجدتين ثم أقبل علينا بوجهه وقال:

(إنه لو حدث في الصلاة حدث - شيء - أنبأتكم به، ولكن إنَّما أنا بشر أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني، وإذا شك أحدكم في صلاته، فليحر الصواب فليتم عليه، ثم ليسلم، ثم ليسجد سجدتين) (أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد، باب السهو في الصلاة، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، عن ابن مسعود).

* قال أبو زرعة الدمشقي، عن آدم بن إياس عن عمرو بن مرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال:

اضطجع رسول الله (صلي الله عليه وسلم) على حصير، فأثر الحصير بجلده، فجعلت أمسحه عنه، وأقول:

بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ألا آذنتنا فنبسط لك شيئًا يقيك منه تنام عليه؟

قال عليه الصلاة والسلام:

(ما لي وللدنيا! ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظلَّ تحت شجرة - في يوم صائف - ثم راح وتركها) (رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم في المستدرك، عن ابن مسعود).

* قال حماد بن سلمة عن أبي حمزة، عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود قال:

(إن النبي (صلي الله عليه وسلم) أتى بالبراق فركب خلف جبريل فسار بهما، فكان إذا انتهى إلى جبل ارتفعت رجلاه، وإذا هبط ارتفعت يداه، فسار بهما في أرض غمة منتنة حتى انتهى بهما إلى أرض فيحاء طيبة.

فقلت:

يا جبريل:

إنا كنا نسير في أرض غمة منتنة فأمضينا إلى أرض فيحاء طيبة.

قال:

- تلك أرض النار وهذه أرض الجنة.

قال:

فأتيت على رجل قائم يصلي فقال:

- من هذا معك يا جبريل؟

قال:

- هذا أخوك محمد (صلي الله عليه وسلم).

فرحب بي ودعا لي بالبركة.

وقال:

- سل لأمتك اليسر.

فقلت:

- من هذا يا أخي يا جبريل؟

قال:

- هذا أخوك موسى.

قلت:

على من كان صوته وتذمّره؟

قال جبريل:

- على ربه عز وجل إنه يعرف ذلك منه وحدته.

ثم سرنا فرأيت مصابيح وضوءًا، فقلت:

- ما هذا يا جبريل؟

قال:

- هذه شجرة أبيك إبراهيم، هل تدنو منها؟

قلت:

- نعم.

فدنونا منها، فدعا - إبراهيم عليه السلام - بالبركة ورحَّب بي.

ثم مضينا إلى بيت المقدس، فربطت البراق بالحلقة التي تربط بها الأنبياء، ثم دخلت بيت المقدس فنشر لي الأنبياء من سمى الله ومن لم يسم، فصليت بهم). (رواه أبو نعيم في الحلية).

* قال محمد بن سابق عن إسرائيل عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله ابن مسعود قال:

قال النبي (صلي الله عليه وسلم) :

(ليس المؤمن بالطَّعَّان ولا اللَّعَان ولا الفاحش البذيء) (رواه الإمام أحمد، وابن حبان، والحاكم في المستدرك، عن ابن مسعود).

* قال حسام بن مصك عن أبي معشر عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود قال:

قال النبي (صلي الله عليه وسلم) :

(ما أحب موتًا كموت الحمار).

قيل:

يا رسول الله! وما موت الحمار؟

قال عليه الصلاة والسلام:

(موت الفجاءة - أخذةُ أسِفٍ -) (رواه أبو نعيم في الحلية، والإمام أحمد، وأخرجه أبو داود، كتاب الجنائز).

* قال حماد بن أبي سليمان عن إبراهيم عن علقمة قال:

كنت رجلاً حسن الصوت بالقرآن، فكان عبد الله بن مسعود يبعث إليَّ فيقول لي:

عبد الله رتل فداك أبي وأمي، فإني سمعت النبي (صلي الله عليه وسلم) يقول:

(حُسْنُ الصوت زينة القرآن) (رواه الطبراني في المعجم الكبير، وأبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن مسعود).

* وقال زيد بن الحريش عن حمزة عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود قال:

كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ويقول:

(تعلموا لا صلاة إلا بالتشهد) (رواه أبو نعيم في الحلية، عن ابن مسعود).

* قال عمر بن يحيى بن نافع عن حفص بن جميع عن سماك عن إبراهيم عن علقمة، عن ابن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(هل تدرون ما الصدقة؟).

قلنا:

الله ورسوله أعلم.

قال عليه الصلاة والسلام:

(الصدقة المنيحة أن يمنح الدرهم أو ظهر الدابة) (رواه أبو نعيم في الحلية).

* قال الوليد بن عبد الواحد عن ميسرة عن عبد ربه عن منيرة عن إبراهيم عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود، قال:

(أوصاني رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن أصبح يوم صومي دهينًا مرجلاً - شعري - ولا تصبح يوم صومك عبوسًا، وأجب دعوة من دعاك من المسلمين ما لم يظهروا المعازف فلا تجبهم، وصل على من مات من أهل قبلتنا وإن قتل مصلوبًا أو مرجومًا، ولأن تلقى الله بمثل قراب الأرض ذنوبًا خير لك من تبت الشهادة على أحد من أهل القبلة) (رواه أبو نعيم في الحلية).

* قال موسى بن عمير عن الحكم عن إبراهيم عن الأسود عن ابن مسعود - قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(الخلق كلهم عيال الله، وأحب الخلق - الناس - إلى الله من أحسن إلى عياله) (رواه الخطيب، وأبو نعيم في الحلية).

* قال محمد بن عبيد عن موسى بن عمير عن الحكم عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(حصِّنُوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، وأعدوا للبلاء الدعاء) (رواه الطبراني في المعجم الكبير وأبو نعيم في الحلية، والخطيب، عن ابن مسعود).

* قال نصر بن رباب عن الحجاج عن إبراهيم عن الأسود عن ابن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(من سأل مسألة وهو عنها غني، جاءت يوم القيامة كدوحًا - الكدح: الخدش، وبوجهه كدوح: خدوش - في وجهه، ولا تحل الصدقة لمن له

خمسون أو عرضها من الذهب) (رواه أبو نعيم في الحلية).

* قال إبراهيم النخعي:

إن الأسود بن يزيد كان يستقرض من مولى للنخع تاجرًا، فإذا خرج عطاؤه قضاه، وآتاه خرج.

فقال له الأسود:

- إن شئت أخرت عنا فإنه كان علينا حقوق في هذا العطاء.

فقال له التاجر:

- لست بفاعل.

فنقده الأسود خمسمائة درهم حتى إذا قبضها قال له التاجر:

- دونك فخذها.

قال له الأسود:

- قد سألتك هذا فأبيت على.

قال له التاجر:

إني سمعتك تحدثنا عن عبد الله بن مسعود: أن النبي (صلي الله عليه وسلم) كان يقول:

(من أقرض قرضين كان له مثل أجر أحدهما لو تصدق به) (رواه الطبراني في المعجم الكبير، وأبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود).

* قال أبو الأحوص وأبو عوانة عن سماك عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود قال:

جاء رجلٌ إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:

يا رسول الله! إني عالجت امرأة بأقصى المدينة فأصبت منها ماء دون أن أمسها.

فقال عمر بن الخطاب:

- لقد ستر الله عليك لو سترت على نفسك.

فلم يرد عليه النبي (صلي الله عليه وسلم) شيئًا.

ثم قام فانطلق فأتبعه رسول الله (صلي الله عليه وسلم) رجلاً خلفه فدعاه فقرأه عليه:{ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ } [سورة هود الآية: ١١٤].

قيل:

- يا رسول الله: ألهذا خاصة أم للناس عامة؟

قال عليه الصلاة والسلام:

-(لا، بل للناس عامة) (رواه أبو نعيم في الحلية).

* قال هشيم بن حسان عن أبي معشر عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت:

(كنت أفرك الجنابة من ثوب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ثم يصلي فيه) (رواه أبو نعيم في الحلية، عن عائشة).

* قال حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة والمسعودي عن حماد بن سليمان عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت:

كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يصلي فوجد قرا - بردا - فقال:

-(يا عائشة! ارخي عليَّ مرطك – ثوبك –).

فقلت:

- إني حائض.

قال عليه الصلاة والسلام:

(علة وبخلا، إن حيضتك ليست في ثوبك - يدك -) (رواه أبو نعيم في الحلية، والترمذي، والنسائي، وأبو داود).

* قال فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت:

جاء رجلٌ - ثوبان مولى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) - إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال:

يا رسول الله! إنك لأحب إليَّ من نفسي، وإنك لأحب إليَّ من أهلي، وإنَّك لأحب إليَّ من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، فإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإني وإن دخلت الجنة خشيت أن لا أراك.

فلم يرد عليه الصلاة شيئًا حتى نزل جبريل - عليه السلام - بهذه الآية:

{وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾} [سورة النساء الآية: ٦٩].

* قال إبراهيم بن طهمان عن منصور عن إبراهيم النخعي عن مسروق عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة قالت:

كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إذا أتى بمريض، قال:

(أذْهبْ البأس رب الناس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سَقَمًا) (أخرجه الترمذي كتاب الدعوات باب في دعاء المريض وابن ماجه عن عائشة).

قالوا عن إبراهيم النخعي:

* قال منصور:

ما سألت إبراهيم قط عن مسألة إلا رأيت الكراهية في وجهه.

ويقول:

أرجو أن تكون، وعسى.

* قال الأعمش:

كنت عند إبراهيم وهو يقرأ في المصحف واستأذن عليه رجل، فغطى المصحف، وقال:

- لا يرى هذا أنني أقرأ فيه كل ساعة.

* قال مغيرة:

كان إبراهيم يلبس الثوب المصبوغ بالزعفران أو بالمعصفر، وكان من يراه لا يدري أمن القراء هو أمن من الفتيان.

* وقال الأعمش:

كان إبراهيم يقول: كانوا يجلسون فأطولهم سكوتًا أفضلهم في أنفسهم.

* قالت هنيدة امرأة إبراهيم:

إن إبراهيم كان يصوم يومًا ويفطر يومًا.

* قال سفيان:

جهدنا بإبراهيم أن يستند إلى سارية فأبى علينا.

* قال الأعمش:

كان إبراهيم يتوقى الشهرة، وكان لا يجلس إلى اسطوانة، وكان يجلس مع القوم فيجيء الرجل فيوسع له، فإذا اضطره المجلس إلى اسطوانة قام.

* قال مغيرة:

كنا نهاب إبراهيم كما نهاب الأمير.

* قال أبو الحصين:

سألت إبراهيم عن شيء فقال:

ما وجدت أحدًا تسأله فيما بيني وبينك غيري؟

* سُئِلَ الأعمش:

أخبرني عن أكثر من رأيت عند إبراهيم قط؟

قال الأعمش:

أربعة أو خمسة.

* قال محمد بن سيرين:

إني لأحسب إبراهيم الذي تذكرون فتى كان يجالسنا فيما أعلم عند مسروق كأنه ليس معنا وهو معنا.

* وقال ابن عون:

وصفت إبراهيم لمحمد بن سيرين فقال:

لعله ذلك الفتى الأعور الذي كان يجالسنا عند علقمة، هو في القوم كأنه ليس منهم.

* قال أبو سليمان:

رأيت سعيد بن جبير يستفتي فيقول:

أتستفتوني وفيكم إبراهيم؟

* قال الأعمش:

ما ذكرت لإبراهيم حديثًا قط إلا زادني فيه.

* قال مالك بن مغول:

سمعت طلحة يقول: ما بالكوفة أعجب إليَّ من إبراهيم.

* قال فضيل:

قلت لإبراهيم: إني أجيئك وقد جمعت مسائل فكأنما تخلسها الله مني، وأراك تكره الكتاب؟

فقال:

إنه قل ما كتب إنسان كتابًا إلا اتكأ عليه، وقل ما طلب إنسان علمًا إلا آتاه الله منه ما يكفيه.

* قال أبو معشر:

كان إبراهيم يدخل على بعض أزواج النبي (صلي الله عليه وسلم) وهي عائشة، فيرى عليها ثيابًا حمرًا.

فقال أيوب لأبي معشر:

- كيف كان يدخل عليهن؟

قال أبو معشر:

- كان يحج مع عمه وخاله علقمة والأسود قبل أن يحتلم.

وكان بينهم وبين عائشة إخاء وود.

* قال أبو قيس:

رأيت إبراهيم غلامًا محلوقًا يمسك لعلقمة - علقمة بن يزيد خال إبراهيم - بالركاب يوم الجمعة.

* قال أبو مسكين:

كان إبراهيم يعجبه أن يكون في بيته تمر، فإن دخل عليه داخل ولم يكن عنده شيء، قال:

- قربوا بنا تمرًا.

قال منصور:
ذكرت لإبراهيم لعن الحجاج بن يوسف الثقفي أو بعض الجبابرة.
فقال إبراهيم:
أليس الله تبارك وتعالى يقول:{أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ } [سورة هود الآية: ١٨].
قال حماد:
بشرت إبراهيم بموت الحجاج فسجد، وما كنت أرى أن أحدًا يبكي من الفرح حتى رأيت إبراهيم يبكي من الفرح!
* قال أبو الهيثم القصَّاب:
رأيت على إبراهيم قلنسوة.
* قال سلمة بن كهيل:
ما رأيت إبراهيم في صيف قط إلا وعليه ملحفة حمراء وإزار أصفر.
* قال مكحل:
رأيت على إبراهيم خاتم من حديد في شماله.
إبراهيم النخعي والقرآن العظيم:
قال إبراهيم النخعي:
ما قرأت هذه الآيات إلا ذكرت برد الشراب:{ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} [سورة سبأ الآية: ٥٤].
وسُئِلَ أبو عمران عن قوله تعالى:{إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾} [سورة النبأ الآية: ٢٥].

فقال:

ما ينقطع من جلودهم وما يسيل من بشرهم.

وسأل رجل إبراهيم النخعي:

يا أبا عمران: ما معنى قوله تعالى:{يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾} [سورة القيامة الآية: ١٣].

فقال إبراهيم:

ينبأ بأول عمله وآخره.

وكان أبو عمران إذا قرأ قول الحق تبارك وتعالى:{وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ} [سورة السجدة الآية: ٢١].

قال أبو عمران:

أشياء يصابون بها في الدنيا، والعذاب الأكبر هو عذاب النار في الآخرة - أجارنا الله منها -.

وسُئِلَ إبراهيم عن قوله تعالى:{وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ} [سورة هود الآية: ١٧].

فقال:

الشاهد: جبريل - عليه السلام -.

وسأل رجل أبا عمران عن قوله تعالى:{وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ} [سورة البقرة الآية: ٢٢٤].

قال إبراهيم النخعي:

هو الرجل يحلف أن لا يصل رحمه، ولا يبر قرابته، ولا يصلح بين اثنين.

يقول الله: فلا يمنعه من أن يفعل ذلك ويكفر عن يمينه.

وكان إبراهيم النخعي إذا قرأ:{عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾} [سورة القلم الآية: ١٣].

قال:

العتل: الفاجر.

الزنيم: اللئيم في أخلاق الناس.

وكان إبراهيم النخعي يقول:

- إني أكره القصص.

فقيل له:

- لِمَ؟

قال:

- لثلاث آيات:

قوله تعالى:{أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ} [سورة البقرة الآية: ٤٤].

وقوله:{لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} [سورة الصف الآية: ٢].

وقوله:{وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ} [سورة هود الآية: ٨٨].

وسُئِلَ أبو عمران عن قوله تعالى:{لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾} [سورة البلد الآية: ٤].

فقال إبراهيم النخعي:

لم يخلق الله جل ثناؤه دابة في بطن أمها إلا منكبة على وجهها، إلا ابن آدم فإنه منتصب انتصابًا.

فهذا امتنان عليه في الخلقة.

وكان أبو عمران إذا قرأ:{ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ} [سورة يونس الآية: ٨٧].

كان بنو إسرائيل لا يصلُّون إلا مساجدهم وكنائسهم، وكانت ظاهرة، فلما أرسل موسى إلى فرعون، أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخرجت كلها ومنعوا من الصلاة، فأوحى الله عز وجل إلى موسى وأخيه هارون أن اتخذوا لبني إسرائيل بيوتًا بمصر؛ أي: مساجد، ولم يرد المنازل المسكونة ولكنهم خافوا، فأمروا أن يصلوا في بيوتهم.

وسأل رجلٌ إبراهيم النخعي عن قوله تعالى:{طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ} [سورة الرعد الآية: ٢٩].

فقال:

هو الخير الذي أعطاهم الله تعالى.

وكان أبو عمران إذا قرأ:{كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ} [سورة ق الآية: ٢٤].

قال:

المناكب عن الحق.

أي: المعاند، العنيد، المُعْرِضُ عن الحق.

وسُئِلَ إبراهيم النخعي عن قوله تعالى:{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ} [سورة الرحمن الآية: ٤٦].

فقال:

لمن خافه في الدنيا - أي: خاف مقام ربه بعد أداء الفرائض -.

وقال إبراهيم النخعي في قوله:{وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ} [سورة الإسراء الآية: ٤٤].

يسبح لله كل شيء حتى صرير الباب.

وسأل رجلٌ إبراهيمَ النخعي عن معنى قوله تعالى:{طُوبَىٰ لَهُمْ} [سورة الرعد الآية: ٢٩].

فقال أبو عمران:

خير لهم وكرامة.

وسأل الأعمشُ إبراهيمَ النخعي عن الخشوع في قوله تعالى:{وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} [سورة البقرة الآية: ٤٥].

فقال أبو عمران:

أعميش تريد أن تكون إمامًا للناس ولا تعرف الخشوع؟

ليس الخشوع بأكل الخشن ولبس الخشن وتطأطؤ الرأس لكن الخشوع: أن ترى الشريف والدنيّ في الحق سواء، وتخشع لله في كل فرض افترض عليك.

وفاة إبراهيم النخعي:

لما حضرت الوفاة إبراهيم النخعي جزع جزعًا شديدًا، فقيل له في ذلك فقال:

- وأي خطر أعظم مما أنا فيه؟! أنا أتوقع رسولاً يأتي عليَّ من ربي إما الجنة وإما النار، والله لوددت أنها تلجلج في صدري إلى يوم القيامة.

وقال عمران الخياط:

دخلنا على إبراهيم النخعي نعوده وهو يبكي فقلنا له:

- ما يبكيك يا أبا عمران؟

قال إبراهيم النخعي:

- أنتظر ملك الموت، لا أدري يبشرني بالجنة أم بالنار!

وتوفى إبراهيم النخعي سنة خمس وتسعين.

وقلي:

سنة ست وسبعين.

ودفن بالكوفة.

وقيل:

توفي وهو ابن نيف وخمسين سنة.

وقال ابن عون:

مات إبراهيم وهو ما بين الخمسين والستين.

وصلى عليه شعيب بن الحبحاب ودُفِنَ ليلاً في زمن الحجاج.

فلما أصبحوا قال الحجاج لشعيب بن الحبحاب:

- دفنتم الرجل الليلة؟

قال شعيب:

- نعم.

قال الحجاج بن يوسف الثقفي:

- دفنتم أفقه الناس؟

قال شعيب بن الحبحاب:

- ومن الحسن البصري؟

قال الحجاج:

- أفقه من الحسن، ومن أهل البصرة، وأهل الكوفة، وأهل الشام، وأهل الحجاز!

* * *

[١٧]

بلال بن سعد

بلال بن سعد

كان قاصا لأهل دمشق ومتفكرًا في الوعد وعقولاً عن الله عز وجل وبليغًا في الموعظة كان محل - أي منزلته ومكانته - بلال بن سعد بالشام ومصر كمحل الحسن بن أبي الحسن بالبصرة.

نسبه:

هو بلال بن سعد بن تميم السكوني.

ألك بينة؟!:

قال الأوزاعي:

هلك ابن لبلال بن سعد بالقسطنطينية.

فجاء رجل يدعى عليه بضعة وعشرين دينارًا فسأله بلال بن سعد:

- ألك بينة؟

قال الرجل:

- لا

فعاد بلال بن سعد يتساءل:

- فلك كتاب.

قال الرجل:

- لا

قال بلال بن سعد:

- فتحلف؟

قال الرجل:

- نعم

فدخل بلال بن سعد منزله وعاد ببضعة وعشرين دينارًا قدمها إلى الرجل وقال:

- إن كنت صادقًا فقد أديت عن ابني، وإن كنت كاذبًا فهي عليك صدقة.

إني عن ظنك بي.

قال بلال بن سعد:

- يأمر الله تعالى بإخراج رجلين من النار.

فيخرجان بسلاسلهما وأغلالهما فيوقفان بين يديه فيقول:

- كيف وجدتما مقيلكما ومصيركما؟

فيقولان:

- شر مقيل وأسوأ مصير.

فيقول:

- بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد.

فيأمر بهما إلى النار.

فأما أحدهما فيمضي بسلاسله وأغلاله حتى يقتحمها.

وأما الآخر فيمضي وهو يتلفت.

فيأمر بردهما فيقول للذي غدا بسلاسله وأغلاله حتى اقتحمها:

- ما حملك على ما فعلت وقد اختبرتها - النار -؟

فيقول:

- يا رب: قد ذقت من وبال معصيتك ما لم أكن أتعرض لسخطك ثانيًا.

ويقول للذي مضى وهو يلتفت:

- ما حملك على ما صنعت؟

فيقول:

- لم يكن هذا ظني بك يارب.

قال:

- فما كان ظنك بي؟

فيقول:

- كان ظني حيث أخرجتني منها أنك لا تعيدني إليها.

وأمر بصرفهما إلى الجنة.

ما على المحسنين من سبيل:

قال الأوزاعي:

خرج الناس يستسقون وفيهم بلال بن سعد فقال:

- أيها الناس: ألستم تقرون بالإساءة؟

قالوا:

- نعم.

قال بلال بن سعد.

- اللهم أنك قلت: ما على المحسنين من سبيل، وكل يقر لك بالإساءة، فاغفر لنا واسقنا.

يقول الأوزاعي:

فسُقُوا.

عباد الرحمن:

قال بلال بن سعد:

عباد الرحمن:

إن العبد ليعمل الفريضة الواحدة من فرائض الله وقد أضاع ما سواها، فما زال الشيطان ينسيه فيها ويزين له حتى ما يرى شيئًا دون الله، فقبل أن تعملوا أعمالكم فانظروا ما تريدون بها، فإن كانت خالصة لله فامضوها، وإن كانت لغير الله فلا تشقوا على أنفسكم ولا شيء لكم.

فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا، فإنه تعالى قال: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ} [سورة فاطر الآية: ١٠]، يرفعه الله أو يرفعه صاحبه أو العمل الصالح يرفع الكلم الطيب وقد خص الكلام والطيب بالذكر لبيان الثواب.

عباد الرحمن:

ما يزال لأحدكم حاجة إلى ربه تعالى إما يسأله، وإما رغبة إليه، وأما عهد الله وأمره ووصيته فعندك ضائع أفكل ساعة تريدون أن يتم عليكم إحسان ربكم عندكم ولا تفقدون أنفسكم في حق ربكم عندكم؟ ما هذا بالضعف فيما بينكم وبين ربكم.

عباد الرحمن:

اشفقوا من الله واحذروا الله ولا تأمنوا مكره ولا تقنطوا من رحمته، واعلموا أن لنعم الله عندكم ثمنًا فلا تشقوا على أنفسكم، أتعملون عمل الله لثواب الدنيا؟ فمن كان كذلك فوالله لقد رضى بقليل حيث استعنتم على اليسير من عمل الدنيا، فلم ترضوا ربكم فيها ورفضتم ما يبقى لكم، وكفاكم منه اليسير.

من أقوال بلال بن سعد:

قال بلال بن سعد:

* لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر من عصيت.

* الذكر ذكران: ذكر لله عز وجل باللسان حسن جميل، وذكر عندما أحل وحرم أفضل.

* إن الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا أهلها، وإذا ظهرت فلم تغير ضرت العامة.

* لا تكن وليًا لله تعالى في العلانية وعدوه في السر.

* يا أهل الخلود ويا أهل البقاء، إنكم لم تخلقوا للفناء وإنما خلقتم للخلود والأبد، ولكنكم تنقلون من دار إلى دار.

* إن الله يغفر الذنوب، ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يوقفه - المذنب - عليها يوم القيامة وإن تاب.

* ذكرك حسناتك ونسيانك سيئاتك غرة.

* رب مسرور مغبون يأكل ويشرب ويضحك ويلعب وقد حق عليه في كتاب الله عز وجل أنه من أهل النار.

* أخ لك كلما لقيك ذكَّرك بحظك من الله خير لك من أخ كلما لقيك وضع في كفك دينارًا.

* يا أولي الألباب: ليتفكر متفكر فيما يبقى وينفعه.

أما ما وكلكم الله عز وجل به فتضيعون، وأما ما تكفل لكم به فتطلبون ما هكذا نعت الله عباده المؤمنين.

أذوو عقول في طلب الدنيا وبله فيما خلقتم له؟

فكما ترجون الله بما تؤدون من طاعته فكذلك أشفقوا من عذاب الله بما تنتهكون من معاصيه.

* عباد الله: اعلموا أنكم تعملون في أيام قصار لأيام طوال، وفي دار زوال لدار مقام، وفي دار نصب - تعب - وحزن - لدار نعيم وخلد.

عباد الرحمن: هل جاءكم مخبر يخبركم أن شيئًا من أعمالكم تُقبل منكم أو شيئًا من أعمالكم غُفر لكم؟

* أدركتهم يشتدون بين الأغراض، ويضحك بعضهم إلى بعض فإذا كان الليل كانوا رهبانًا.

* إنما المؤمنين إخوة فكيف بإيمان قوم متباغضين؟

* واحزناه على أني لا أحزن.

* رب مسرور مغبون، ورب مغبون لا يشعر، فويل لمن له الويل ولا يشعر، يأكل ويشرب ويضحك ويلعب وقد حق عليه قضاء الله أنه من أهل النار.

فيا ويلا لك روحا، ويا ويلا لك جسدا، فلتبك وليبك عليك البواكي بطول الأبد.

* أن لكم ربا ليس إلى عقاب أحدكم بسريع، يقيل العثرة ويقبل التوبة، ويقبل من المقبل ويعطف على المدبر.

* أدركت الناس يتحادثون عن الأعمال الصالحة: الصلاة والصيام والزكاة وفعل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنهم اليوم يتحادثون عن الرأي.

* كفي به ذنبًا إن الله يزهدنا فى الدنيا ونحن نرغب فيها.

* إذا تقاربت الأعمال اشتد البلاء.

* ذكر الغساق فقال بلال بن سعد:

لو أن قطعة منه وقعت إلى الأرض لأنتنت ما فيها.

* بلغني أن المسلم مرآة أخيه فهل تستريب من أمري شيئًا؟

* زاهدكم راغب، ومجتهدكم مقصر، وعالمكم جاهل، وجاهلكم مغتر.

* أيها الناس: اتقوا الله فيمن لا ناصر له إلا الله.

* تنادي النار يوم القيامة:

يا نار احرقي.

يا نار اشتفى.

يا نار انضجي.

يا نار كلي ولا تقتلي.

* ثلاث لا يقبل معهن عمل: الشرك والكفر والرأي.

قيل:

- وما الرأي؟

قال بلال بن سعد:

- يترك كتاب الله وسنة رسوله (صلي الله عليه وسلم) ويعمل برأيه.

* لكأنا قوم لا يعقلون ولكأنا قوم لا يوقنون.

* إذا رأيت الرجل لجوجا مماريا معجبًا برأيه فقد تمت خسارته.

* يا ناعيات الإسلام ولا يبعد الله الإسلام.

* كما نقلتم من الأصلاب إلى الأرحام ومن الأرحام إلى الدنيا ومن الدنيا إلى القبور، ومن القبور إلى الموقف ثم إلى الخلود في الجنة أو النار.

* إن المؤمن ليقول قولاً يوافق قوله عمله، وأن المنافق ليقول بما يعمل ويعمل بما ينكر.

* عباد الله: يقال لأحدنا:

- أتحب أن تموت؟

فيقول:

- لا.

فيقال:

- لم؟

فيقول:

- حتى أعمل، وسوف أعمل

فلا يحب أن يموت ولا يحب أن يعمل، وأحب شيء إليه أن يؤخر عمل الله ولا يحب أن يؤخر عنه عرض الدنيا.

* يا أولي الألباب: لا تقتدوا بمن لا يعلم.

ويا أولي الألباب: لا تقتدوا بالسفهاء.

ويا أولي الأبصار: لا تقتدوا بالعمى.

ويا أولي الإحسان لا يكن المساكين ومن لا يعرف أقرب إلى الله منكم، وأحرى أن يستجاب لهم، فليتفكر متفكر فيما يبقى له وينفعه.

* أما ما وكلكم به فتضيعون؟

* وأما ما تكفل لكم به فتطلبون؟

ما هكذا نعت الله عز وجل عباده المؤمنين.

أذوو عقول في طلب الدنيا؟

فكما ترجون رحمة الله بما تؤدون من طاعة الله، فكذلك أشفقوا من عقاب الله بما تنتهكون من معاصي الله.

* أربع خصال جاريات عليكم من الرحمن مع ظلمكم أنفسكم وخطاياكم:

أما رزقه فدار عليكم.

وأما رحمته فغير محجوبة عنكم.

وأما ستره فسابغ - كامل واف - عليكم.

وأما عقابه فلم يعجل لكم.

ثم أنتم على ذلك لاَ هُونَ تجترؤن على إلــهكم، أنتم تكلمون ويوشك الله تعالى يتكلم وتسكتون، ثم يثور من أعمالكم دخان تسود منه الوجوه:{وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١} [سورة البقرة الآية: ٢٨١].

عباد الرحمن: لو غُفرت لكم خطاياكم الماضية لكان فيما تستقبلون شغل، ولو عملتم بما تعلمون لكنتم عباد الله حقا.

* لما حضرت أبي الوفاة قال لي:

- يا بني: ادع بنيك.

فأموت أهلي فألبسوهم قمصًا بيضًا.

فقال:

اللهم إني أعيذهم من الكفر وضلالة العمل، ومن السباء - الأسر - والفقر إلى بني آدم (راوه ابن المبارك عن الأوزاعي عن بلال عن أبيه أن النبي (صلي الله عليه وسلم) مسح رأسه ودعا له به).

من دعاء بلال بن سعد:

كان بلال بن سعد يقول في دعائه:

اللهم إني أعوذ بك من زيغ القلوب، ومن تبعات الذنوب، ومن مرديات الأعمال، ومضلات الفتن.

وقال بلال بن سعد:

كان أبو الدرداء يقول:

اللهم إني أعوذ بك من تفرقة القلوب.

قيل:

- وما تفرقه القلوب؟

قال:

- أن يوضع لي في كل واد مال.

* بلال بن سعد وأحاديث السراج المنير (صلي الله عليه وسلم) :

أسند بلال بن سعد أبيه سعد بن تيم السكوني وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب وجابر بن عبد الله.

* حدثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد أحمد ثنا أبو غسان مالك بن يحي السوسي ثنا معاوية بن يحيى أبو عثمان الشامي ثناء عبد الرحمن بم عمر الأوزاعي عن بلال عن عبد الله بن عمر قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**أول ما يرفع من أعمالهم الصلوات الخمس، وأول ما يسألون عنه الصلوات الخمس**) (رواه الحاكم في الكنى وأبو نعيم في الحلية عن ابن عمر).

* حدثنا سليمان بن أحمد ثنا أبو حنيفة محمد بن حنيفة الواسطي ثنا عمي أحمد بن محمد بن ماهان ثنا أبي ثنا طلحة بن زيد عن الوضين بن عطاء عن بلال بن سعد عن جابر بن عبد الله عن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:(**من ستر على مؤمن عورة فأنما أحيا موءودة من قبرها**) (رواه البيهقي في شعب الإيمان، والإمام أحمد).

* حدثنا أبو عمر بن حمدان ثنا الحسن بن سفيان حدثني عثمان بن إسماعيل بن عمران الدمشقي وحدثنا سليمان بن أحمد ثنا محمد بن إبراهيم أبو عامر النحوي ثنا سليمان بن عبد الرحمن قالا: ثنا الوليد بن مسلم ثنا عبد الله بن العلاء وغيره قال: سمعت بلال بن سعد يحدث عن أبيه قال:

قيل:

- يا رسول الله: ما الخليفة بعدك؟

قال عليه الصلاة والسلام:

-(**مثل الذي لي ما عدل في الحكم وأقسط في القسط ورحم ذا الرحم فمن فعل غير ذلك فليس مني ولست منه**) (رواه ابن جرير، وأبو نعيم في الحلية).

* حدثنا عبد الله جعفر ثنا إسماعيل بن عبد الله ثنا أبو مسهر حدثنا إبراهيم بن أحمد المقري ثنا أبو عمران الجوني ثنا هشام بن عمار قالا: ثنا صدقة بن خالد حدثني عمرو بن شراحيل عن بلال بن سعد بن تميم السكوني عن أبيه قال:

قلت:

- يا رسول الله: أي الناس خير؟

قال عليه الصلاة والسلام:

-(**أنا وأقرأني**).

قلنا:

- ثم ماذا يا رسول الله؟

قال (صلي الله عليه وسلم) :

-(**القرن الثاني**).

قلنا:

- يا رسول الله: ثم ماذا؟

قال عليه الصلاة والسلام:

-(القرن الثالث).

قلنا:

- ثم ماذا يا رسول الله؟

قال (صلي الله عليه وسلم) :

-(ثم يكون قوم يحلفون ولا يتحلفون ويشهدون ولا يستشهدون ويؤتمنون ولا يؤدون) (رواه أبو نعيم في الحلية).

بلال بن سعد والقرآن العظيم:

كان بلال بن سعد إذا قرأ قوله تعالى:{ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ } [سورة العنكبوت الآية: ٥٦].

قال:

عند نزول الفتنة أرضي واسعة ففروا إليها.

وسئل بلال بن سعد عن قوله تعالى:{لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ} [سورة غافر الآية: ١٥].

قال بلال بن سعد:

يلتقي أهل السماء وأهل الأرض.

وسئل بلال بن سعد عن قوله تعالى:{ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ } [سورة سبأ الآية: ٥١].

قال:

فزعوا فجالوا ولا فوت وذلك قوله تعالى:{يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ} [سورة القيامة الآية: ١٠].

وكان بلال بن سعد إذا قرأ:{إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ} [سورة العنكبوت الآية: ٤٥].

قال وهو يتأوه:

إن أحدكم إذا لم تنهه صلاته عن ظلمه لم تزده صلات عند الله إلا مقتا.

وسأل رجل بلال بن سعد عن قوله تعالى:{وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ} [سورة الحديد الآية: ١٤].

قال بلال بن سعد:

- ذكرك حسناتك ونسيانك سيئاتك غرة.

وقيل:

تربصتم: بالتوبة.

وارتبتم: أي شككتم في التوحيد والنبوة.

وقيل:

تربصتم بالنبي (صلي الله عليه وسلم) الموت وبالمؤمنين الدوائر.

* الإستغفار يستنزل به الرزق والمطر.

خرج الناس يستسقون فقام بلال بن سعد فحمد الله وأثني عليه ثم قال:

اللهم إنا سمعناك تقول:{مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ} [سورة التوبة الآية: ٩١]، وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا؟

اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا.

فرفع يديه ورفع الناس أيديهم.

فسقوا.

وسئل بلال بن سعد عن قول تعالى:{فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾} [سورة المدثر الآية: ٥١].

قال بلال:

ما لهؤلاء المشركين بالله عن التذكرة معرضين، مولين عنها تولية الحمر المستنفرة.

القسورة: هو الأسد.

* * *

السري السقطي

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[١٨]

السري السقطي

السري السقطي

كان عالمًا تقيًا ورعًا.

خال أبي القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد.

وكان سري السقطي يعجب بهذا ويقول:

ما في النهار ولا في الليل لي فـــرح ::: فما أبالي أطـــال الليـــل أم قصـــر

نسبه:

هو سري بن مغلس - مفلس - السقطي.

كنيته:

يكنى أبا الحسن.

حسن الظن بالله.

قال سري السقطي:

ثلاث من أخلاق الأبرار:

القيام بالفرائض، واجتناب المحارم، وترك الغفلة.

وثلاث من أخلاق الأبرار يبلغن بالعبد رضوان الله.

كثرة الإستغفار، وخفض الجناح، وكثرة الصدقات.

وثلاث من أبواب سخط الله:

اللعب، والمزاح والغيبة.

والعاشر من هذه الثلاث عمود الدين وزروته وسنامه:

حسن الظن بالله.

اليتيم :

يقول السري السقطي:

هذا الذي أنا فيه من بركات معروف الكرخي، انصرفت من صلاة العيد فرأيت معروف الكرخي ومعه صبيًا شعثًا فقالت:

- من هذا؟

قال معروف الكرخي:

- رأيت الصبيان يلعبون وهذا واقف منكسر.

فسألته:

- لم لا تلعب؟

فقال:

- أنا يتيم.

فقلت:

- ما ترى أنك تعمل به؟

فقال:

- لعلي أخلو فأجمع له نوى يشترى به جوزا يفرح به.

فقلت له:

- أعطينيه أغير حاله.

فقال لي معروف الكرخي:

- أو تفعل؟

قلت:

- نعم.

فقال لي:

- خذه أغنى الله قلبك

وكان معروف الكرخي مستجاب الدعوة

يقول سري السقطي:

فسارت الدنيا عند أقل من كذا.

الخوف أفضل من الرجاء:

قال السري بن المغلس:

- الخوف أفضل من الرجاء ما كان الرجل صحيحًا، فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف.

فقال رجل:

- كيف يا أبا الحسن؟

قال أبو الحسن:

- لأنه إذا كان في صحته محسنًا عَظُم رجاءه عند الموت وحسن ظنه بربه، وإذا كان في صحته مسيئًا ساء ظنه عند الموت ولم يعظم رجاءه.

الكوز:

يقول الجنيد بن محمد بن الجنيد:

دخلت يومًا على سري السقطي فوجدته يبكي وبين يديه كوز مكسورة، فجلست حتى سكت فقلت:

- ما يبكيك؟

قال:

كنت صائمًا فجاءت ابنتي بكوز فيه ماء فعقلته هناك وقالت:

- يبرد لك لتفطر عليه.

فحملتني عيني - أخذته سنة من النوم - فرأيت كأن جارية قد دخلت عليَّ من هذا الباب عليها قميص فضة وفي رجليها نعلان لم أر قدما قط في نعل أحسن منهما فقلت لها:

- لمن أنت؟

قالت:

- لمن لا يبرد الماء في الكيزان الخضر.

وضربت بكمها الكوز فرمت به.

- وهو هذا.

ثم انتبهت.

يقول الجنيد:

- فمكثت أختلف إليه مدة طويلة أرى الكوز بين يديه مكسورًا عليه التراب وهو لا يرفعه.

الحمد لله:

يقول محمد بن علي الحربي:

سمعت سريا يقول:

- حمدت الله مرة وأنا أستغفر الله من ذلك الحمد منذ ثلاثين سنة.

قيل:

- وكيف ذلك:

قال:

- كان لي دكان وكان فيه متاع، فوقع حريق في سوقنا.

فقيل لي:

فخرجت أتعرف خبر دكاني.

فلقيت رجلاً فقال لي:

- أبشر فإن دكانك قد سلم.

فقلت:

- الحمد لله.

ثم فكرت فرأيتها خطيئة.

العصفور:

يقول أبو عباس المؤدب:

دخلت على سرى السقطي يومًا فقال:

- لأعجبنك من عصفور يجيء فيسقط على هذا الرزاق فأكون قد أعددت له لقيمة فأفتها في كفي فيسقط على أطراف أناملي فيأكل.

فلما كان في وقت من الأوقات سقط العصفور على الرواق، ففتت في يدي، فلم يسقط على يدي كما كان ففكرت في سرة العلة في وحشته مني.

فوجدتني قد أكلت ملحًا طيباً.

فقلت في سري:

- أنا تائب من الملح الطيب.

فسقط العصفور في يدي.

وأكل وانصرف.

لا تعامل غيره فتسقط من عينه:

يقول سري السقطي:

مكثت أربعين سنة أسأل الله عز وجل أن يريني وليًا من أوليائه.

فلم أر أحدًا.

فخرجت إلى الثغر وصعدت جبل اللاكام فبينما أنا أمشي إذ رأيت قومًا جلوسًا نحو ثلاثين نفسًا مرضى عليهم ثياب خُلْقان - ثوب خلق: بال يستوي فيه الذكر والمؤنث لأنه في الأصل مصدر (الأخْلَق) - فسلمت عليهم ووقفت فقلت:

- لأي شيء أنتم جلوس في هذا القفر؟

قالوا:

- نحن من هذه المدينة التي أسفل الجبل، إذ كان رأس كل شهر في مثل هذا اليوم في مثل هذا الموضع نجلس، فإذا كان الظهر أقبل علينا رجل من هذا الموضع فنقوم إليه فيدعو الله لنا.

فقعدت معهم.

فلما كان الظهر أقبل رجل أسمر شديد السمرة عليه مئزر صوف، فقرأ على كل واحد.

فلحقته وقلت له:

- قف عليَّ يرحمك الله أكلمك.

فالتفت إليَّ وقال:

- يا سري: لا تعامل غيره فتسقط من عينه.

أردت أن يكون معه الأكثر:

يقول أحمد بن عمر الخلقاني:

خرج معي سري السقطي يوم العيد من المسجد فلقي رجلاً جليلاً فسلم عليه سلامًا ناقصًا - قال له: السلام عليكم ولم يقل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -.

فقلت له:

- إن هذا فلان.

قال سري السقطي:

- قد عرفته.

قلت:

- فلم نقصته في السلام؟

قال سري السقطي:

- لأنه يروى النبي (صلي الله عليه وسلم) أنه قال:(إذا التقى المسلمان قسمت بينهما مائة رحمة تسعون لأبشرهما).

فأردت أن يكون معه الأكثر.

وقفت بين يدي الله:

قال الجنيد:

كنت نائمًا عند سري فأنبهني وقال لي:

يا جنيد: رأيت كأني قد وقفت بين يدي الله تعالى فقال لي:

- يا سري خلقت الخلق فكلهم ادعى محبتي، وخلقت الدنيا فهرب مني تسعة أعشارهم وبقي معي العشر، وخلقت الجنة فهرب مني تسعة أعشار العشر، فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب مني تسعة أعشار عشر العشر، فقلت للباقين معي:

لا الدنيا أردتم ولا الجنة أخذتم، ولا من النار هربتم، فماذا تريدون؟

قالوا:

- إنك تعلم ما نريد.

فقلت لهم:

- فإني مسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم ما لا تقوم له الجبال الرواسي أتصبرون؟

قالوا:

- إذا كنت أنت المبتلي لنا فافعل ما شئت.

فهؤلاء عبادي حقًا.

سري بن المغلس السقطي والقرآن العظيم:

سأل رجل أبا الحسن عن قوله تعالى:{ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾} [سورة البقرة الآية: ٥٢].

فقال سري السقطي:

- الشكر: الاجتهاد في بذل الطاعة مع الاجتناب للمعصية في السر والعلانية.

يقول الجنيد بن محمد بن الجنيد:

كنت بين يدي خالي السري السقطي ألعب وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي:

- يا غلام: ما الشكر؟

فقلت:

- لا يُعصى الله بنعمه.

فقال لي:

- أخشى أن يكون حظك من الله لسانك.

يقول الجنيد:

- فلا أزال أبكى على هذه الكلمة التي قالها السري لي.

وكان سري السقطي إذا قرأ:{وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ} [سورة آل عمران الآية: ١٣٤].

قال:

أي يثيبهم على إحسانهم.

فالإحسان أن تحسن وقت الإمكان، فليس في كل وقت يمكنك الإحسان:

يقول الشاعر:

بادر بخير إذا ما كنت مقتدرا ::: فليس في كل وقت أنت مقتدر

وسئل سري السقطي عن كرامات الأولياء وما فعله العبد الصالح - الخضر - عندما وجد{فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ} [سورة الكهف الآية: ٧٧].

فقال:

كرامات الأولياء ثابتة على ما دلت عليه الأخبار الثابتة والآيات المتواترة ولا ينكرها إلا المبتدع الجاحد أو الفاسق الحائد.

ولو أن رجلاً دخل بستانًا فكلمه من رأس كل شجرة طير بلسان فصيح:

السلام عليك يا ولي الله.

فلو لم يخف أن يكون ذلك مكرًا لكان ممكورًا به، ولأنه لو علم أنه ولي لزال عنه الخوف، وحصل له الأمن.

ومن شرط الولي أن يستديم الخوف إلى تتنزل عليه الملائكة، قال تعالى:{تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ} [سورة فصلت الآية: ٣٠].

وكان سري السقطي إذا قرأ:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ} [سورة التحريم الآية: ٨].

قال:

لا تصلح التوبة النصوح إلا بنصيحة النفس والمؤمنين لأن من صحب توبته أحب أن يكون الناس مثله.

وسأل رجل أبا الحسن:

ما معنى قوله:{وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠} [سورة طه الآيتان: ٢٩ - ٣٠]. وما معنى وزير؟

قال سري بن المغلس السقطي:

سأل موسى عليه السلام الله تعالى أن يجعل له وزيرا، إلا أنه لم يرد أن يكون مقصورا على الوزارة حتى يكون شريكا له في النبوة، ولولا ذلك لجاز أن يستوزه من غير مسألة.

وسمى الوزير وزيرًا لأنه مشتق من الوزر لأنه يتحمل عن الملك أوزاره أي أثقاله فهو معين المَلِك على أمر المُلْك وهو قائم بأمره.

وقيل:

هو مشتق من المؤازرة وهي المعاونة.

وقيل:

بل هو مشتق من الوَزَر - بفتحتين - وهو الملجأ ومنه قوله تعالى:{كَلَّا لَا وَزَرَ ١١} [سورة القيامة الآية: ١١].

وسئل أبو الحسن عن قوله تعالى:{وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا} [سورة الجن الآية: ٣].

قال: الجسد في اللغة: العظمة والجلال.

ومنه قول أنس:

كان الرجل إذا حفظ سورة (البقرة) و(آل عمران) جد في عيوننا أي عظم وجل فمعنى:{جَدُّ رَبِّنَا} أي عظمته وجلاله.

من أقوال السري السقطي:

كان أبو الحسن يقول:

* كل الدنيا فضول إلا خمس خصال: خبز يشبعه، وماء يرويه، وثوب يستره، وبيت يسكنه، وعلم يستعمله.

* من أراد أن يسلم دينه ويستريح قلبه وبدنه ويقل غمه فليعتزل الناس، لأن هذا زمان عزلة ووحدة.

* من لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم، ومن هانت عليه المصائب أحرز ثوابها.

* ما أرى لي على أحد فضلا.

قيل:

- ولا المخبتين؟

قال السري السقطي:

- ولا على المخبتين.

* قليل في سُنَّة خير من كثير في بدعة، كيف يقل عمل مع تقوى؟

* أقوى القوة غلبتك نفسك، ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز، ومن أطاع من فوقه أطاعه من دونه، ومن خاف الله خافه كل شيء.

* إذا اغتممت بما ينقص من مالك فابك على ما ينقص من عمرك.

* من قلة الصدق كثرة الخلطاء، ومن علامة الاستدراج العمى عن عيوب النفس.

* أجلد الناس من ملك غضبه، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله، ولم يكمل رجل حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

* إني لأنظر إلى أنفي في كل يوم مرتين مخافة أن يكون قد اسود وجهي.

* ما أحب أن أموت حيث أعرف أخاف ألا تقبلني - تقذفني - الأرض فأفتضح.

* ما أحب أن آكل أكلة ليس لله عليَّ فيها تبعة ولا لمخلوق عليَّ فيها منة فما أجد إلى ذلك سبيلا.

* اللهم ما عذبتني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب.

* إذا فاتني جزء من وردي لا يمكنني أن أقضيه أبدًا.

* إذا ابتدأ الإنسان ثم كتب الحديث فَتَر وإذا ابتدأ بكتبه الحديث ثم تنسك نفذ.

* وذكر لأبي الحسن أهل الحقائق من العبَّاد فقال:

أكلهم أكل المرضى ونومهم دون الغرقى.

* احذر لا يكون الثناء منثورا وعيبا مستورا.

* ذكر للسري السقطي بعض الناس فقال:

لا تعمل لهم شيئًا، ولا تترك لهم شيئًا، ولا تعط لهم شيئًا، ولا تكشف لهم عن شيء، يريد بذلك أن تكون أعمالك كلها خالصة لله عز وجل.

* كان يقول للشباب:

أنا لكم عبرة يا معشر الشباب، اعملوا فإنما العمل في الشيبة.

* من الناس لو مات نصف أحدهم ما انزجر النصف الآخر ولا أحسبني إلا منهم.

* قلوب المؤمنين معلقة بالسوابق.

وقلوب الأبرار معلقة بالخواتيم.

المؤمنون يقولون:

- بماذا سبق لنا من الله؟

ويقول الأبرار:

- بماذا يختم لنا؟

* من النذالة أن يأكل الإنسان بدينه.

* من حاسب نفسه استحيا الله من حسابه.

* من عرف السبب انقطع عنه الطلب.

* من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل.

* سَلب الدنيا عن أوليائه وحماها عن أصفيائه، وأخرجها من قلوب أودَّائه لأنه لم يرضها لهم.

* لو علمت أن جلوسي معكم أفضل من جلوسي في البيت أفضل من خروجي إلى المجلس ما خرجت، وله أعلم أن جلوسي في البيت ما جلست، ولكني إن دخلت اقتضاني العلم لكم، وإذا خرجت نافرتني الحقيقة، فأنا عند منافرتي مستحى وأنا عند اقتضاء العلم محجوج.

* وددت أن حزن الخلق كلهم عليَّ.

* إن في النفس لشغلا عن الناس.

* إذا فاتني شيء من وردي لم أقدر أن أعيده.

* يقول الجنيد بن محمد الجنيد:

دخلت على سري السقطي ذات يوم فقال لي:

- اقرب مني.

فقربت منه، فأخذ بيدي وقال لي:

- اعلم يا بني أن الشوق والأنس يرفرفان على القلب، فإن وجدا هنالك الهيبة والإجلال حلا وإلا رحلا.

* ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان:

من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق.

وإذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الباطل.

وإذا قدر لم يتناول ما ليس له.

* لو أن رجلاً دخل إلى بستان فيه من جميع ما خلق الله تعالى من الأشجار، عليها من جميع الأطيار فخاطبه كل طائر منها بلغته وقال:

- السلام عليك يا ولي الله.

فسكنت نفسه إلى ذلك، كان في يديها أسيرًا.

* عجبت لم غدا وراح في طلب الأرباح وهو مثل نفسه لا يربح أبدًا.

* لو أشفقت هذه النفوس على أديانها شفقتها على أولادها لاقت السرور في معادها.

* لولا الجمعة والجماعة لسددت على نفسي الباب ولم أخرج.

* صليت ليلة ثم جلست ساعة ومددت رجلي، فنوديت في سري:

- يا سري: من جالس الملوك ينبغي أن يلزم الأدب.

* قال سري السقطي لإخوانه:

الدهر ثلاثة أيام:

يوم مضى بؤسه وشدته وغمه ولم يبق منه شيء.

واليوم الذي أنت فيه صديق مودع لك طويل الغيبة عنك سريع الرحلة عنك.

وغدا في يديك تأميله، ولعلك من غير أهله.

وقال:

أمس أجل.

واليوم عمل.

وغدا أمل.

* إن نفسي تنازعني أن أغمس جزرة في دبس - الدبس: ما يسيل من الرطب - منذ ثلاثين سنة فما يمكنني.

* كان أهل الورع في وقت من الأوقات أربعة: حذيفة المرعشي، وإبراهيم ابن أدهم، ويوسف بن أسباط، وسليمان بن الخواص، فنظروا في الورع، فلما ضاقت عليهم الأمور فزعوا إلى التقلل.

* كنت بطرسوس وكان معي في الدار فتيان متعبدون، وكان في الدار تنور - فرن - يخبزون فيه، فانكسر التنور، فعملت لهم بدله من مالي، فتورعوا أن يخبزوا فيه.

* خمس من كن فيه فهو شجاع بطل:

استقامة على أمر الله عز وجل ليس فيها روغان.

واجتهاد ليس معه سهو.

وتيقظ ليس معه غفلة.

ومراقبة الله في السر والجهر ليس معه رياء.

ومراقبة الموت بالتأهب.

* للمريد مقامات:
التحبب إلى الله بالنافلة.
والتزين عنده بنصيحة الأمة.
والأنس بكلام الله عز وجل.
والصبر على أحكامه.
والأثرة لأمره.
والحياء من نظره.
وبذل المجهود في محبوبه.
والرضا بالقلة.
والقناعة بالخمول.
* للخائف عشر مقامات:
الحزن اللازم، والهم الغالب.
والخشية المقلقلة، وكثرة البكاء.
والتضرع في الليل والنهار، والهرب من مواطن الراحة.
وكثرة الوله، ووجل القلب.
وتنغص العيش، ومراقبة الكمد.
* المغبون من فنيت أيامه بالتسويف.
والمغبون من تمنى الصالحون مقامه.
* سئل حكيم من الحكماء:
- متى يكون العالم مسيئًا؟

قال:

- إذا كثر بقباقه - كثرة الكلام - وانتشرت كتبه، وغضب أن يرد عليه شيء من قوله.

* إذا بعث بك رجل يتكلم في موارد القلوب في حاجة فلا تبطئ عليه فإنك تشغل قلبه.

* إني أعرف طريقًا يؤدي إلى الجنة قصدًا.

فقيل له:

- ما هو يا أبا الحسن؟

قال:

- أن تشغل نفسك بالعبادة وتقبل عليها وحدها حتى يكون فيك فضل.

وقيل:

قال سري السقطي:

- أعرف طريقًا مختصرًا يؤديكم إلى الجنة.

فقيل:

- ما هو؟

قال أبو الحسن:

- لا تأخذ من أحد شيئًا، ولا تسأل أحدًا شيئًا، ولا يكن معك ما تعطي منه أحدًا شيئًا.

* رأيت الفوائد ترد في ظلم الليل.

* التوكل الانخلاع عن الحول والقوة.

* أربع خصال ترفع العبد:

العلم والأدب.

والعفة والأمانة.

* انقطع من انقطع عن الله عز وجل بخصلتين، واتصل من اتصل بالله بأربع خصال:

فأما من انقطع عن الله بخصلتين: فيتخطى إلى نافلة بتضييع فرض، عمل بظاهر الجوارح لم يواطئ عليه صدق القلوب.

وأما الذي اتصل به المتصلون: فلزوم الباب، والتشمير في الخدمة، والصبر على المكاره، وصيانات الكرامات.

* معنى الصبر أن تكون مثل الأرض تحمل الجبال وبني آدم وكل ما عليها، لا تأبى ذلك ولا تسميه بلاء، بل تسميه نعمة وموهبة من سيد لا يراد فيها أداء حكم بها عليه.

* من ادعى باطن علم بنقض ظاهر حكم فهو غالط.

* ينبغي على العبد أن يكون أخوف ما يكون من الله عز وجل، آمن ما يكون من ربه.

* لا تركنن إلى الدنيا فينقطع من الله حبلك، ولا تمش في الأرض مرحًا فإنها عن قليل قبرك.

* قال بعض الأنبياء لقومه:

ألا تستحيون من كثرة ما لا تستحيون؟

* أصفى ما يكون ذكري إذا ما كنت محجوبا.

* من اشتغل بمناجاة الله تبارك وتعالى أورثته حلاوة ذكر الله مرارة ما يلقي إليه الشيطان.

* تبقى الأخدان ولا تأمنهم على سرك، احذر أخدان السوء واتهم صديقك كما تتهم عدوك.

* قال أبو بكر العطشي لسري السقطي:

- ماذا أراد الله أهل الجوع بالجوع؟

قال أبو الحسن:

- ماذا أراد أهل الشيخ بالشبع؟ إن الجوع أورثهم الحكم، وأن الشبع أورثهم التخمة.

* اجعل فقرك إلى الله تستغن به عمن سواه.

* الأدب ترجمان العقل، ولسانك ترجمان قلبك.

ووجهك مرآة قلبك، يتبين على الوجه ما تضمر القلوب.

* القلوب ثلاثة: قلب مثل الجبل لا يزيله شيء.

وقلب مثل النخلة أصلها ثابت والريح تميلها.

وقلب كالريشة يميل مع الريح يمينًا وشمالاً.

* لا تصرم - صرم الشيء قطعه - أخاك على ارتياب، ولا تدعه دون استعتاب.

ومن علامات المعرفة بالله القيام بحقوق الله وإيثاره على النفس فيما أمكنت فيه القدرة.

* خير الرزق ما سلم من خمسة:

من الآثام في الاكتساب.

والمذلة في الخضوع في السؤال.

والغش في الصناعة.

وإثبات آلة المعاصي.

ومعاملة الظلمة.

* وأحسن الأشياء خمسة:

البكاء على الذنوب.

وإصلاح العيوب.
وطاعة علام الغيوب.
وجلاء الرين على القلوب.
وأن لا تكون لما تهوى ركوب.
* خمسة أشياء لا يسكن في القلب معها غيرها:
الخوف من الله وحده.
والرجاء من الله وحده.
والحياء من الله وحده.
والحب لله وحده.
والأنس بالله وحده.
* لا يقوى على ترك الشهوات إلا من ترك الشبهات.
* قال رجل لديراني - الذي يعيش في الدير -:
- ما بالكم تعجبكم الخضرة؟
قال الديراني:
- إن القلوب إذا غاصت في بحار الفكرة غشيت الأبصار، فإذا نظرت إلى الخضرة عاد إليها نسيم الحياة.
* إني إذا نزلت أريد صلاة الجماعة أذكر مجيء الناس إليَّ فأقول:
اللهم هب لهم عبادة يجدون لذتها تشغلهم بها عني.
* كل من ذكرني بسوء فهو في حل إلا رجل تعمدني بشيء هو يعلم مني خلافه.

سري السقطي وأحاديث طبيب القلوب والعقول والنفوس (صلي الله عليه وسلم) :

أسند سري بن المغلس وسمع من الأعلام والمشاهير، وامتنع من الحديث، ولم يخرج له كثير حديث.

روى عن هشيم وسفيان بن عيينة ومروان بن معاوية ومحمد بن فضيل بن غزوان وآخرين.

* حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد ثنا أبو عبد الله محمد بن عبيد - تلميذ بشر بن الحارث - ثنا السري بن المغلس السقطي ثنا هشيم ثنا عبد الله بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(**يمينك على ما يصدقك عليه صاحبك**) أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب يمين الحالف على نية المستحلف، والإمام أحمد، وأبو داود، وابن ماجه عن أبي هريرة.

* حدثنا محمد بن علي بن سهل ثنا محمد بن الفضل بن جابر ثنا السري بن المغلس وداود بن عمرو قالا:

ثنا مروان بن معاوية عن عبد الواحد بن أيمن الملكي عن عبيد بن دفيعة عن أبيه قال:

لما كان يوم أحد وانكفأ الكفار والمشركون قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(استووا حتى أثني على ربي: اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت ولا مضل لما هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقارب لما باعدت ولا مباعد لما قربت.

اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك.

اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول.

اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف.

اللهم عائذ بك من شر ما أعطيتنا ومن شر ما منعت منا.

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق واجعلنا من الراشدين.

اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين.

اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك.

اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق. (رواه الإمام أحمد والبخاري في الأدب والنسائي، والطبراني في المعجم الكبير، والحاكم في المستدرك، وأبو نعيم في الحلية).

* وحدثت عن الحسن بن علي ثنا السري بن مغلس ثنا عبد الله بن ميمون عن عبيد الله بن نافع عن ابن عمرو قال:

خرج علينا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وفي يده كتابان فقال:

-(أتدرون ما هذان الكتابان؟).

قلنا:

- لا، إلا تخبرنا يا رسول الله.

قال للذي في يده اليمنى:

-(هذا كتاب من رب العالمين - تبارك وتعالى - بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا).

ثم قال للذي في يساره:

-(هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص أبدًا).

فقال أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

- فلأي شيء إذًا نعمل، إن كان هذا أمرًا قد فرغ منه؟

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(سددوا وقاربوا فإن أصحاب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار ليختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل).

ثم قال بيده فقبضها ثم قال:

-(فرغ ربكم – عز وجل – من العباد).

ثم قال باليمني فنبذ بها فقال:

(فريق في الجنة).

ونبذ باليسرى فقال:

-(فريق في السعير). (رواه الإمام أحمد في المسند ج٢، رقم ٦٥٧٤ .

* وحدثت عن الحسن بن علي ثنا السري بن مغلس ثنا ابن فضيل عن مختار بن فلفل عن أنس بن مالك أن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قال:

(لن يبرح الناس يتساءلون هذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله؟) (رواه البخاري عن أنس).

قالوا عن سري السقطي:

* قال جنيد بن محمد الجنيد:

كان سري متصل الشغل، وكان إذا فاته شيء لا يقدر أن يعيده، وكذا كان عمر بن الخطاب لم يكن له وقت ينام فيه، فكان ينعس وهو

قاعد فقيل له:

- يا أمير المؤمنين ألا تنام؟

فقال:

- كيف أنام؟ إذا نمت بالنهار ضيعت أمور المسلمين، وإذا نمت بالليل ضيعت حظي من الله عز وجل.

وقال الجنيد أيضًا:

- ما رأيت أعبد لله من السري السقطي أتت عليه ثمان وسبعون سنة ما رئي مضطجعًا إلا في علة الموت.

* قال ابن سعد:

كان ثقة نبيلاً فاضلاً عابدًا ورعًا كثير الحديث.

وقال حسن البزار:

كان أحمد بن حنبل ها هنا، وكان بشر بن الحارث ها هنا، وكنا نرجو أن يحفظنا الله بهما، ثم ماتا وبقى سرى فإني أرجو أن يحفظنا الله بسري.

وفاة السري السقطي:

يقول الجنيد بن محمد بن الجنيد:

كانت أعود السري في كل ثلاثة أيام عيادة السنة، فدخلت عليه وهو يجود بنفسه، فجلست عند رأسه فبكيت وسقط من دموعي على خده، ففتح عينيه ونظر إليَّ.

فقلت له:

- أوصني.

فقال:

- لا تصحب الأشرار، ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار.

وتوفى سرى السقطي بمكة في أول سنة سبع وثمانين ومائة من الهجرة.

* * *

يعقوب بن إبراهيم

مواقف ومواعظ

من حيـاة التابعيـن

[١٩]

يعقوب بن إبراهيم

يعقوب بن إبراهيم

صاحب أبي حنيفة.

أحد أئمة المذهب الحنفي.

تولى قضاء بغداد على كره منه وبعد شدة ضغط من أمير المؤمنين هارون الرشيد فصار قاضي القضاة.

نسبه:

هو الإمام العلامة فقيه العراقيين يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن بجير بن معاوية.

كنيته:

يكنى أبا يوسف.

نذير الكلاب:

قال يعقوب بن إبراهيم:

كنت مارًا في طرقات الكوفة وإذا بعليان المجنون، فلما أبصرني سلم عليَّ وقال لي:

- أيها القاضي: مسألة.

قلت:

- هات.

قال عليان:

- أليس قد قال تعالى في كتابه العزيز: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم} [سورة الأنعام الآية: ٣٨].

قلت:

- بلى.

قال عليان المجنون:

- ألــيس قــد قــال الله عــز وجــل:{وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ }

[سورة فاطر الآية: ٢٤].

قلت:

- بلى.

قال عليان المجنون:

- فما نذير الكلاب؟

قلت:

- لا أدري، فأخبرني.

هز عليان رأسه وقال في صوت ينبض بالإصرار:

- لا والله، لا أقول إلا بمن من شواء، ونصف من فالوذج - نوع من الحلوى.

فأمرت بمن جاء بها، ودخلت معه مسجدًا، فلما انتهى منها وأكلها عن آخرها قلت:

- هات الجواب.

فأخرج من كُمه حجرًا وقال:

- هذا نذير الكلاب.

الحجة بالمذاق:

ذات ضحى دخل أبو يوسف على أمير المؤمنين هارون الرشيد، فسأله الرشيد:

- ما تقول يا أبا يوسف في الفالذوج واللورينج أيهما أطيب؟

قال يعقوب بن إبراهيم:

- يا أمير المؤمنين: لا أقضي بين غائبين عني.

فأمر أمير المؤمنين بإحضارهما.

فجعل أبو يوسف يأكل من الفالوذج لقمة ومن اللورينج أخرى حتى أتى على نصفيهما ثم قال:

- يا أمير المؤمنين: ما رأيت خصمين أجدل منهما كلما أردت أن أسجل لأحدهما أدلى الآخر بحجة.

إن وأن:

دخل يعقوب بن إبراهيم القاضي على أمير المؤمنين هارون الرشيد يومًا ومعه الكسائي وهما في مذاكرة وممازحة.

فتساءل الكسائي:

- يا أبا يوسف: هل لك في مسألة؟

قال يعقوب بن إبراهيم:

- في نحو أو فقه؟

قال الكسائي:

- بل في فقه.

فضحك أمير المؤمنين هارون الرشيد وقال:

- تُلقى على أبي يوسف الفقه؟

قال الكسائي:

- نعم يا أبا يوسف: ما تقول في رجل قال لزوجه: أنت طالق إن دخلت الدار؟

قال أبو يوسف:

- إذا دخلت الدار طلقت.

قال الكسائي:

- أخطأت يا أبا يوسف.

فضحك أمير المؤمنين هارون الرشيد وتساءل:

- كيف الصواب يا كسائي؟

قال الكسائي:

- إذا قال: أن وجب الفعل ووقع الطلاق، دخلت الدار بعد أو لم تدخل.

وإذا قال: إن بالكسر لم يجب ولم يقع الطلاق حتى تدخل الدار.

شهادة:

ذات يوم شهد الفضل بن الربيع وزير أمير المؤمنين هارون الرشيد عند قاض القضاة أبي يوسف فرد القاضي شهادته، فعاتب أمير المؤمنين هارون الرشيد يعقوب بن إبراهيم في ذلك وقال:

- لم رددت شهادته؟

قال أبو يوسف:

- سمعته يقول أنا عبدك، فإن كان صادقًا فلا شهادة للعبد، وإن كان كاذبًا فكذلك.

الجهل يشهد على صاحبه:

صحب أمير المؤمنين هارون الرشيد أبا يوسف لدى زيارته أم القرى، وفي مكة أشار يعقوب بن إبراهيم على أمير المؤمنين أن يتقدم لإمامة المصلين.

فصلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ركعتين وسلم.

فنادى يعقوب بن إبراهيم:

- يا أهل مكة: أتموا صلاتكم فإن أمير المؤمنين مسافر ونحن قوم سفر.

فنادى رجل من أم القرى:

- يا أبا يوسف: نحن أعلم منك وممن علمك.

فأجابه يعقوب بن إبراهيم:

- لو كنت أعلم لما تكلمت في صلاتك.

مع أبي حنيفة:

* سأل أمير المؤمنين هارون الرشيد أبا يوسف يومًا:

- صف لي أخلاق أبي حنيفة:

فقال يعقوب بن إبراهيم:

- كان والله شديد الدفاع عن حرمات الله مجانبًا لأهل الدنيا، طويل الصمت، دائم الفكر، لم يكن مهزارًا ولا ثرثارًا، إن سئل عن مسألة كان له فيها علم أجاب، وما علمته يا أمير المؤمنين إلا صائمًا لنفسه ودينه مشتغلاً بنفسه عن الناس، لا يذكر أحدًا إلا بخير.

فقال الرشيد:

- هذه أخلاق الصالحين.

* وجاء رجل إلى الإمام أبي حنيفة ذات ضحى وقال له:

- يا إمام أقرضني مبلغًا من المال وهذه داري رهنا عندك.

فأعطاه مبلغًا من المال.

وذات يوم مر رجل بالإمام أبي حنيفة وقت الظهيرة والشمس حامية فوجد الإمام أبا حنيفة واقفًا بجوار الدار والشمس تزفر لهبًا وتجلد الأرض بسياطها النارية وأمامه ظل الدار الذي أصبح مرهونًا

عنده، فقال له الرجل:

- لماذا أراك واقفًا في لهب الشمس وظل الدار أمامك؟

قال أبو حنيفة:

- إن هذا البيت مرهون عندي وإني أخشى أن أكون قد انتفعت به - ظن أن هذا شيء من الرّبا -.

* ودخل أحد العلماء القرية ذات يوم وقال لأهلها:

- أنا مستعد أن أجيب على أصعب سؤال.

وكان موجودًا بين الحاضرين الإمام أبي حنيفة.

فقال له أبو حنيفة:

- أنا أسألك سؤالاً.

فقال العالم:

- ما هو؟

قال أبو حنيفة:

- إن النملة التي كلمت نبي الله سليمان عليه السلام كانت ذكرًا أم أنثي؟

فسكت العالم وكست وجهه سحب الحيرة.. ثم قال:

- الله أعلم.

فقال الإمام أبو حنيفة:

- كانت أنثى.

فتساءل العالم:

- وما دليلك على ما تقول؟

قال أبو حنيفة:

- لأن الله عز وجل يقول في كتابه:{قَالَتۡ نَمۡلَةٞ} [سورة النمل الآية: ١٨] بتاء التأنيث.

ثم أردف الإمام أبو حنيفة:

- إني ما كنت أسألك ولكني أحببت أن أقول لك: لا تغتر بنفسك.

* وسأل رجل جاحد الإمام أبا حنيفة ذات يوم:

- هل رأيت ربك؟

قال أبو حنيفة:

- سبحان ربي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار.

فقال الرجل الجاحد:

- هل لمسته؟ هل شممته؟ وهل ذقته؟

قال الإمام أبو حنيفة:

- سبحان ربي:{لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} [سورة الشورى الآية: ١١].

فتساءل الجاحد:

- فإذا لم تكن رأيته ولا لمسته ولا شممته ولا أحسسته فمن أين تثبت أنه موجود؟

فقال أبو حنيفة:

- يا هذا: هل رأيت عقلك؟

هز الجاحد رأسه وقال:

- لا.

قال أبو حنيفة:

- هل سمعت عقلك؟

قال الجاحد:

- لا.

قال الإمام أبو حنيفة:

- هل شممت عقلك؟

قال الجاحد:

- لا.

قال أبو حنيفة:

- هل أحسست عقلك؟

قال الجاحد:

- لا.

فعاد أبو حنيفة يتساءل:

- أعاقل أنت أم مجنون؟

قال الجاحد:

- أنا عاقل.

فتساءل أبو حنيفة:

- فأين عقلك؟

قال الجاحد:

- موجود.

قال الإمام أبو حنيفة:

- **كذلك الله جل جلاله موجود.**

أبو حنيفة يرد على الملحدين:

قال يعقوب بن إبراهيم:

بينما كان أبو حنيفة تلميذًا يأخذ عن شيخه حماد بن أبي سليمان وبينما كان أبو حنيفة نائمًا إذ رأى في منامه رؤيا مبهمة:

رأى خنزيرًا يريد أن ينحت من ساق شجرة، فمال غصن صغير وضرب الخنزير ضربة موجعة فابتعد صارخًا ثم انقلب في الرؤيا إنسانًا جلس في ظل هذه الشجرة يعبد الله.

فذهب أبو حنيفة إلى شيخه حماد ليفسر له هذه الرؤيا فوجد أستاذه مغتمًا حزينًا فسأله عن سبب ذلك فقال أستاذه:

جاء أشخاص ملحدون يعتقدون أن الكون مخلوق بالطبيعة وليس له رب، وجاءوا إلى ملك هذه البلاد وقالوا له:

- أرسل أحد علماء الإسلام ليوضح لنا أن للكون إلـهًا، فبعث إليَّ الملك واتفقنا على مكان وزمن نجتمع فيه لنجادل في إثبات ذات لا تراها العيون ولا تلمسها الأيدي، وإني أخشى الفتنة على الناس، فهتف أبو حنيفة وكأنه وجد شيئًا كان مفقودًا طال البحث عنه:

- الآن عرفت تفسير رؤياي: فالخنزير رأس الملحدين يريد أن ينحت ساق شجرة العلم، وأما الغصن الصغير الذي ضرب الخنزير أنا تلميذك ضرب الخنزير بحجته فأسلم وتتلمذ عليك، فدعني أجادلهم، فإن غلبتهم فما بالك بالأستاذ؟ وإن غلبوني فأنا التلميذ الصغير، ولو جادلهم الشيخ لغلبهم.

فقال الشيخ حماد:

- على بركة الله.

فخرج أبو حنيفة إلى الناس وقال:

- إن الشيخ أكبر من يأتي لمثل هذه المسائل الواضحة الساطعة ولهذا اختار أصغر تلاميذه وهو أنا، لمجادلتكم وستجدون بعون الله إجابة واضحة كافية شافية.

فقالوا:

- سوف نرى.

ثم تساءلوا:

- في أي سنة ولد ربك؟

قال أبو حنيفة:

- الله عز وجل لم يلد ولا كان له أبوان وكتابه يقول:{لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾} [سورة الإخلاص الآية: ٣].

فقالوا:

- في أي سنة وجد ربك؟

قال أبو حنيفة:

- الله تبارك وتعالى موجود قبل الأزمنة والدهور - لا أول لوجوده -.

فقالوا:

- نريد أمثلة من المواقع المحض لتوضح لنا الإجابة.

قال أبو حنيفة:

- ماذا قبل الأربعة في الأرقام الحسابية؟

قالوا:

- ثلاثة.

قال أبو حنيفة:

- وماذا قبل الثلاثة؟

قالوا:

- اثنان.

فعاد أبو حنيفة يتساءل:

- وماذا قبل الاثنين؟

قالوا:

واحد.

فتساءل أبو حنيفة:

- وماذا قبل الواحد؟

قالوا:

- لا شيء قبله.

فقال أبو حنيفة:

- إذا كان الواحد الحسابي لا شيء قبله فما بالكم بالواحد الحقيقي وهو الله تعالى - إنه قديم لا أول لوجوده -.

فقالوا:

- في أي جهة يتجه وجه ربك؟

قال أبو حنيفة:

- لو أحضرنا مصباحًا في مكان مظلم في أي جهة يتجه نوره؟

قالوا:

- في جميع الجهات.

قال أبو حنيفة:

- إذا كان هذا حال النور الصناعي فما بالكم بنور السماوات والأرض؟

قالوا:

- عرفنا شيئًا عن ذات ربك أهي صلبة كالحديد أم سائلة كالماء أم غازية كالدخان والبخار؟

قال أبو حنيفة:

- هلا جلستم بجوار مريض مشرف على الموت؟

قالوا:

- جلسنا.

قال أبو حنيفة:

- كان يكلمكم فصار بعد الموت ساكنًا، وكان يتحرك فصار ساكنًا فما الذي غير حاله؟

قالوا:

- خروج روحه.

قال أبو حنيفة:

- أخرجت وأنتم موجودون معه؟

قالوا:

- نعم.

قال أبو حنيفة:

- صفوا لي هذه الروح أهي صلبة كالحديد؟ أم سائلة كالماء؟ أم غازية كالدخان والبخار؟

قالوا:

- لا نعرف عنها شيئًا.

قال أبو حنيفة:

- الروح - وهي مخلوقة - لا يمكنكم معرفة كنهها، أفتريدون مني أن أصف لكم الذات الإلـهية؟ إن ذاك لعجيب.

قالوا:

- في أي مكان ربك موجود؟

قال أبو حنيفة:

- لو أحضرنا كوبًا مملوءًا بلبن محلوب الآن فهل في هذا اللبن سمن؟

قالوا:

- نعم.

قال أبو حنيفة:

- أين يوجد السمن في اللبن؟

قالوا:

- ليس له مكان خاص بل هو شائع في كل جزيئات اللبن.

قال أبو حنيفة:

- إذا كان الشيء المخلوق وهو السمن ليس له مكان خاص أفتطلبون أن يكون للذات الإلـهية مكان دون مكان؟ إن ذاك لعجيب.

قالوا:

- إذا كانت كل الأمور مقدرة من قبل أن يخلق الكون فما صناعة ربك الآن؟

قال أبو حنيفة:

- أمور يبديها - يظهرها - ولا يبتديها: يرفع أقوامًا ويخفض آخرين.

قالوا:

- إذا كان لدخول الجنة أول فكيف لا يكون لها آخر ونهاية؟

قال أبو حنيفة:

- الأرقام الحسابية لها أول وليس لها نهاية.

قالوا:

- كيف يتأتى أن تزاد خيرات الجنة بالإنفاق منها ولا يمكن أن تنفد؟

قال أبو حنيفة:

- خلق الله شيئًا في الدنيا يزداد بالنفقة منه وهو العلم، فكلما أنفقت منه زاد ولم ينقص.

قالوا:

- أرني ربك ما دام موجودًا، والشيطان مخلوق من النار وسيعذب بالنار فكيف تعذب النار بالنار؟ والشر والخير مقدران على الإنسان فلم الثواب ولم العقاب؟

قال أبو حنيفة:

- إن الإجابة على أسئلتكم الثلاثة تحتاج إلى وسائل إيضاح:

فقالوا:

- هات ما شئت.

فمال أبو حنيفة والتقط طوبة وهو بها على رأس زعيم الملحدين فصرخ صرخة منكرة.

فأقبل وزير الملك مسرعًا مستنكرًا ما حدث فقال أبو حنيفة:

- إن ضربه وسيلة لتوضيح الإجابة على أسئلته.

فقالوا:

كيف.

- قال أبو حنيفة:

- هل أحدثت هذه الضربة ألمًا؟

فقال زعيم الملحدين وهو يتحسس رأسه:

- نعم.

فقال أبو حنيفة:

- وأين يوجد الألم؟

قال زعيم الملحدين:

- في الجرح.

فقال أبو حنيفة:

- أظهر لي الألم الموجود في الجرح فأظهر لك الرب الموجود في الكون، والطوبة من طين وأنت مخلوق من طين فكيف عذب الطين الطين؟ وضربك مقدر فلم استغثت ليلحقوا بي العقاب؟

فقال زعيم الملحدين عندئذ:

- أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

وأحجم بقية الملحدين:

فيالك من آيات حق لـــو اهتـــدى ::: بهن مريـــد الحـــق كـــن هواديـــا
ولكن على تلك القلـــوب أكنـــة ::: فليست وإن أصغت تجيب المناديـــا

لماذا أخرت صلاة العصر!

أخر أمير المؤمنين هارون الرشيد صلاة العصر ذات يوم، فدخل عليه يعقوب بن إبراهيم ومعه كوب من الماء وقال له:

- السلام على أمير المؤمنين.

فرد هارون الرشيد السلام.

فقال أبو يوسف:

- يا أمير المؤمنين: لو أن الأرض جفت ماؤها واشتد بك الظمأ وجئت إليك بنصف هذا الكوب من الماء لتشربه فكم تعطيني؟

قال أمير المؤمنين:

- أعطيك نصف ملكي.

فقال يعقوب بن إبراهيم:

- فإذا شربت الماء وحبس فيك الماء فلم ينصرف وجاءك طبيب ليصرف الماء بعد حبسه فكم تعطيه؟

قال هارون الرشيد:

- أعطيه النصف الآخر من مملكتي

فقال أبو يوسف:

– الله سقاك الماء مجانا وصرفه عنك مجانا ومع ذلك أخرت صلاة العصر.

قالوا عن أبي يوسف

* قال أحمد:

كان أبو يوسف منصفًا في الحديث.

* قال ابن معين:

ليس في أصحاب الرأي أحد أكثر حديثًا ولا أثبت منه.

وعنه أيضًا:

أبو يوسف صاحب حديث وصاحب سنة.

* قال المزني:

أبو يوسف أتبع القوم للحديث.

* قال الفلاس:

أبو يوسف صدوق، كان يعرف بالحفظ للحديث وكان يحضر المحدث فيحفظ خمسين حديثًا فيقوم فيمليها على الناس.

* قال ابن سعد:

لزم أبو يوسف أبا حنيفة النعمان بن ثابت فتفقه وغلب عليه الرأى وجفا الحديث.

يعقوب بن إبراهيم القاضي والقرآن العظيم:

سأل رجل أبا يوسف عن معنى قوله تعالى:{ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ} [سورة البقرة الآية: ٣].

فقال يعقوب بن إبراهيم:

ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب.

ثم قرأ:{ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ}.

وكان أبو يوسف إذا قرأ:{وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ} [سورة الحج الآية: ٢٨].

قال:

إن الأيام المعلومات: أيام النحر.

قال أبو يوسف:

روى ذلك عن عمر وعلى وإليه أذهب لأنه تعالى قال: {وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ} [سورة الحج الآية: ٢٨].

وسئل يعقوب بن إبراهيم القاضي عن رجل أسلم ثم ارتد.

فقال أبو يوسف:

- أن المرتد يعرض عليه الإسلام فإن أسلم وإلا قتل مكانه، إلا أن يطلب أن يؤجل، فإن طلب ذلك يؤجل ثلاثة أيام.

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(من بدل دينه فاقتلوه).

وقال عليه الصلاة والسلام:(لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان..).

ثم قرأ:{وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ } [سورة البقرة الآية: ٢١٧].

وسئل أبو يوسف عن ميراث المرتد فقال:

– ما اكتسب المرتد بعد الردة فهو لورثة المسلمين.

وكان أبو يوسف إذا قرأ:{ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ } [سورة البقرة الآية: ٢٢٢].

قال:

تدع الصلاة عشرا ثم تغتسل وتصلى عشرين يومًا، ثم تترك الصلاة بعد العشرين عشرًا، فيكن هذا حالها حتى ينقطع الدم عنها.

أما التي لها أيام معلومة فإنها تستطهر على أيامها المعلومة بثلاثة أيام.

وسئل أبو يوسف ما يستباح من للمرأة وهي في المحيض.

فقال يعقوب بن إبراهيم:

له منها ما فوق الإزار لقوله (صلي الله عليه وسلم) للسائل حين سأله:

- ما يحل لي من امرأتي وهي حائض؟

فقال عليه الصلاة والسلام:

-(لتشد عليها إزارها ثم شأنك بأعلاها).

وكان أبو يوسف إذا قرأ:{وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ} [سورة البقرة الآية: ٢٢٢].

قال:

لا تدن منه على شرطين: أحدهما انقطاع الدم وهو قوله:{حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ}.

والثاني: الاغتسال بالماء وهو قوله تعالى: {فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ} [البقرة: ٢٢٢] أي: يفعلن الغسل بالماء.

وسئل أبو يوسف عن قوله تعالى:{الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} [سورة البقرة الآية: ٢٢٩].

اختلف العلماء فيمن قال لامرأته:

- قد طلقتك.

إنه صريح الطلاق في المدخول بها وغير المدخول بها.

فمن قال لامرأته:

- قد فارقتك أو سرحتك أو أنت خلية أو برية أو بائن أو حبلك على غاربك، أو أنت عليَّ حرام أو الحقي بأهلك أو قد وهبتك لأهلك أو قد خليت سبيلك أو لا سبيل لي عليك.

قال أبو حنيفة وأبو يوسف:

- هو طلاق بائن.

وقال أبو يوسف:

- هي ثلاث ومثله خلعتك أو لا ملك لي عليك.

وكان يعقوب بن إبراهيم إذا قرأ:{وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ} [سورة البقرة الآية: ٢٣٨].

قال:

معناه في صلاتكم.

قال محمد بن الحسن:

- إذا صلى الإمام المريض جالسًا يقوم أصحاء ومرضى جلوسًا فصلاته وصلاة من خلفه ممن لا يستطيع القيام صحيحة جائزة، وصلاة من صلى خلفه ممن حكمه القيام باطلة.

قال أبو حنيفة وأبو يوسف:

- صلاته وصلاتهم جائزة

وسئل أبو يوسف:

- لماذا كان العرب في الجاهلية يطوفون بالبيت عراة؟

فقال:

قال ابن عباس:

كان العرب يطوفون بالبيت عراة، الرجال بالنهار، والنساء بالليل يقولون:

– لا نطوف بثياب عصينا فيها الله.

فقال الرجل:

- لماذا سمي البيت العتيق؟

قال يعقوب بن إبراهيم:

قال تعالى:{ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾} [سورة الحج الآية: ٢٩].

وقد اختلف في هذ التسمية فقيل:

إنه القديم لأنه أول بيت وضع للناس.

وقال ابن عباس:

سمي عتيقًا لأن الله أعتقه من تسلط الجبابرة عليه، فكم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله.

وكان أبو يوسف إذا قرأ:{وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾} [سورة ق الآية: ١٦].

قال:

الوسوسة: الصوت الخفي ومنها وسواس الحلى، ووسوسة النفس: ما يخطر ببال الإنسان ويهجس في ضميره من حديث النفس.

وحبل الوريد مثل في فرط القرب، كقولهم: هو مني معقد الإزار.

وقال ذو الرمة:

هل أغدو في عيشه رغيد ::: والموت أدنى لي من الوريد

أي: لا أكون في عيشة واسعة والحال أن الموت أقرب إليَّ من حبل الوريد.

وقرأ رجل:{وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟} [سورة البقرة الآية: ٢٨٢].

فسأل أبا يوسف عن شهادة الأعمى.

فقال أبو يوسف:

- إذا علمه قبل العمى جازت الشهادة بعد العمى، ويكون العمى الحائل بينه وبين المشهود عليه كالغيبة والموت في المشهود عليه.

وسأل رجل أبا يوسف عن قول تعالى:{وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ} [سورة آل عمران الآية: ٩٧].

قال يعقوب بن إبراهيم:

الحج على التراخي لا على الفور.

وقد أجمع العلماء على ترك تفسيق القادر على الحج إذا أخره العام أو العامين.

وكان أبو يوسف إذا قرأ:{ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ } [سورة آل عمران الآية: ١٩١].

قال:

يجلس المريض في صلاته كلها كجلوس التشهد.

وسأل رجل يعقوب بن إبراهيم عن قوله تعالى:{إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ } [سورة التوبة الآية: ٦٠].

قال أبو يوسف:

إن الفقير والمسكين سواء لا فرق بينهما في المعنى وإن افترقا في الاسم.

وكان أبو يوسف إذا قرأ:{وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ} [سورة يونس الآية: ٨٧].

قال:

قيام رمضان في البيت أفضل من قيامه في المسجد لمن قوى عليه.

وسأل رجل يعقوب بن إبراهيم القاضي عن قوله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾} [سورة الأحزاب الآية: ٤٩].

اختلفوا إذا كانت بائنة غير مبتوتة فتزوجها في العدة ثم طلقها قبل الدخول.

فقال أبو يوسف:

- لها مهر كامل للنكاح الثاني وعدة مستقلة.

جعلوها في حكم المدخول بها لاعتدادها من مائه.

وكان أبو يوسف إذا قرأ:{ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾} [سورة الصافات الآية: ١٠٧].

قال:

ليست الأضحية بواجبة ولكنها سنة غير مرخص لمن وجد السبيل إليها في تركها.

من أقوال يعقوب بن إبراهيم:

قال أبو يوسف:

* من طلب غرائب الحديث كذب، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب الدين بالكلام تزندق.

* الخصومة والكلام جهل، والجهل بالخصومة والكلام علم.

أبو يوسف القاضي وأحاديث الرحمة المهداة (صلي الله عليه وسلم) **:**

أسند يعقوب بن إبراهيم عن هشام بن عروة، وعطاء بن السائب.

وروى عنه ابن معين، وأحمد، وعليَّ بن الجعد.

* عن عروبه الحارثي في مسند القاضي أبي يوسف عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عليَّ أن النبي (صلي الله عليه وسلم)

قضى بشهادة رجل واحد مع يمين صاحب حق.

وقضى به عليٌّ بالعراق (رواه أبو عبد الله بن باكويه في أماليه).

وفاة أبي يوسف القاضي:

ذات يوم جاء إلى يعقوب بن إبراهيم يهودي يتظلم من أمير المؤمنين هارون الرشيد أخذ منه مالاً ولم يرده إليه.

فأرسل أبو يوسف إلى الرشيد فأحضره، فلما مثل أمير المؤمنين بين يدي يعقوب بن إبراهيم قال:

- يا هارون: إن هذا الرجل يدعي عليك أنك أخذت منه مالاً.

فقال أمير المؤمنين:

- أن مبطل في دعواه.

فالتفت أبو يوسف إلى اليهودي وتساءل:

- هل لديك بينة؟

فقال اليهودي:

- وهل أستطيع أن أستحضر شهودًا يشهدون على أمير المؤمنين؟

فسكت يعقوب بن إبراهيم هنيهة ثم قال:

- يا هارون: ادفع إلى اليهودي ما ادعاه.

ولما حضرت أبي يوسف الوفاة رفع يديه إلى السماء وقال:

اللهم إنك تعلم أني لم أمل لأحد من الخصمين حتى بالقلب، إلا في خصومة بين الرشيد واليهودي، لم أسو بينهما، وحكمت على الرشيد.

ثم اخضلت لحيته بالدموع.

وفاضت روحه.

ومات لخمس ليال خلون من ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائة في خلافة أمير المؤمنين هارون الرشيد عن تسع وستين سنة.

* * *

عطاء بن ميسرة

مواقف ومواعظ
مـن حيـاة التابعيـن

[٢٠]

عطاء بن ميسرة

عطاء بن ميسرة

كان من أهل الزهد والورع.

كان فقيهًا كاملاً وواعظًا عاملاً.

نسبه:

هو عطاء بن عبد الله.

وقيل:

عطاء بن ميسرة.

وقيل:

عطاء بن أبي مسلم الخرساني.

كنيته:

يكنى أبا عثمان.

مولده:

ولد عطاء بن ميسرة سنة خمسين من الهجرة.

البلاء:

قال أبو عثمان:

إن داود النبي عليه السلام قال:

- يا رب: ما لبني إسرائيل إذا نزل بهم كرب أو شدة، قالوا: يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب؟

فأوحى الله تعالى إلى داود:

إن إبراهيم لم يخير بيني وبين شيء قطًا إلا اختارني عليه.

وإن إسحاق جاد لي بمهجته.

وأن يعقوب ابتليته ببلاء فما أساء بي ظنًا في ذلك البلاء حتى فرجته عنه وكشفته.

كلمة التوحيد:

قال عطاء بن ميسرة:

ذكر عيسى بن مريم هذه الأئمة وخفه أحلامهم ومالهم عند الله عز وجل من الثواب فعجب أصحابه من ذلك وقالوا:

- يا روح الله مم ذاك؟

قال عيسى عليه السلام:

- جرت ألسنتهم كلمة استصعبت على الأمم قبلهم - يعني التوحيد - قول: **لا إله إلا الله**.

ربع الإسلام:

يقول عطاء بن ميسرة:

قال أبو أمامة الباهلي:

قلت لعمرو بن عنبسة: يا عمرو: لم سميت ربع الإسلام؟

قال عمرو بن عنبسة:

إن الله تعالى ألقى في روعي الإسلام قبل الإسلام، وأن أمر الجاهلية والأصنام باطل، فجعلت أسأل عن الأخبار وأتصدى للركبان حتى مر ركب وهم منصرفون من مكة فقالوا:

- خرج بها رجل من قريش يزعم أنه نبي.

فأتيت مسكنه حتى لقيته فقلت:

- يا رسول الله: من معك على هذا الأمر؟

قال (صلي الله عليه وسلم) :

-(حر وعبد) - يعني أبا بكر وبلالاً -.

قلت:

- يا رسول الله أنا معك على هذا الأمر.

فأسلمت فكنت رابع أربعة.

فبذلك سميت ربع الإسلام.

فقلت:

- يا رسول الله: أقيم معك أم ألحق بأهلي؟

قال عليه الصلاة والسلام:

-(بل الحق بأهلك، فإذا سمعت أني خرجت إلى يثرب فأتني).

فلما قدم المدينة أتيته فسلمت عليه فرد عليَّ السلام، وسألته عن أشياء فكان فيما سألت:.

- أي الرقاب أفضل؟

قال عليه الصلاة والسلام:

-(أغلاها ثمنًا وأنفسها عند أهلها).

الدَّيْن:

قال أبو عثمان:

إن معاذ بن جبل قال:

علمني رسول الله (صلي الله عليه وسلم) آيات من القرآن وكلمات ما في الأرض مسلم يدعو بهن مكروب، أو غارم، أو ذو دين إلا قضى الله عنه وفرج عنه.

احتبست عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يومًا لم أصل معه الجمعة فقال:

-(ما منعك يا معاذ من صلاة الجمعة؟)

قلت:

- يا رسول الله: كان ليوحنا بن ماريا اليهودي عليَّ أوقية من تبر - ذهب - وكان على بابي يرصدني، فأشفقت أن يحبسني دونك ويشغلني عن ضيعتي.

قال (صلي الله عليه وسلم) :

-(أتحب يا معاذ أن يقضي الله دينك؟).

قلت:

- نعم.

قال عليه الصلاة والسلام:

- قال:{ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾} [سورة آل عمران الآيات: ٢٦ - ٢٧]، رحمان الدنيا والآخر ورحيمهما، تعطى منهما ما تشاء وتمنع منهما من تشاء، أقض عني الدين، فلو كان عليك ملء الأرض ذهبًا لأداه الله عنك) (رواه أبو نعيم في الحلية عن عطاء الخراساني).

قالوا عن عطاء بن ميسرة:

* قال أبو نعيم:

كان أبو عثمان فقيهًا كاملاً وواعظًا عاملاً.

* قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر:

كنا نغازي مع عطاء الخراساني فكان يحي الليل صلاة، فإذا ذهب من الليل ثلثه أو نصفه نادانا وهو في فسطاطه يسمعنا:

- يا عبد الرحمن بن يزيد بن جبار، ويا يزيد بن يزيد، ويا هشام بن الغاز، ويا فلان، ويا فلان، قوموا وتوضأوا وصلوا فإن قيام هذا

الليل وصيام هذا النهار أيسر من شرب الصديد، ومقطعات الحديد، ألوحًا، ألوحًا والنجا النجا.

ثم يقبل على صلاته.

* قال يزيد بن جابر:

كنا نغزو مع عطاء الخرساني، فكان يحي الليل من أوله إلى آخره إلا نومة السحر.

* قال يزيد بن يزيد بن جابر:

كان عطاء الخرساني يومئ في حديثه فيقول:

إني لا أوصيكم بدنياكم أنتم بها مستوصون، وأنتم عليها حراص، وإنما أوصيكم بآخرتكم تعلن أنه لن يعتق عبد - من النار - وإن كان في الشرف والمال، وإن قال أنا فلان ابن فلان، حتى يعتقه الله تعالى من النار، فمن أعتقه الله من النار عتق، ومن لم يعتقه الله من النار كان في أشد هلكة هلكها أحد قط، فجدوا في دار المعتمل لدار الثواب، وجدوا في دار الفناء لدار البقاء، فإنما سميت الدنيا لأنها أدنى فيها المعتمل، وإنما سميت الآخرة لأن كل شيء فيها مستأخر، ولأنها دار ثواب ليس فيها عمل، فألصقوا إلى الذنوب إذا أذنبتم إلى كل ذنب اللهم اغفر لي فإنه التسليم لأمر الله، وألصقوا إلى الذنوب لا إله إلا الله وحده لا شريك له، والله أكبر كبيرا، والحمد لله رب العالمين، وسبحان الله وبحمده، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله وأتوب إليه.

فإذا نشرت الصحف وجاء هذا الكلام قد ألصقه كل عبد لي خطاياه رجا بهذا الكلام المغفرة، وأذهبت هذه الحسنات سيئاته، فإن الله تعالى يقول في كتابه:{إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ} [سورة هود الآية: ١١٤].

فمن خرج من الدنيا بحسنات وسيئات رجا بها مغفرة لسيئاته ومن أصر على الذنوب واستكبر عن الاستغفار خرج ذلك اليوم مصرًا على الذنوب مستكبرًا عن الاستغفار قاصه الحساب وجاوز بعمله إلا من تجاوز عنه المتجاوز الكريم فإنه لذو مغفرة للناس على ظلمهم وهو سريع الحساب.

واجعلوا الدنيا كشيء فارقتموه فوالله لتفارقنها، واجعلوا الموت كشيء ذقتموه فوالله لتذوقنه، واجعلوا الآخرة كشيء نزلتموه، والله لتزلنها، وهي دار الناس كلهم، ليس من الناس أحد يخرج لسفر إلا أخذ له أهبته، وتجهز له بجهازه، وأخذ للحر ظلاله وللعطش مزادًا، وللبرد لحافًا، فمن أخذ لسفره الذي يصلحه اغتبط، ومن خرج إلى سفر لم يتجهز له بجهازه ولم يأخذ أهبته ندم، فإذا أضحى لم يجد ظلاً، وإذا ظمأ لم يجد ماء يتروى به، وإذا وجد البرد لم يجد لذلك لحافًا، فلا أرى رجلاً أندم منه وإنما هذا سفر الدنيا ينقطع عنه ولا يقيم فيه، فأكيس الناس من قام يتجهز لسفر لا ينقطع، فأخذ في الدنيا لظمأ لا يروى، فمن آواه الله عز وجل في ظل عرشه لم يضح - الضح: ماضحًا للشمس والريح ما نالته - أبدًا، ومن أضحى يومئذ لم يستظل أبدًا، ومن قام فأخذ لرى لم يعطش أبدًا، فإن من عطش يومئذ لم يرو أبدًا، ومن قام فأخذ لكسوته لم يعر أبدًا، فإنه من عرى يومئذ لم يكس أبدًا، لم يأت أحد من الناس ببرائتين واحدة منهن بعد هول المطلع، والثانية في القيام بين يدي الجبار تعالى يقضي في رقاب خلقه ما يشاء لا شريك له.

* قال سعيد بن عبد العزيز:

كان عطاء الخرساني إذا لم يجد أحدًا يحدثه أتى المساكين فحدثهم.

عطاء بن ميسرة وأحاديث البشير النذير (صلي الله عليه وسلم):

أسند أبو عثمان عن أنس بن مالك، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وأبي هريرة، وأبي أمامة، وعقبة بن الجهني.

وروى عن معاذ بن جبل، وأبي رزين، وكعب بن عجرة، وجل سماعه وأخذه عن كبار التابعين سعيد بن المسب، وأبي إدريس الخولاني، وابن محيريز، والحسن البصري، ويحيى بن يعمر، ونعيم بن أبي هند، وعطاء بن أبي رباح، ونافع، وعكرمة، وأبي عمران الجوني.

وروى عنه أبو حنيفة، ومالك، وشعبة، والثوري، وحماد بن سلمة، وثقه بن معين، وأبو حاتم، والدارقطني.

* حدثنا سليمان بن أحمد ثنا أحمد بن المعلي قال: ثنا سليمان بن عبد الرحمن ثنا إسماعيل بن عياض عن عطاء الخرساني عن ابن عباس أن رجلاً جاء إلى رسول الله قال:

- يا رسول الله: إني نذرت أن أذبح بدنة ولم أجدها.

فقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

-(اذبح – مكانها – سبعًا من الغنم) (رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس).

وفي رواية:

اذبح مكانها سبع شياه.

* حدثنا أبو عمر بن حمدان، ثنا الحسن بن سفيان، ثنا سهل بن بن عثمان، ونصر بن عبد الرحمن الوشا قالا ثنا المحاربي، عن عبد الحميد بن أبي جعفر عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عمر قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(الدين خمس لا يقبل الله منهم شيئًا دون شيء: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والجنة والنار، والحياة بعد الموت هذه واحد ة، والصلوات الخمس عمود الإسلام لا يقبل الله الإيمان إلا بالصلاة والزكاة ومن فعل هؤلاء ثم جاء رمضان فترك صيامه متعمدًا لم يقبل الله الإيمان، ومن فعل هؤلاء الأربع ثم وتيسر له الحج ولم يحج ولم يوص بحجة ولم يحج عنه بعض أهله لم يقبل الله منه الإيمان ولا الصلاة، ولا الزكاة ولا صيام رمضان، إلا لأن الحج فريضة من فرائض الله، ولن يقبل الله شيئًا من فرائضه دون بعض) (رواه أبو نعيم في الحلية وابن جرير وسنده ضعيف).

* حثنا أبو بكر بن جعفر بن أحمد الشمشاطي - ابن الهيثم - القمري بواسط ثنا أبو شعيب الحراني ثنا يزيد بن هارون قال: ثان إسحاق بن نجيح عن عطاء الخرساني عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(لكل نبي خليل في أمته وخليلي عثمان بن عفان) (رواه ابن عساكر، وأبو نعيم في الحلية عن أبي هرير).

* حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد ثنا عبد الله بن صالح البخاري، ثنا محمد بن ناصح ثنا بقية بن الوليد عن مسلمة بن علي عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(من اعتقل رمحًا في سبيل الله عقله الله من الذنوب يوم القيامة) (رواه الطبراني في المعجم الكبير عن أبي هريرة).

اعتقل: جعل رمحه بين ركابه وساقه.

* حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد ثنا عبد الله بن شيرويه ثنا إسحاق بن راهويه ثنا كلثوم بن محمد بن أبي رسته - سدرة - ثنا

عطاء بن ميسرة عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(ما تواد اثنان في الله في الإسلام فيفرق - يفسد ذلك - بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما) (رواه البخاري في الأدب عن أبي هريرة).

* حدثنا أبو بكر محمد بن جعفر بن الهيثم ثنا أحمد بن الخليل البرجلاني، ثنا أبو النصر، ثنا عبد العزيز بن النعمان القرشي، ثنا يزيد بن حيان عن عطاء الخراساني عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(لا يجتمع حب هؤلاء الأربعة إلا في قلب مؤمن: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي) (رواه عبد بن حميدة، وأبو نعيم في فضائل الصحابة، وابن عساكر عن أبي هريرة).

* حدثنا أحمد بن إسحاق، ثنا جعفر بن محمد بن يعقوب، ثنا إبراهيم بن معمر، قال ثنا عمرو بن حفص بن عمرو، قال: ثنا عبد الغفار بن عفان صهر الأوزاعي، ثنا الوليد بن يزيد عن ابن جابر، عن عطاء الخرساني، عن عقبة بن عامر عن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:

(من أراد أن يدخل المسجد فنظر في أسفل خفيه أو نعليه تقول الملائكة:

- طبت وطابت لك الجنة أدخل بسلام) (رواه الديلمي وابن عساكر عن عقبة بن عامر).

* حدثنا محمد بن أحمد بن علي بن مخلد، ثنا محمد بن يونس الكديمي، ثنا بشر بن عمران الزاهراني، ثنا شعيبن زريق، عن عطاء الخرساني، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(حرمت النار على ثلاثة أعين: عين بكت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله، وعين سهرت في سبيل الله) (رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس).

* حدثنا محمد بن حميد، ثنا عبدان بن أحمد، ثنا دحيم ثنا عبد الله بن يحيى البنرسي ح وحدثنا أبي ثنا عبد الله بن محمد، ثنا يونس بن عبد الأعلى، ثنا ابن وهب، قالا: ثنا حيوة عن إسحاق بن عبد الرحمن الخرساني، أن عطاء الخرساني حدثه عن نافع ابن عمر قال:

سمعت رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يقول:(إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) (رواه أبو داود عن عبد الله بن عمر).

من أقوال عطاء بن ميسرة الخرساني:

قال عطاء الخرساني:

* مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام.

* طلب الحوائج من الشباب أسهل منه من الشيوخ، ألم تر إلى قول يوسف عليه السلام:{لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ} [سورة يوسف الآية: ٩٢]، وقال يعقوب:{سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ} [سورة يوسف الآية: ٩٨].

* يحاسب العبد يوم القيامة عند معارفه ليكون أشد عليه.

* مكتوب في التوراة: كل ترويج على غير هدى حسرة وندامة إلى يوم القيامة.

* العيب أسرع إلى من يتحرى الخير من الدسم في الثوب الجديد.

* ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت.

* أبى الله أن يأذن لصاحب بدعة بتوبة.

* امش ميلاً وعد مريضًا، وامشي ميلين وأصلح بين اثنين، وامش ثلاثًا وزر أخًا في الله.

* تعاهدوا إخوانكم بعد ثلاث، فإن كانوا مرضى فعدوهم، وإن كانوا مشاغيل فأعيذوهم، وإن كانوا نسوا فذكروهم.

* إن لجهنم سبعة أبواب أشدها غمًا وكربًا وحرًا وأنتنها ريحًا الزناة الذين ركبوا بعد العلم.

* لإبليس كحل يكحل به الناس، فالنوم عن الذكر من كحل إبليس.

* ثلاثة لم تكن منهن واحدة في أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) : لم يحلف أحد منهم على قسامة، ولم يكن فيهم حروري، ولم يكن فيهم مكذب بالقدر.

القسامة: وهي الإيمان تقسم على الأولياء في الدم، والقسم: اليمين، قاسمه: حلف له.

* السنة قضية على القرآن.

* لا ينبغي للعالم أن يعدو صوته مجلسه.

* مجالس العلم ربض بعضهم خلف بعض.

* إن أوثق علمي في نفسي نشر العلم.

* إذا كان خمس كان خمس:

إذا كان الربا كان الخسف والزلزلة.

إذا جار الحاكم قحط المطر.

وإذا ظهر الزنا كثر الموت.

وإذا منعت الزكاة هلكت الماشية.

وإذا تعدى على أهل الذمة كانت الدولة.

* إن داود النبي عليه السلام نقش خطيئته في كفه لكي لا ينساها، فكان إذا رآها اضطربت يداه.

* قال موسى عليه السلام: يا رب: مائة موتة أهون عليَّ من ذل ساعة.

عطاء بن ميسرة والقرآن العظيم:

وسأل رجل أبا عثمان عن قوله تعالى:{وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا} [سورة النازعات الآية: ٢٩].

قال: {وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا}: أظلمه.

{وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا}: أبرز نهارها المضيء بالشمس.

سأل رجل أبا عثمان عن قوله تعالى:{وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ} [سورة البقرة الآية: ١٢٤].

قال عطاء بن ميسرة:

ابتلاه الله عز وجل بالطهارة: خمس في الرأس وخمس في الجسد.

قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الشعر.

وفي الجسد: تقليم الأظافر، وحلق العانة، والاختتان، ونتف الإبط، وغسل مكان البول، والغائط بالماء.

وعلى هذا القول فالذي أتم هو إبراهيم عليه السلام.

وقد ختن خليل الرحمن ابنه إسماعيل لثلاث عشرة سنة، وختن ابن إسحاق لسبعة أيام.

ولا يتم إسلام الرجل حتى يختتن وإن بلغ ثمانين سنة.

وسئل عطاء بن ميسرة عن قوله تعالى:{ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا } [سورة القصص الآية: ٥٩].

فقال أبو عثمان:

أم القرى يعنى مكة شرفها الله تعالى لأنها توسطت الأرض فيما زعموا، وهي قبلة جميع الناس يؤمونها.

وقيل:

سميت بذلك لأنها أعظم القرى شأنًا، وكل مدينة هي أم ما حولها من القرى.

وسأل رجل عطاء بن ميسرة عن قوله تعالى:{قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ } [سورة الجمعة الآية: ٦].

قال:

{هَادُوٓاْ }: تدينوا باليهودية.

وكان أبو عثمان إذا قرأ:{ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ } [سورة الأعراف الآية: ١٥٧].

قال:

هو (صلي الله عليه وسلم) منسوب إلى الأمة الأمية التي هي على أصل ولادتها لم تتعلم الكتابة ولا قراءتها.

قال ابن عباس:

- كان نبيكم (صلي الله عليه وسلم) أميًا لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب.

قال تعالى:{ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ } [سورة العنكبوت الآية: ٤٨].

وقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(إنا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب).

وقيل:

الأمي الذي على خلقة الأمة لم يتعلم الكتابة فهو على جبلته.

وكان عطاء بن ميسرة إذا قرأ:{فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ} [سورة البقرة الآية: ١٩٤].

قال:

يأخذ حقه إما بالمباشرة إن أمكن وإما بالحكام.

يقول قدامة بن الهيثم:

سألت عطاء الخراساني فقلت له:

- لي مال على رجل حق وقد جحدني به وقد أعيا عليَّ البينة أفأقتص من ماله؟

قال أبو عثمان:

- أرأيت لو وقع بجاريتك فعلت ما كانت صانعًا؟

وسئل أبو عثمان عن قوله تعالى:{وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾} [سورة ص الآية: ١٦].

قال:

{قِطَّنَا}: نصيبًا من العذاب الذي أوعدته.

وسأل رجلاً أبا عثمان عن قوله تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾} [سورة آل عمران الآية: ٩٠].

فقال:

نزلت هذه الآية في اليهود فكفروا بعيسى عليه السلام والإنجيل، ثم ازدادوا كفرًا بمحمد (صلي الله عليه وسلم) والقرآن.

وكان عطاء بن ميسرة إذا قرأ:{إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ} [سورة المائدة الآية: ٣٣].

قال أبو عثمان:

يقام عليه بقدر فعله، فمن أخاف السبيل وأخذ المال قطعت يده ورجله من خلاف - اليد اليمنى مع الرجل اليسرى واليد اليسرى من الرجل اليمنى -، وإن أخذ المال وقتل قطعت يده ورجله وصلب، فإذا قتل ولم يأخذ المال قتل، وإن أخذ المال ولم يقتل نفي.

وسأل رجل عطاء الخرساني عن قوله تعالى:{وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖ} [سورة التوبة الآية: ٧٢].

قال أبو عثمان:

{جَنَّٰتِ عَدۡنٖ}: هي قصبة الجنة وسقفها عرش الرحمن جل وعز.

وكان عطاء بن ميسرة إذا قرأ:{لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ} [سورة يوسف الآية: ٩٢].

قال:

التثريب: التعيير والتعيير أي لا تعيير ولا توبيخ ولا لوم عليكم اليوم.

وسأل رجل أبا عثمان عن قوله تعالى:{ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢} [سورة الأحقاف الآية: ٢٢].

وقال:

{لِتَأْفِكَنَا}: لتصرفنا أو لتزيلنا بالإفك.

طلب الحوائج من الشباب أسهل منه من الشيوخ ألم تر قول يوسف:{لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ} [سورة يوسف الآية: ٩٢]، وقال يعقوب:{سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي} [سورة يوسف الآية: ٩٨].

وسأل رجل أبا عثمان عن قوله تعالى:{وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾} [سورة الإسراء الآية: ٢٨].

فقال عطاء بن ميسرة:

ليس هذا في ذكر الوالدين، جاء ناس من مزينة إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) يستحملونه فقال:{لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ} [سورة التوبة الآية: ٩٢].

فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا.

فأنزل الله تعالى:{وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا} [سورة الإسراء الآية: ٢٨].

والرحمة: الفيء.

يقول رجاء بن أبي سلمة:

قال عطاء الخراساني في قوله تعالى:{حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [سورة الأنفال الآية: ٦٤].

قال:

حسبك ومن اتبعك من المؤمنين.

قال عثمان بن عطاء:

قال أبي قوله تعالى:{وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} [سورة النور الآية: ٣١].

قال:

الكحل وطرف الخضاب - ما يختضب به كالحناء ونحوه -.

وقال عمر بن خليفة:

سمعت عطاء الخراساني بعد أن صلى معنا المغرب فأخذ بيدي حين انصرفنا فقال:

- ترى هذه الساعة ما بين المغرب والعشاء فإنها ساعة الغفلة وهي صلاة الأوابين، ومن جمع القرآن فقرأه من أوله إلى آخره في الصلاة كان في رياض الجنة.

وسأل رجل أبا أبا عثمان عن قوله تعالى:{وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا} [سورة الحجرات الآية: ١٤].

{لَا يَلِتْكُم}: لا ينقصكم.

وكان أبو عثمان إذا قرأ:{وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾} [سورة الكهف الآية: ١٦].

قال عطاء بن ميسرة:

كان فتية من قوم يعبدون الله ويعبدون معه آلهة فاعتزلت الفتية عبادة تلك الآلهة ولم تعتزل عبادة الله.

وكان عطاء الخراساني إذا قرأ:{مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾} [سورة طه الآية: ٥٥].

قال أبو عثمان:

إذا وقعت النطفة في الرحم انطلق الملك الموكل بالرحم فأخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق الله النسمة من النطفة ومن التراب فذلك قوله تعالى:{مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾} [سورة طه الآية: ٥٥].

وسئل أبو عثمان عن قوله تعالى:{وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ} [سورة العنكبوت الآية: ٤١].

فقال عطاء بن ميسرة:

ضرب الله عز وجل مثلاً للذين اتخذوا من دونه أولياء لضعف آلهتهم ووهنها فشبهها ببيت العنكبوت ونسجت العنكبوت مرتين مرة على داود حين كان جالوت يطلبه، ومرة على النبي (صلي الله عليه وسلم) ولذلك نهى عن قتلها.

وسئل عطاء بن ميسرة عن قوله تعالى:{فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ} [سورة ق الآية: ٥].

قال:

{مَّرِيجٍ}: مختلط مضطرب.

وسأل رجل عطاء الخرساني عن الكلالة فقال:

الورثة إذا لم يكن فيهم أب فما علا ولا ابن سفل.

وقيل:

الميت الذي لم يترك ولدًا ولا والدًا.

وكان أبو عثمان إذا قرأ:{وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾} [سورة آل عمران الآية: ١٤٣].

قال:

كان الصحابة رضوان الله عليهم يتمنون الموت لا ليخلو الجو لعدوهم ولكن لنيل كرامة الاستشهاد مع ضمان التفوق والغلبة.

وقد يتساءل متنطع:

كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها غلبة للكافر على المسلم؟

فقد كان ديدن الصحابة رضوان الله عليهم الاستشهاد في سبيل الله.

ولا ننسى بكاء سيف الله المسلول خالد بن الوليد عندما حضره الموت فقد مات على فراشه وكان يتمنى أن يموت في إحدى لقاءات العدو.

وهذا عبد الله بن رواحة حين نهد إلى حرب الروم في غزوة مؤتة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ::: وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة ::: بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي ::: أرشدك ربك من غاز وقد رشدا

ذات فرغ: ذات سعة، والفرغ: الدلو

أي ضربة تحدث في جسدي ما يشبه الدلو الممتلئة بالماء.

الحران: العطشان الظامئ إلى دمى.

جدثي: قبر.

وكان أبو عثمان إذا قرأ: {وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾} [سورة الدخان الآية: ٢٠].

قال:

قال موسى عليه السلام: تؤذونني أو تقتلونني بالحجارة.

وكان عطاء بن ميسرة إذا قرأ: {وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ} [سورة ص الآية: ٢٤].

قال أبو عثمان:

إن داود سجد أربعين يومًا حتى نبت المرعى حول وجهه، وغمر رأسه فنودي:

- أنا جائع.

فتطعم.

- وأعار.

فتكسى.

فنحب نحبة هاج المرعى من حر جوفه، فغفر له وستر بها.

فقال:

- يا رب هذا ذنبي فيما بيني وبينك قد غفرته، وكيف بفلان وكذا وكذا رجلاً من بني إسرائيل، تركت أولادهم أيتامًا ونساءهم أرامل؟

قال:

- يا داود لا يجاوزني يوم القيامة ظلم أمكنه منك ثم استوهبك منه بثواب الجنة.

قال داود عليه السلام:

- يا رب: هكذا تكون المغفرة الهينة.

وسأل رجل عطاء الخراساني في قوله تعالى:{حمٓ ١} [سورة غافر الآية: ١].

فقال أبو عثمان:

الحاء: افتتاح اسمه حميد وحنَّان وحليم وحكيم.

والميم: افتتاح اسمه ملك ومجيد ومنان ومتكبر ومصور.

يدل عليه ما روى أنس بن مالك أن أعرابيًا سأل النبي (صلي الله عليه وسلم) :

- ما{حمٓ} فإنا لا نعرفها في لساننا؟

قال النبي (صلي الله عليه وسلم) :

-(بدء أسماء وفواتح سور).

وسئل عطاء بن ميسرة عن قوله تعالى:{قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ} [سورة التحريم الآية: ٢].

قال: تحليلها بالكفارة.

وكان أبو عثمان إذا قرأ:{فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾} [سورة الدخان الآية: ٢٩].

قال:

ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت.

وقيل:

بكاؤهما - السماء والأرض - حمرة أطرافهما.

وسأل رجل أبا عثمان عن قوله تعالى:{لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [سورة الفتح الآية: ٢].

فقال عطاء بن ميسرة:

{مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ }.

يعني: من ذنب أبويك آدم وحواء.

{وَمَا تَأَخَّرَ} من ذنوب أمتك.

وقيل:

من ذنب أبيك إبراهيم.

{وَمَا تَأَخَّرَ} من ذنوب النبيين عليهم السلام.

وقيل:

{مَا تَقَدَّمَ} من ذنب يوم بدر.

{وَمَا تَأَخَّرَ} من ذنب يوم حنين.

وذلك أن الذنب المتقدم يوم بدر أنه جعل يدعو ويقول:

-(اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض أبدًا).

وجعل يردد هذا القول.

فأوحى الله عز وجل:

-(من أين تعلم أني لو أهلكت هذه العصابة لا أعبد أبدًا؟).

فكان هذا الذنب المتقدم.

وأما الذنب المتأخر فيوم حنين لما انهزم الطلقاء فتبعهم الناس، فقال لعمه العباس وابن معه أبي سفيان بن الحارث:

-(ناولاني كفًا من حصباء).

فناوله، فأخذ بيده، ورمى به وجوه المشركين وقال:

-(شاهت الوجوه، حم لا ينصرون).

فانهزم القوم عن آخرهم.

وكان أبو عثمان إذا قرأ:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾} [سورة عبس الآية: ٣٨].

قال:

بما أتاها الله عز وجل من الكرامة من طول ما غبرت في سبيل الله جل ثناءه.

وفاة عطاء بن ميسرة:

توفي أبو عثمان سنة خمس وثلاثين ومائة من الهجرة.

أي بعد أن عاش خمسًا وثمانين سنة.

* * *

زبيد بن الحارث الأيامي

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[٢١]

زبيد بن الحارث الأيامي

زبيد بن الحارث الأيامي

كان بالدنيا وعرضها مستهينًا.

وللقرآن وفروضه مستبينًا.

كنيته:

يكنى أبا عبد الرحمن.

وقيل:

يكني أبا عبد الله.

الزمهرير:

قام زبيد بن الحارث الأيامي ذات ليلة ليتهجد فعمد إلى مطهرة له قد كان يتوضأ منها فغمس يده فيها، فوجد الماء باردًا شديدًا كاد يجمد من شدة برده، فذكر الزمهرير - زمهرير جهنم الذي كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) يتعوذ منه ويطلب من أصحابه يتعوذوا منه - ويده في المطهرة، فلم يخرجها منها حتى أصبح، فجاءت الجارية وهو على تلك الحال فقالت:

- ما شأنك يا سيدي لم تصل الليلة كما كنت تصلي وأنت قاعد ها هنا على هذه الحال؟

قال زبيد:

- ويحك أدخلت يدي في هذه المطهرة فاشتد عليَّ برد الماء فذكرت به الزمهرير، فوالله ما شعرت برد يدي حتى وقفت عليَّ، فانظري لا تحدثني بها أحدًا ما دمت حيا.

تقول جارية زبيد الأعجمية:

- فما علم بذلك أحد حتى مات.

أشراط الساعة:

قال أشعث بن عبد الرحمن زبيد عن أبيه عن جده:

سئل عيسى بن مريم عليه السلام عن أشراط الساعة - علامات يوم القيامة - قال:

- من أشراطها إذا كان أمة محمد (صلي الله عليه وسلم) أخف الناس أحلامًا - عقولاً -، وأقربهم من الله عز وجل.

قالوا:

- يا نبي الله: وما خفه أحلامهم وقربهم من الله؟

قال كلمة الله وروحه:

- أما خفة أحلامهم فإن أحدهم يلعن البهيمة، وأما قربهم من الله فإن خوان - مائدة الطعام - أحدهم يوضع فما يرفع حتى يغفر له لقوله: بسم الله، والحمد لله.

قالوا عن زبيد بن الحارث الإيامي:

* قال الأشج:

دخلنا على زبيد نعوده فقلنا:

- شفاك الله - استشف الله -.

فقال زبيد:

- أستخير الله.

* قال سفيان:

كان زبيد إذا كانت الليلة مطيرة أخذ شعلة من نار فطاف على عجائز الحي فقال:

- أتريدون نارًا؟

فإذا أصبح طاف على عجائز الحي فقال:

- ألكم في السوق حاجة؟ أتريدون شيئًا؟

* قال سعيد بن جبير:

لو خيرت عبدًا ألقى الله في مسلاخه اخترت زبيدًا الأيامي.

* قال المنذر أبو عبد الله من أهل الكوفة:

قال لي محمد بن سوقة: لو رأيت طلحة - طلحة بن مصرف الأيامي - وزبيد لعلمت أن وجوههما قد أخلقها سهر الليل وطول القيام، وكانا والله ممن لا يتوسد الفراش.

* قال إسماعيل بن حماد:

كنت إذا رأيت زبيدًا مقبلاً من السوق وجف قلبي.

* قال سفيان بن زبيد:

كانت جارية أعجمية لزبيد، فكان زبيد إذا فرغ من صلاته قال:

- سبحان الملك القدوس.

فتقول الجارية:

- روز ماد - تعني: جاء النهار -.

* قال شبعة:

ما رأيت رجلاً خيرًا وأفضل من زبيد.

* قال عمران بن أبي الرباب:

- قيل لزبيد: ألا تخرج - يعني مع زيد بن علي - ؟

قال زبيد:

- لا أخرج إلا مع نفسي.

قال عمران بن عمرو الأيامي ابن أخ زبيد:

كان زبيد الأيامي حاجًا فاحتاج إلى الوضوء، فقام فتنحى فقضى حاجته.

ثم أقبل فإذا هو بماء في موضع لم يكن معهم ماء، فتوضأ.

ثم جاءهم يعلمهم حتى يأخذوا منه ويتوضأوا، فلم يجدوه ووجدوه قد ذهب.

* قال سفيان الثوري:

قال زبيد: إن في البيت لبعرًا - بعر البعير: يشمل الجمل، والناقة كالإنسان للرجل والمرأة، وإنما يسمى بعرًا إذا أجذع والجمع أبْعرة وأبَاعر وبُعران - ما يسرني أن لي عدد كل بعرة درهمًا.

* وقال أيضًا:

قال زبيد: ألف بعرة أحب إليَّ من ألف دينار.

* قال حصين:

إن أميرًا أعطى زبيدًا دراهم فلم يقبلها.

* قال يونس بن محمد:

كان زبيد الأيامي مؤذن مسجده.

وكان يقول للصبيان:

- تعالوا صلوا أهب - أعطي وأقدم - لكم الجوز.

وكانوا يجيئون ويصلون ثم يحوطون حوله.

فقلنا له:

- ما تصنع بهذا؟

قال زبيد:

- وما على أشترى لهم جوزًا بخمسة دارهم ويتعودن الصلاة.

* قال سفيان بن زبيد:

- أتدرون ما كان زبيدًا؟ كان رجلاً من أيام، وكانت له شاة داجن في البيت لها بعر كثير فقال:

- ما أحب أن لي بكل بعرة منها درهمًا.

قال نوح بن خبيب:

كنت جالسًا مع زبيد فأتاه رجل ضرير يريد أن يسائله.

فقال زبيد:

- إن كنت تريد أن تسألني عن شيء فإن معي غيري.

قال الأشعث بن عبد الرحمن بن زبيد:

قال أبي: كان زبيد قد قسم علينا الليل أثلاثا، ثلثا عليه، وثلثا عليَّ، وثلثا على أخي.

وكان زبيد يبدأ فيقوم ثلثه، ثم يضربني برجله، فإذا رأى كسلاً قال:

- نم يا بني فأنا أقوم عنك.

ثم يجيء إلى أخي فيضربه برجله، فإذا رأى منه كسلاً قال:

- نم يا بني فأنا أقوم عنك.

فيقوم حتى الصبح.

* قال سفيان:

يقولون: إن زبيدًا قسم الليل بينه وبين ابنيه فإذا اعتل أحدهما عمل عنه.

وكان زبيد إذا قدم من مكة - بعد أداء مناسك الحج - لم يعلم به أهله حتى يؤذن - في مسجده -.

* قال الأشعث بن عبد الرحمن بن زبيد:

رأى جدي جارية معها زمارة من قصب فأخذها وشقها، ورأى معها دفًا فأخذه وكسره.

زبيد بن الحارث الأيامي وأحاديث خاتم الأنبياء (صلي الله عليه وسلم) :

أدرك زبيد بن الحارث من الصحابة: ابن عمر، وأنس بن مالك، وسمع أبا وائل، والشعبي، ومرة الهمداني.

وروى عنه من التابعين: منصور بن المعتمر، والأعمش، وإسماعيل بن أبى خالد، ومحمد بن جحادة.

* حدثنا أبو بكر بن خلاد ثنا الحارث بن أبي أسامة، ثنا يزيد بن هارون، أنبأنا سفيان، ثنا زبيد عن أبي وائل، عن عبد الله عن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:

-(سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) (رواه الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن عبد الله بن مسعود، وابن ماجه عن أبي هريرة، وأبو داود عن سعد بن أبي وقاص، والطبراني في المعجم الكبير، عن عبد الله بن مغفل، والدارقطني في الأفراد عن جابر).

* حدثنا الحسن بن علي الوراق، ثنا عبد الله بن صالح، ثنا ابن كاسب ثنا محمد بن خالد المخزومي، ثنا سفيان عن زبيد عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود أن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:

(الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله) (رواه البيهقي في شعب الإيمان، وأبو نعيم في الحلية، عن عبد الله بن مسعود).

* حدثنا عبد الله بن جعفر، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبي داود ح، وحدثنا إبراهيم بن عبد الله بن أبي العزائم - العوام - ثنا أحمد بن موسى ثنا أبو نعيم ح، وحدثنا حبيب بن الحسن وعبد الملك بن الحسن قالا: حدثنا يوسف القاضي حدثنا سليمان بن حرب، وحدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا عمر بن حفص، حدثنا عاصم بن علي قال: حدثنا محمد بن طلحة بن مصرف عن زبيد عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) - يوم الأحزاب -:

-(شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله قبورهم نارا) (رواه الإمام أحمد، ومسلم، والنسائي، وابن خزيمة).

* حدثنا سليمان بن أحمد ثنا عباس بن محمد الجهوري ثنا أحمد بن خباب المصيصي ثنا عيسى بن يونس عن سفيان عن زبيد عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

(إن الله عز وجل قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب، فإذا أحب عبدًا أعطاه الإيمان، ومن ضن – بخل – بالمال أن ينفقه وهاب الليل أن يكابده، وخاف العدو أن يجاهده فليكثر من سبحان الله، والحمد لله ، ولا **إله** إلا الله والله أكبر، فإنهم مقدمات مجنبات ومعقبات، وهن الباقيات الصالحات) (رواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود).

* حدثنا أحمد بن إسحاق ثنا إبراهيم بن محمد - عمر - بن الحسن ثنا عبد الحميد بن محمد بن هشام، ثنا مخلد بن يزيد ثنا سفيان عن زبيد بن مرة عن عبد الله قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية) (رواه ابن المبارك، والطبراني في المعجم الكبير، وأبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن مسعود).

* حدثنا سليمان بن أحمد ثنا عبدان بن أحمد ثنا محمد بن زياد البرجمي، ثنا عبيد الله بن موسى، عن مسعر عن زبيد عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(اللهم إني أسألك من فضلك ورحمتك فإنه لا يملكها إلا أنت) (رواه الطبراني في المعجم الكبير عن ابن مسعود).

* حدثنا إبراهيم بن محمد بن يحيى وإبراهيم بن عبد الله قالا: ثنا محمد بن إسحاق، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا عبد الواحد بن زياد عن الحسن بن عبيد الله النخعي، ثنا إبراهيم بن سويد النخعي ثنا عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود قال:

كان رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إذا أمسى قال:

(أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، ولا **إله** إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير

اللهم إني أسألك من خير هذه الليلة وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها

اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والكبر وفتنة الدنيا وعذاب القبر) (رواه ابن أبي شيبة، ورواه أبو داود والنسائي).

* حدثنا عبد الله بن جعفر، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود، ثنا شعبة عن زبيد، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي قال:

إن النبي (صلي الله عليه وسلم) بعث سرية وأمر عليهم رجلاً - هو عبد الله بن حذافة السهمي - وأمرهم أن يطيعوه فأجج - عبد الله بن حذافة - لهم نارًا وأمرهم أن يقتحموها، فهم قوم أن يفعلوا، وقال آخرون:

- إنا فررنا من النار.

فأبوا.

ثم قدموا على رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فذكروا لـه ذلك فقال:

(لو دخلوها لم يزالوا فيها إلى يوم القيامة، لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعـروف) (رواه الإمام أحمد، وابن أبي شيبة، ورواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء، وأبو داود والنسائي).

* حدثنا سليمان بن أحمد ثنا علي بن عبد العزيز، ثنا أبو نعيم، ح، وحدثنا أبو إسحاق بن حمزة، وأبو أحمد محمد بن أحمد الجرجاني، قالا: ثنا أبو خليفة، ثنا محمد بن كثير قالا: ثنا سفيان عن زبيد عن إبراهيم النخعي عن مسروق عن عبد الله قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية) (رواه الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه، والنسائي عن ابن مسعود).

* حدثنا أبو علي محمد بن أحمد بن بالويه، وإبراهيم بن محمد بن يحيى النيسابوريان قالا: ثنا محمد بن إسحاق، ثنا الفضل بن إسحاق الدوري، ثنا أشعث بن عبد الرحمن بن زبيد عن أبيه عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال قال:

جاء أعرابي إلى النبي (صلي الله عليه وسلم) فقال:

- يا محمد الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟

فقال النبي (صلي الله عليه وسلم) :

-(المرء مع من أحب) (رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي عن أنس، ورواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود).

* حدثنا أبو بكر بن خلاد ثنا الحارث بن أبي أمامة، ثنا مسلم بن إبراهيم، ثنا محمد بن طلحة، ثنا زبيد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى

قال:

قال عمر بن الخطاب: الصلاة يوم الجمعة ركعتان، ويوم الفطر ركعتان، ويوم النحر ركعتان، وصلاة السفر ركعتان.

وهو تمام وليس بقصر على لسان نبيه (صلي الله عليه وسلم) (رواه أبو نعيم في الحلية عن عمر).

من أقوال زبيد بن الحارث الأيامي:

قال أبو عبد الرحمن:

- كان عيسى بن مريم عليه السلام إذا سمع موعظة صاح صياح الثكالى.

- الغنى أكثر من الربح، وأين يقع الربح من الغنى؟

يعني الغنى عن النفس.

- سمعت كلمة فنفعني الله عز وجل بها ثلاثين سنة.

زبيد بن الحارث الأيامي والقرآن العظيم:

قرأ رجل قوله تعالى:{وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾} [سورة فصلت الآيتين: ٣٧ - ٣٨].

فنظر الرجل نحو زبيد وسأله:

- أين موضع السجود منهما؟

فقال زبيد بن الحارث:

عند قوله تعالى:{يَسْـَٔمُونَ}.

فقال الرجل:

- لماذا لا نسجد عند قوله:{وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ}؟

قال زبيد:

- الأمر قريب.

فقال الرجل:

- ما المقصود بقوله:{ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ }؟

قال أبو عبد الرحمن:

- يعني الكفار عن السجود لله.

فعاد الرجل يتساءل:

-{فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ}.

قال زبيد:

- *من الملائكة.*

فقال الرجل:

- ما معنى يسأمون؟

قال أبو عبد الله:

- **لا يملون عبادته.**

وكان زبيد بن الحارث الأيامي إذا قرأ:{وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ١١} [سورة الإسراء الآية: ١١].

قال:

هو دعاء الرجل على نفسه وولده عند الضجر والغضب بما لا يحب أن يستجاب له كقوله:

- *اللهم أهلكه.. ونحوه.*

{ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِ} أي كدعائه ربه أن يهب له العافية والذرية الصالحة.

{وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا} أي طبعة العجلة، فيعجل بسؤال الشر كما يعجل بسؤال الخير.

وسئل أبو عبد الله عن قوله:{ وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِ } [سورة الفرقان الآية: ٤٠].

قال:

قرية قوم لوط عليه السلام أمطرت بحجارة من السماء مهلكة.

وكان زبيد بن الحارث إذا قرأ:{وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ } [سورة الفرقان الآية: ٥٣].

وفاة زبيد بن الحارث الأيامي:

يقول فضيل:

دخلت على زبيد الأيامي وهو مريض فقلت:

- شفاك الله.

فقال أبو عبد الرحمن:

- أستخير الله.

ويقول عمران بن عمرو ابن أخ زبيد:

كان معاوية بن خديج - يعني أبا زهير بن معاوية - تزوج امرأة من آل خارجة زوجها أخوها، وغضب أخ لها آخر، فخرج إلى الوالي.

فكتب إلى يوسف بن عمر:

انظر شاهدين فاطلبهما واحبسهما، وكان أحد الشاهدين بن زبيد بن الحارث الأيامي فتغيب وقال:

- اللهم ارزقني حج بيتك من عامي هذا ثم لا تريني يوسف بن عمرو أبدًا.

فرزقه الله عز وجل الحج، ومات في انصرافه، ودفن في النقرة، وكان ذلك سنة اثنتين وعشرين ومائة من الهجرة.

وقيل:

في أول سنة ثلاث وعشرين ومائة.

رؤية زبيد بن الحارث في المنام:

قال يحي بن كثير الضرير:

رأيت زبيدًا في النوم فقلت:

- إلى ما صرت يا أبا عبد الرحمن؟

قال:

- إلى رحمة الله.

قلت:

- فأي العمل وجدت أفضل؟

قال زبيد:

- الصلاة وحب علي بن أبي طالب.

* * *

أبو زرعة

مواقف ومواعظ

من حياة التابعين

[٢٢]

أبو زرعة

أبو زرعة

ولد سنة مائتين من الهجرة.

كان من كبار الحفاظ، وسادات التقوى.

نسبه:

هو يحيى بن أبي عمرو الشيباني.

كنيته:

يكنى أبا زرعة.

على الله التفسير:

قال أبو زرعة:

إن رجلاً كان يركب حمارًا فمر بنهر فنزل عنه وأطلق بفمه صفيرًا فاختلف ملك الحسنات وملك السيئات، فقال ملك الحسنات:

- أراد أن يسقي حماره.

وقال ملك السيئات:

- إنما أراد لهوًا.

فبعث الله عز وجل ملكًا يقول:

- اعتبرا الصفير وعلى الله التفسير.

أهل التصبر:

يقول أبو زرعة:

دخلت على رجل مبتلى ذات ضحى فقلت:

- كيف تجدك؟

قال:

- أجد عافيته أكثر مما ابتلاني به، وأجد نعمه على أكثر من أن أحصيها.

فقلت:

- أتجد لما أنت فيه ألمًا شديدًا؟

فبكى الرجل ثم قال:

- سلي نفسي ألم ما بي - اسم موصول فاعل (سلي) -، ما وعد عليه سيدي أهل الصبر من كمال الأجور في شدة يوم عسير.

ثم غشي عليه، مكث مليًا ثم أفاق وقال:

- إني لأحب أن لأهل الصبر غدًا في القيامة مقامًا شريفًا لا يتقدمه من ثواب الأعمال شيء إلا ما كان من الرضا عن الله تعالى.

ثلاثمائة دينار:

قالت مولاة أبي زرعة:

كان أبو زرعة يحب الصدقة، ويجمع لها، ولا يرد سائلاً ولو ببيضة أو تمرة أو بشيء، مما يؤكل فأتاه سائل ذات يوم وقد أقفر من ذلك كله وما عندنا في الدار إلا ثلاثة دنانير.

فسأله فأعطاه دينارًا.

ثم جاء سائل آخر فأعطاه دينارًا.

ثم أتاه سائل آخر فأعطاه دينارًا.

فغضبت وقلت له:

- سيدي: لم تترك لنا شيئًا؟

فوضع أبو زرعة رأسه للقائلة - نوم القيلولة -.

فلما أذن المؤذن لصلاة الظهر أيقظته فتوضأ ثم راح إلى مسجده.

فرققت عليه وكان صائمًا، فاقترضت ما جعلت له عشاء وسرجت له سراجًا، وجئت إلى فراشه لأمهده، فإذا بذهب، فعددتها فإذا ثلاثمائة دينار.

فقلت:

- ما صنع الذي صنع إلا وقد وثق بما خلف.

فأقبل بعد العشاء، فلما رأى المائدة والسراج تبسم وقال:

- هذا خير من غيره.

فقمت على رأسه حتى تعشى ثم قلت:

- رحمك الله خلفت هذه النفقة في سبيل مضيعة، ولم تخبرني فأرفعها؟

قال أبو زرعة:

- وأي نفقة؟ ما خلفت شيئًا.

فرفعت الفراش، فلما رأى الذهب تبسم وقال:

- الحمد لله{مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا} [سورة الأنعام الآية: ١٦٠].

ثم نهض وسار نحو مسجده وهو يقول:

- والله يضاعف لمن يشاء.

هو أعلم بما يصلح عباده:

يقول يحيى بن أبي عمر والشيباني:

كان حيوة بن شريح رجلاً مستجاب الدعوة، من البكائين، وكان رجلاً فقيرًا ضيق الحال جدًا، جلست إليه ذات يوم وهو متخل وحده وهو يدعو ربه.

فقلت له:

- رحمك الله لو دعوت الله عز وجل فوسع عليك في معيشتك.

يقول أبو زرعة:

فالتفت يمينًا وشمالاً، فلم ير أحدًا، فأخذ حصاة من الأرض وقال:

- اللهم اجعلها ذهبًا.

يقول أبو زرعة:

- فإذا هي والله تبرة - قطعة ذهبية - في كفه، ما رأيت أحسن منها.

يقول يحيى بن أبي عمرو الشيباني:

فرمى حيوة بن شريح بها إليّ وقال:

- ما خير في الدنيا إلا الآخرة.

ثم التفت إليّ وقال:

- هو أعلم بما يصلح عباده.

فقلت:

- ما أصنع بهذه.

قال حيوة بن شريح:

- استنفقها.

يقول أبو زرعة:

- فهبته والله أن أردها عليه.

من أقوال أبو زرعة:

قال يحي بن أبي عمرو الشيباني:

* مكتوب في التوارة: كما تدين تدان، وبالكأس الذي تسقي به تشرب وزيادة، لأن البادي لابد أن يزاد.

* مثل بيت المقدس في الكتب مثل كأس من ذهب مملوء عقارب.

* أوصى بنو إسرائيل في التوراة، استوصوا بمن يقدم عليكم من غير أهل بلادكم من الغرباء خيرًا.

* في التوراة مكتوب: من يفعل الخير لا يعدم جوازيه، لا يهلك العرب بين الله والناس.

قالوا عن أبي زرعة:

* قال أحمد بن سعيد الدارمي:

صلى أبو زرعة في مسجده عشرين سنة بعد قدومه من السفر، كان يوم من الأيام قدم عليه قوم من أصحاب الحديث، فنظروا في محرابه كتابه فقالوا له:

- كيف تقول في الكتابة في المحاريب؟

قال يحيى بن أبي عمرو الشيباني:

- قد كرهه قوم ممن مضى.

قالوا:

- هو ذا في محرابك كتابة، أوما علمت به؟

قال أبو زرعة:

- سبحان الله، رجل يدخل على الله تعالى ويدري ما بين يديه - أمامه - ؟

* قال أبو جعفر التستري:

حضرنا أبو زرعة وكان في السوق، وعنده أبو حاتم، ومحمد بن مسلم، والمنذر بن شاذان وجماعة من العلماء، فذكروا حديث التلقين، وقوله (صلي الله عليه وسلم) :

-(لقنوا موتاكم لا **إله** إلا الله) (أخرجه مسلم في الجنائز، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه، والنسائي).

فاستحيوا من أبي زرعة وهابوا أن يلقنوه.

فقالوا:

- تعالوا نذكر الحديث.

فقال محمد مسلم:

- أنبأ الضحاك بن مخلد عن عبد الحميد بن جعفر بن صالح.

ولم يجاوز.

والباقون سكتوا.

فقال أبو زرعة وهو في السوق:

ثنا بندار قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبي غريب، عن كثير بن مرة الحضرمي عن معاذ بن جبل قال:

قال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :(من كان آخر كلامه لا **إله** إلا الله) وتوفي رحمه الله (أخرجه أبو داود في الجنائز، والإمام أحمد في المسند).

* قال عبد الله بن أحمد بن حنبل:

سمعت أبي يقول: ما جاوز الجسر - اجتازه وقطعه، ويريد جسرًا معينًا معروفًا لديهم - أحفظ من أبي زرعة.

* قال أبو العباس محمد بن جعفر:

سئل أبو زرعة عن رجل حلف بالطلاق أن أبا زرعة يحفظ مائتي ألف حديث هل حنث؟

فقال أبو زرعة:

- لا.

ثم أردف:

- أحفظ مائتي ألف حديث كما يحفظ الإنسان{قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ}
[سورة الإخلاص الآية: ١].

* قال محمد بن مسلم:

كنت عند إسحاق بن إبراهيم فقال رجل من أهل العراق:

- سمعت أحمد بن حنبل يقول: صح من الحديث سبعمائة ألف حديث وكسر، وهذا الفتى - يعني أبا زرعة - قد حفظ ستمائة ألف.

* قال الفَلاَّس:

أبو زرعة أعلا الحفاظ لأنه جمع الحفظ مع التقوى والورع، وهو يشبه بأحمد بن حنبل.

أبو زرعة وأحاديث خاتم الأنبياء (صلي الله عليه وسلم) :

أسند أبو زرعة عن خلاد بن يحي، وأبي نعيم، وقبيضه، وعمرو بن عبد الله الحضرمي، وعبد الله بن محيريز، وعبد الله بن الديلمي، وأبي سلام الدمشقي وأبي مريم، وجالس أحمد بن حنبل وذاكره، وكان أحمد إذا ذاكره يترك الشغل ويشتغل بمذاكرته، وروى عن جده وعن أبي هريرة.

ولما حضرت الحفاظ أبو الفضل العراقي الوفاة قيل له:

- من تخلف بعدك في الحديث؟

قال:

- ابن حجر العسقلاني ثم ابني أبي زرعة ثم الهيثمي.

* حدثنا أبو عمرو بن حمدان، ثنا الحسن بن سفيان، ثنا أبو عمير النحاس، ثنا ضمرة عن الشيباني عن عمرو بن عبد الله بن الحضرمي عن أبي أمامة عن النبي (صلي الله عليه وسلم) قال:

(إن الله استقبل بي الشام، وولى ظهري اليمن ثم قال لي:

- يا محمد: إني جعلت لك ما تجاهك غنيمة ورزقًا، وما خلف ظهرك مددا.

ولا يزال الله يزيد - أو قال يعز الإسلام وأهله وينقص الشرك وأهله حتى يسير الراكب بي كذا - يعني البحرين لا يخشى إلا جورًا وليبلغن هذا الأمر مبلغ الليل) (رواه أبو نعيم في الحلية).

* حدثنا أبو عمر، ثنا الحسن، ثنا أبو عمير، ثنا ضمرة عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني، عن عمرو بن عبد الله الحضرمي عن أبي أمامة قال:

خطبنا رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ذات يوم فكان أكثر خطبته ما يحدثنا عن الدجال وخروجه وفتنته ومدته وقال:

(فينزل عيسى بن مريم فيكون في أمتي إمامًا مقسطًا وحكمًا عدلاً، يدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض، وتنزع حمية كل دابة حتى يدخل الوليد يده في فم الحنش - الثعبان - فلا يضره، وتلقى الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون في الإبل كأنه كلبها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وتملأ من الإسلام، ويسلب الكفار ملكهم، ولا يكون ملك إلا الإسلام، وتكون الأرض كفاثور الفضة - المائدة من الفضة - ينبت نباتها كما كانت تنبت على عهد آدم، يجتمع النفر على القطف - عنقود العنب - فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، ويكون الفرس بالدريهمات) (رواه أبو نعيم في الحلية).

* حدثنا أحمد بن إسحاق ثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، عن محمد بن مصفى، ثنا بقية بن الوليد، حدثني الأوزاعي، حدثني يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن أبي مريم عن أبي هريرة قال:

إن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) قام فينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

-(إياي والأقراد).

قلنا:

- يا رسول الله: وما الأقراد؟

قال عليه الصلاة والسلام:

-(يكون أحدكم أميرًا أو عاملاً فتأتي الأرملة واليتيم والمسكين فيقال:

- اقعد حتى ننظر حاجتك.

فيتركون مقردين، لا تقضي لهم حاجة، ولا يؤمرون، فينصرفوا.

ويأتي الرجل الغني الشريف فيقعد إلى جانبه ثم يقول:

- ما حاجتك؟

فيقول:

- حاجتي كذا وكذا.

فيقول:

- اقضوا حاجته وعجلوا) (رواه أبو نعيم في الحلية).

وفاة أبي زرعة:

توفى يحيى بن أبي عمرو الشيباني بمدينة الري آخر يوم من ذي الحجة سنة أربع وستين ومائتين من الهجرة.

رأيت أبا زرعة في المنام:

قال أبو العباس المرادي:

رأيت أبا زرعة في المنام فقلت:

- يا أبا زرعة: ما فعل الله بك؟

فقال:

- لقيت ربي عز وجل فقال لي: يا أبا زرعة: إنى أوتى بالطفل فآمر به إلى الجنة فكيف بمن حفظ السنن على عبادي؟ تبوأ من الجنة حيث شئت.

* * *

يحيى بن يعمر

مواقف ومواعظ

من حيــاة التابعيــن

[٢٣]

يحيى بن يعمر

يحيى بن يعمر

نسبه:

هو: يحيى بن يعمر الليثي العدواني الوشقي النحوي البصري.

من بنى كنانة، وكان من أهل البصرة، وكان حلفًا لبني ليث.

كنيته:

يكنى: أبا سليمان.

وقيل:

يكنى: أبا سعيد.

كان تابعيًا.

لقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس - رضى الله عنهم -، ولقى غيرهما من الصحابة.

أحد قراء البصرة وعنه أخذ عبد الله بن أبي إسحاق القراءة.

انتقل إلى خراسان.

تولى قضاء مرو.

كان عالمًا بالقرآن والنحو ولغات العرب.

أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي.

أول من نقط المصاحف.

كان من فضلاء الناس وعلمائهم.

عابد:

قال يحيى بن يعمر:

بلغنا عن بعض السلف أنه قال:

مضيت إلى جبل اللكام - بضم اللام وتشديد الكاف ويجور تخفيفها: وهو جبل مشرف على أنطاكية وما حولها من الثغور - فما رأيت أعبد من شاب أصفر اللون.

كان يصف قدميه فيصلي ركعتين من أول الليل إلى آخره فيختم فيهما القرآن.

ثم يجلس فيعتذر إلى الصباح.

دعاني من هو خير منك:

قال يحيى بن يعمر:

حجَّ الحجاج بن يوسف فنزل بعض المياه بين مكة والمدينة، ودعا بالغداء، وقال لحاجبه:

- انظر من يتغدى معي، واسأله عن بعض الأمر.

فنظر نحو الجبل فبصر أعرابيًا نائمًا، فاقترب منه وضربه برجله وقال:

- قم إئت الأمير.

فأتاه.

فقال له الحجاج:

- اغسل يديك وتغدى معي.

فقال الأعرابي:

– إنه دعاني من هو خير منك فأجبته.

قال الحجاج:

- من هو؟

قال الأعرابي:

– الله تبارك وتعالى دعاني إلى الصوم فصمت.

فقال الحجاج:

- في هذا الحر الشديد؟

قال الأعرابي:

- نعم صمت ليوم أشد حرًا من هذا اليوم.

قال الحجاج:

- فأفطر وصم غدًا.

قال الأعرابي:

- إن ضمنت لي البقاء إلى غد.

قال الحجاج:

- لبس ذاك لي.

فتساءل الأعرابي:

- فكيف تسألني عاجلاً بآجل لا نقدر عليه؟

قال الحجاج:

- إنه طعام طيب.

قال الأعرابي:

- لم تطيبه أنت ولا الطباخ إنما طيبته العافية.

من جمع بين الحياء والسخاء:

قال يحيى بن يعمر:

أوصت امرأة من البادية ابنًا لها أراد سفرًا فقالت له:

- يا بني: أوصيك بتقوى الله، فإن قليلها أجدى عليك من كثير عقلك وإياك والنمائم - جمع نميمة، وهي: وسواس همس الكلام، ويقوم به النمام أو الغماز أو الهماز - فإنها تزرع الضغائن وتفرق بين المحبين.

ومثل لنفسك ما تستحسنه من غيرك مثالاً ثم اتخذه إمامًا.

واعلم أنه من جمع بين الحياء والسخاء، فقد استجاد - استجاده: عده جيدًا - الحلة إزارها ورداءها.

من أصحب!

سأل رجل يحيى بن يعمر:

- من أصحب؟

قال يحيى بن يعمر:

- من لا تحتاج أن تكتمه شيئًا مما علمه الله منك.

فقال الرجل ليحيى بن يعمر:

- ما لك لا تسافر؟

قال يحيى بن يعمر:

- لأن صاحبي لا يسافر وأنا معه مقيم.

فقال الرجل:

- إن الماء القائم - قام الماء: ثبت متحيرًا لا يجد منفذًا فهو قائم إلى ركد ساكن - قد كره الوضوء منه.

قال يحيى بن يعمر:

- لم يروا بماء البحر بأسًا، هو الطهور ماؤه، الحلّ - الحلال - ميتته.

ثم قال يحيى بن يعمر:

- قد نرى الأنهار تجري لها دوي وخرير حتى إذا دنت من البحر وامتزجت به سكن خريرها وحدتها ولم يحس بها ماء البحر، ولا ظهرت فيه زيادة، ولا إن أخرجت منه استبان فيه.

الدنيا كلها سم وترياقها اسمي:

قال يحيى بن يعمر:

مرض موسى - عليه السلام - واشتدَّ وجع بطنه، فشكا إلى الله عز وجل فدلَّه على عشب في المفازة، وطلب منه أن يسمي الله ويأكله.

فأكله كليم الله فعفي بإذن الله.

ثم عاوده ذلك المرض في وقت آخر، فذهب إلى المفازة وأكل العشب دون أن يذكر اسم الله فازداد مرضه فقال:

- يا رب: أكلته أولاً فأشفيت به، وأكلته ثانيًا فضرني.

فقال الله عز وجل:

- لأنك في المرة الأولى ذهبت وتوكلت عليَّ فحصل فيه الشفاء، وفي الثانية: ذهبت منك ولم تتوكل عليَّ فازداد المرض، أما علمت أن الدنيا كلها سم وترياقها اسمي؟

يا معروفًا بترك المعروف:

قال يحيى بن يعمر:

اسمع يا معروفًا بترك المعروف، يا من هو بكسب القبائح موصوف، إلى كم تعتق المماليك وأنت لا تعتق؟ وتطلق الأساري وأنت في أمر شهواتك موثق.

إذا لم تدرك فضيلة السبق، فالحق من سبق، من عرف الله عز وجل عاش، ومن جهل حقائق المعرفة طاش.

تالله ما يقع في حقيقة الطاعة من له نفسٌ مطاعةٌ.

قال العزيز الحكيم: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾} [سورة النازعات الآيات: ٤٠ - ٤١].

{فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ}: **هي المرجع والمقام له لا غيرها.**

لعلك تريد إهلاكه:

قال يحيى بن يعمر:

روى أن فرعونَ قبل أن يدعى الألوهية وأرسل إليه موسى - عليه السلام - أمر أن يكتب باسم الله على بابه الخارج.

فلما ادّعى الألوهية وأرسل إليه كليم الله ودعاه فلم يرَ بهِ أثر الرشد، فقال موسى - عليه السلام -:

- إلـهي، كم أدعوه ولا أرى به خيرًا.

فقال تعالى:

– يا موسى، لعلك تريد إهلاكه، أنت تنظر إلى كفره وأنا أنظر إلى ما كتبه على بابه.

من أقوال يحيى بن يعمر:

كان يحيى بن يعمر يقول:

* لأن أتصدق بدرهم على يتيم أو مسكين أحب إليّ من حجة بعد حجة الإسلام.

* أصحب الناس كما تصحب النار، وخذ منها ما ينفعك، واحذر أن تحرقك.

* من أمر السنة على نفسه **نطق بالحكمة**، ومن أمر الهوى على نفسه **نطق بالبدعة.**

* ما من الناس إلا مبتلى بعافية لينظر كيف شكره، أو مبتلى ببلية لينظر كيف صبره.

* من أهمته نفسه تبين ذلك عليه.

* لا يلهينَّك الناس عن ذات نفسك فإن الأمر يخلص إليك دونهم.

يحيى بن يعمر والطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي:

كان يحيى بن يعمر العَدَوَانِيّ أحد العلماء المتضلعين في علوم الشريعة والعربية، ومن أفاضل التابعين، فقد شارك مشاركة مثمرة في غرس بذور النحو مع أبي الأسود، وكان من الشجاعة الأدبية في الحق والجرأة الخلقية في مواجهة الطغيان بالمكان السامق والمنزل المرموق.

وقد شاء القدر أن يبتلى يحيى بن يعمر بالحجاج بن يوسف، فواجه وكابر وأدى دوره مرفوع الرأس عالي الجبين.

رأى الحجاج بن يوسف أن الكوفة تهيم حبًا بالحسين بن على وتجعل من ذكراه المؤسية منحدرًا للدمع ومصعدًا للزفير، وكافح الحجاج وجاهد في تبديد هذا الحب الوثيق ولكنه لم يستطع، وكان يعلم قرابة السبط الشهيد من خاتم الأنبياء (صلي الله عليه وسلم) تجمع عليه القلوب وتضعه بين الجوانح والشغاف، ففكر الحجاج وقدَّر، ثم رأى أن يعلن أن ريحانة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) هو ابن على بن أبي طالب بن عبد المطلب وليس من ذرية محمد بن عبد الله (صلي الله عليه وسلم)، لأن انتسابه لفاطمة الزهراء لا يغير من الأمر شيئًا، فالأب هو المعتبر في النسب، دون الأم على قول من قال:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا ::: بنوهن أبناء الرجال الأباعد

وتحدَّث الحجاج في ذلك وأطال الحديث، وراح يتتبع معارضيه ومخالفيه سجنًا وتشريدًا، ويرسل عيونه - جواسيسه - في الكوفة ليأتوه بمعارض يصدر عن غير رأيه، فيجعل من عقابه رادعًا لغيره.

وجاءه الخبر أن يحيى بن يعمر سُئِل عن الحسين وانتمائه للمبعوث رحمة للعالمين (صلي الله عليه وسلم)، فأجاب في المسجد الجامع:

- إن الحسين والحسن من ذرية رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ، وأن الحجاج يحكم ولا يفتي، فإذا أفتى فعن غير علم واعتقاد.

ولم يعجب الحجاج بن يوسف ما بلغه عن يحيى بن يعمر، فهو يعرف جرأته وشجاعته، وكثيرًا ما اصطدم معه في جدل مذهبي، فكان يحيى صاحب الحجَّة الفاصلة والمنطق الراجح دون أن تعصف به رهبة أو يلين من ثباته.

وكان يحيى بن يعمر مسموع الكلمة، محترم الرأي، فإذا أفتى بما يعارض الحجاج، فقد تمكَّن من قلوب الناس، فذهبت دعوى الحجاج في الحسين بن على أباديد.

وأراد الطاغية أن يسكت صوت الحق عن طريق الدعاء والتعنت فيلزم يحيى بن بعمر بنص واضح من القرآن يؤيد دعواه، ولكن ليس في القرآن منطق يثبت ذلك في منطق الحجاج، فإذا أعلن يحيى عجزه عن الاستشهاد بالقرآن فقد قامت عليه الحجَّة في رأي الجمهرة من العامة. وللحجاج بعد ذلك أن يتطاول على يحيى بن بعمر مستكثرًا بأمير المؤمنين والجبروت حتى يخذله خذلانًا لا نجح بعده هكذا قدر الطاغية وأراد.

وتعجَّل الحجاج وعقد مجلسًا حاشدًا من أعوانه ووجهاء الكوفة، ودعا معهم بعض العلماء عامر الشعبي، سعيد بن جبير، الحسن البصري، وشيعة يحيى ومقدري علمه وفضله لينكشف أمامهم في المعمعة عجزه، فيضيع ما ينسب إليه من علم وثبات.

وأرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر ليتجرع كأس الهزيمة والانكسار، فلما قدم يحيى ألقى تحية الإسلام، ثم هَمَّ بالجلوس ولكن الحجاج صاح به:

- لا تقعد يا يحيى، وأوضح لنا رأيك في صلة الحسين برسول الله؟

فقال يحيى بن يعمر في اطمئنان وكبرياء وثبات:

- الحسين والحسن من ذرية رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وإن غضب الحجاج.

فصاح الحجاج متنمرًا متحفزًا:

- ألديك دليل من كتاب الله؟

فقال يحيى بن يعمر:

- معي الدليل من القرآن.

فضرب الحجاج كفًا بكف وقال متهكمًا:

- ما شاء الله، في القرآن أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله؟ لقد قرأته مئات المرات فما وجدت ما تقول يا رجل!

نظر يحيى بن يعمر في وجوه الحاضرين وقال في ثقة بالغة وإيمان وثبات:

قال تعالى:{وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾} [سورة الأنعام الآيات: ٨٣ - ٨٥].

ثم تطلع يحيى بن يعمر إلى الحاضرين وتساءل:

- أيكون عيسى ابن مريم من ذرية إبراهيم بنص القرآن ولا يكون الحسين من ذرية رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وبينهما من القرابة الدانية أكثر مما بين عيسى وإبراهيم أيها الناس؟

اقتحمت وجه الحجاج قطعًا من الليل المظلم، فهل جاء يحيى بن يعمر بالدليل صاعقًا قاصمًا واعتصم الحجاج بذكائه أيسعفه برد مضلل؟ ولكنه لم يستطع فتبسم في تصنع وقال:

- اجلس يا يحيى فقد فاتني هذا الاستنباط.

وأراد الحجاج أن يواري حزنه وحقده وفشله، فقال وهو يودع القوم:

- إن القرآن بحر لا ساحل له، وإن العربية الفصحى لا تسلس قيادها لغير من يحفظ القرآن.

وأنه هو وحده الذي أمر يحيى بن يعمر أن يضع النقط على حروف المصحف لتسهل سبيل الحفظ الدقيق والاستظهار الصحيح.

ورأى الحجاج أن يجامل يحيى بن يعمر فسأله:

- أتجدني ألحن في قولي يا ابن يعمر؟

فتبسم يحيى ابتسامة المتهكم وقال في لهجة ذات مغزى:

- الأمير أفصح من ذلك.

فاغتاظ الحجاج بن يوسف وصاح قائلاً:

- عزمت عليك: أتجدني ألحن؟

قال يحيى بن يعمر:

- نعم أيها الأمير.

فنظر الحجاج مبهورًا وقال:

- ألحن في أي شيء؟

قال يحيى بن يعمر:

- في كتاب الله.

فنهض الطاغية مغتاظًا وهو يقول:

- ذلك أسوأ لو كان، ففي أي حرف لحنت؟

فقال يحيى بن يعمر في تحدٍّ:

قرأت بالمسجد الجامع{ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ} [سورة التوبة الآية: ٢٤].

فضممت الباء وهي مفتوحة.

فتغَّير وجه الحجاج بن يوسف، وحدثته نفسه أن يهم بيحيى بن يعمر، ولكن انهياره النفسي أورثه ترددًا لا عهد له به، ثم إنه خشى أن يصيبه بسوء فيتناقل الناس في الأمصار قصة حجاجه في نسب ريحانة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وينتهي إلى قصر دمشق عند أمير المؤمنين وما كان من تهوره حين جادل في أمر لا يقبل الجدل فمكن لخصوم الدولة السفيانية من الإنتصار.

وأراد أحد الحاضرين أن يصرف الحديث إلى موضع آخر، فأخذ يسأل الحجاج عن مدينة واسط التي شيدها الحجاج باذلاً جهده الجاهد في التعمير والتشييد فقال الحجاج ليحيى:

- لم تذكر لنا رأيك في مدينة واسط يا يحيى؟

فسكت يحيى بن يعمر ولم يرد، فعاد الحجاج يتساءل في غيظ:

– ما رأيك يا يحيى في مدينة واسط التي شيدتها؟

قال يحيى بن يعمر:

– ماذا أقول عن واسط وقد شيدتها من غير مالك، وسيسكنها غير أهلك.

ولم يعد في قوس الصبر لدى الحجاج من منزع، وتلهب جمر الغيظ في صدره فقال في انفعال:

- ما حملك على هذا؟

فقال يحيى بن يعمر:

- ما أخذ الله تعالى على العلماء في علمهم ألا يكتموا الناس حديثًا.

فأطرق الحجاج منخذلاً وساد الصمت، وأراد الطاغية أن يقوم بعمل ينقذ خشيته فصاح في وجه يحيى بن يعمر:

- لا تساكني ببلد أنا فيه فاذهب منفيًا إلى خراسان.

ولما ذهب يحيى بن يعمر إلى خراسان وجد صيته الطائر قد سبقه إلى هناك، وسأله سائل:

- ألم تخش سيف الحجاج؟

فقال يحيى بن يعمر في إيمان الواثق:

- لقد ملأني خشية الله فلم تدع مكانًا لخشية إنسان.

قالوا عن يحيى بن يعمر:

* قال خالد الحذاء:

كان لمحمد بن سيرين مصحف منقوط، نقَّطه يحيى بن يعمر، وكان ينقط بالعربية المحضة واللغة الفصحى طبيعة فيه غير متكلف.

* قال الأصمعي:

حدَّثنا أبي فقال:

كتب يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وهو والي خراسان، إلى الحجاج بن يوسف أمير العراق كتابًا يقول فيه:

إنا لقينا العدو فاضطررناهم إلى عرض الجبل ونحن بالحضيض.

فقال الحجاج:

- ما لابن المهلب ولهذا الكلام؟

فقيل له:

- إن ابن يعمر عنده.

فقال الحجاج:

- فذاك إذًا.

وقال يونس بن حبيب:

كان يحيى بن يعمر يعمل الشعر وهو القائل:

أبى الأقـــــوام بغــــض قـــــومي ::: قـــديمًا أبغــض النـــاس السـمينا

وفاة يحيى بن يعمر

توفى يحيى بن يعمر سنة تسع وعشرين ومائة للهجرة.

رحمه الله تعالى وبيَّض وجهه وألحقه بنبيه (صلي الله عليه وسلم).

* * *

المراجـــع

المراجـــع

القرآن العظيم	
الجامع لأحكام القرآن	القرطبي
البداية والنهاية	ابن كثير
حلية الأولياء	أبو نعيم الأصبهاني
صفة الصفوة	ابن الجوزي
صحيح البخاري	
صحيح مسلم	
صحيح ابن حبان	
كنز العمال	الهندي
المسند	الإمام أحمد
الجامع الصحيح	الترمذي
شعب الإيمان	البيهقي
المستدرك على الصحيحين	الحاكم
مسند الفردوس	الديلمي
سنن أبي داود	
لسان العرب	ابن منذور
البداية والنهاية	ابن كثير
الطبقات الكبرى	ابن سعد كتاب الواقدي
دلائل النبوة	البيهقي

المراجع

بستان الواعظين	ابن الجوزي
من وصايا القرآن	البلتاجي
المواعظ والمجالس	ابن الجوزي
الموطأ	الإمام مالك
الزهد	الإمام أحمد
سنن النسائي	السيوطي
سنن ابن ماجه	
سنن الدارقطني	
الكامل في التاريخ	ابن الأثير
الكامل	ابن عدي
المستدرك على الصحيحين	الحاكم النيسابوري
شعب الإيمان	البيهقي
السنن	البيهقي
سنن الدارقطني	

* * *

فهرس الجزء الثاني

الفهرس

* * *